



## كلمة شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين  
نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فانى أشكر الله تعالى أن هدانى لدراسة كتابه العزيز الذى  
لا يأتيه الباطل <sup>من</sup> يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وان جعل رسالتى نسي  
خدمة هذا الكتاب العظيم التى أرجو من الله الملى القدير أن يجعلها خالصة  
لوجهه الكريم وينفع بها المسلمين .

ثم أتقدم بخالص شكرى الى جامعة الملك عبد العزيز على سعيها الحثيث فى  
خدمة العلم والعلماء وما تبذله من جهد لطلاب العلم والمعرفة من عون علمى ومسادى  
فلقد <sup>هيئت</sup> لطلابها نخبة ممتازة من العلماء القادرين على اخراج جيل يتحتمل  
مسئولياته تجاه ربه ودينه وأمتيه .

كما <sup>هيئت</sup> لطلبة العلم كل ما يحتاجون اليه من المراجع العلمية التى تمسك  
الباحث على تحقيق أمله وما تسمو اليه نفسه .

كما أشكر الجامعة الاسلامية على ما تقدمه لى من خدمة علميه ومادية منذ كنت  
طالباً فى كلية الشريعة وأتاحت لى الفرصة فى مواصلة دراستى المالية التى نرجو  
من الله اكمالها .

ولا أنسى ما بذله شيخى المرحوم الاستاذ الدكتور عبد العظيم أحمد  
النباشى من نصح وتوجيه وارشاد .

فجزاه الله أحسن الجزاء وانى أدعو الله الملى القدير أن يغفر له ويجزل له  
المثوبة ويرفع درجته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء  
والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ديب بن مصرى بن ناصر القحطانى

بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المنزل عليه " وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم " (١).

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبتمهم باحسان الى يوم الدين  
أما بعد :

فان الجهاد في سبيل الله فرض فرضه الله على هذه الامة المحمدية كما فرضه على غيرها من الامم السابقة لاعلاء كلمة التوحيد وتبليغ دين الله ودعوة الناس اليه واخراجهم من الظلمات الى النور وان يكون الدين كله لله وازالة الظلم والمسد وان الحواجز والمقبات التي تعرقل سير الدعوة والدعاة حتى تنتشر الدعوة وتظهر محاسن الاسلام واحكامه المعادلة بين الخلق اجمعين وقد حرص الاسلام على هذا الجانب العظيم الذي به أظهر الله الدين الاسلامي مع كره الكافرين فقد كثرت الايات المعظام وجندت طاقات المسلمين وجمعت كلمتهم ووحدت صفوفهم وعند ما نقرأ القرآن وننظر في توجيهاته نجد أنه على قسمين منها ما كان يحدثنا عن الجهاد في الامم السابقة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومشروعية الجهاد فيها كما أنه يحدثنا عن الجهاد وانه الوسيلة لاعلاء كلمة الله والوقوف في وجوه الظلمة الذين لا يرتدون للانسانية حرمة أو كرامة وانما يتملطون عليهم فلا يتركون لهم حرية فيتفكرون في الكسوف

وخالق الكون كما أنه يروح عن نفوس المقاتلين اذا وصفهم في المعركة مع رسلهم يقول الله تعالى " وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم نفس سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين " وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرائنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين " (١) .

فاذا سمع المقاتل لهذا وعرف حالة اتباع الرسل مع رسلهم في أخرج المواقف هانت عليه المصائب وتقبل ذلك كله بصد رحب ولم يبالي بما قاله أو نال أصحابه في سبيل الله ونصرة دينه .

كما أن في قصصهم بيان لاسباب النصر ومقاصد القتال وذلك في قصة طالوت وجنوده فقد أختبر صبرهم وطاعتهم حتى تخلص من الذين لا يزيدون الجيش الا خبالا . عندما جاوز النهر هو والجنود المؤمنون كأنهم تقالوا أنفسهم فذكرهم المؤمنون بأن الكثرة ليست هي النصر وانما النصر بيد الله ينصر من يشاء ويخذل من يشاء وان الله مع الصابرين " لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (٢) .

أما القسم الثاني فهو قد وجه الخطاب فيه الى هذه الامة المحمدية والسماح لهم بالدفاع عن أنفسهم وشرعية الجهاد على هذا المعنى ثم وجوب القتال للمقاتل ومسالمة المسالم ثم وجوب مجاهدة جميع الكفار ثم تناول فضل القتال في سبيل الله وفوائده الحسية والمعنوية ورفع من معنويات المسلمين وجعل المسلم يشمر بالمسرة والقوة كما أنه أعلى مقام الشهادة في سبيل الله وأكرم الشهادة بالحياة في الجنة " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (٣)

(١) سورة آل عمران ١٤٦ - ١٤٨

(٢) سورة يوسف ١١١

(٣) سورة آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠

ثم أنه طلب من المؤمنين اخلاص النية في قتالهم كما أمرهم بأخذ الاسباب التي تمكنهم من القضاء على الكفر وحثهم على التعاون والمحبة ونهاهم عن التنازع الذي يترتب عليه الفشل وذهاب القوة وأمرهم بالصبر والسمع والطاعة لله ثم لقادتهم حتى يكونوا كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى فلما كانت قوة القرآن العظيم تأخذ بالقلوب وتشد العضد والمسلمون اليوم في حالة نشكوها الى الله من التفرق والتباغض وعدم التضحية بالمال والنفس أحببت أن تكون رسالتي في الجهاد في القرآن الكريم .

وذلك لاسباب

منها صلته بالقرآن الكريم ( الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) (١) .

وذلك أن كتاب الله دستور الاسلام ومنبع الاحكام ومصدر الحلال والحرام والاوامر والنواهي وأرجوا أن الله قد وفقني في بيان تربية الاسلام لاهله في ميدان القتال في سبيله وذلك أن القرآن الكريم قد رسم لاهله أسباب المزمز، والتمكين فأنشأ المسلمين من الضعف الى القوة ومن الذل الى المزمة ( يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجننا الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ) (٢) . ومن الفرقة الى جمع الكلمة وتوحيد الصف ومن الصداوة الى الالفة والمحبة والاخوة ومن الفقر الى الغنى ومن الجهل الى العلم ومن الحروب القبلية الى الجهاد في سبيل رب البرية ومن تحكيم الطواغيت والاهواء الى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الترمذي عن الحارث الاعور عن علي رضي الله عنه حديثاً في وصف هذا الكتاب لا مزيد عليه يقول الحارث الاعور " مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون

(١) فصلت ٤٢

(٢) سورة المنافقون ٨

في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث ؟ قال : أوقد فعلوها ؟ قلت : نعم أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ألا انها ستكون فتنة فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الالهواء ، ولا تلتبم به الالسينة ولا يشبع منه الملما ، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقض عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن ان سمعته حتى قالوا : انا سمعنا قرآنا عجايبا يهدى الى الرشدا فأما به ، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم " (١) .

فكتاب هذه أوصافه جدير بالعناية والدراسة لان دراسته تنير القلوب وتشحن الافهام وتصلق الابصار فهو كما فى هذا الوصف العظيم وهذا الحديث وان كان قد طبع فيه من ناحية سنده فمعناه لا غبار عليه والله الموفق .

#### ومن الاسباب الداعية الى اختيار الموضوع

أن المسلمين اليوم فى حيرة من أمرهم وضياح لحقوقهم واغتصاب لاوطانهم وتشريد لابنائهم ونفسره عن دينهم وبعد عن تعاليمه السامية كما أن البعض منهم يظن أن التمسك بالدين الاسلامى هو سبب تأخر المسلمين وبعدهم عن الحضارة والقيسوة والاختراع الصناعى الحديث .

فاحببت أن أبين أن الاسلام لم يجن على أهله بل هم الذين جنوا عليه فضيعوا تعاليمه وابتعدوا عن منهاجه فبعد أن كانوا دولة عظيمة تخافها جميع الام أصبحوا دوللات متباغضة تتجاذبها الالهواء والافكار والمذاهب الهدامة التى هى فى الحقيقة سبب تأخر المسلمين وبعدهم عن ركب الحضارة واشمل أعداؤهم بينهم نار الفتنة فحارت الافكار وضاعت الحقوق واغتصبت الاوطان وشرد الابنساء

(١) سنن الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ح ٨ ص ٢١٨

وشوهت حقائق الاسلام وحيل بينهم وبين تعاليمه بالمفريات والطهيات فظنوا أن الاسلام هو الذي جنى عليهم وأوقمهم في قبضة أعدائهم فحاربوا تعاليمه وغيروا احكامه واستبدلوا بالاحكام الرضمية فسلط عليهم أرذل الامم وهم من كتب الله عليهم الذلة والصغار الى يوم القيامة حتى يرجعوا الى الله فاذا تابوا وعرفوا كيد عدوهم فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " ويغفر ذنوب المذنبين يأخذ بأيديهم الى النصر المبين .

ومن الاسباب أيضا الداعية الى اختيار الجهاد في القرآن الكريم أن أعداء الاسلام عندما عرفوا قوته وعظمته وانه لا يمكن أن يغلب قوم طبقوا هذا القرآن فسي جميع الميادين الحربية والمدنية خافوا من عودة المسلمين الى العمل بهذا القرآن لتحصل لهم عظمتهم السابقة وأخذوا يحاولون في ابعاد المسلمين عن قرآنهم وما فيه من التربية الحربية والتوجيهات الاخوية التي تجعل المسلمين سواسية كأسنان المشط لا فضل لمسي على عصى الا بالتقوى " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شموما وقبائل لئلا تتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير " (١) .

فاذا عمل المسلمون بهذه التوجيهات ضمنوا شتات المسلمين واجتمعت كلمتهم وهزموا عدوهم .

وعندما خاف أعداء الاسلام من هذا جاؤا بلون جديد من اساليبهم الخداعة فأشأوا الجمعيات والهيئات ونادوا بالمصيبة القومية العربية والقومية الجنسية والوطنية فحاولت قدر المستطاع بيان منهج القرآن في اتباعه في الممركة وغيرهها لعل المسلمين يعرفون مقاصد أعدائهم ليأخذوا حذرهم ويثوبوا الى رشدهم فيدخلون في رابطتهم الاخوية الاسلامية ويتركون المصيبات الجاهلية التي نظمها وذاها أعداؤهم ليفرقوا بينهم بالمصيبات والقوميات والوطنيات واليهم عن مصدر عزهم وقوتهم ونظام حياتهم جمع الله شمل المسلمين وأصلح قاداتهم انه ولي ذلك والقادر عليه .

هذا وقد اقتضى موضوع البحث الى تقسيمه الى تمهيد وسبعة أبواب  
وخاتمة .

أما التمهيد فقد جملته لتعريف الجهاد في اللفظة والاصطلاح وحكمه  
عند الفقهاء .

وأما الباب الاول فقد جملته "لأنواع الجهاد"  
وتحت أربعة أنواع  
الاول جهاد النفس وتحت أربع مراتب

المرتبة الاولى : جهاد النفس على تعلم الهدى ودين الحق الذي هو فلاحها  
وصلاحها ومصدر سعادتها .

المرتبة الثانية : العمل بالمعلم .

المرتبة الثالثة : الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه .

المرتبة الرابعة : الصبر على مشاق الدعوة الى الله عز وجل

النوع الثاني من أنواع الجهاد جهاد الشيطان

وقد تحدثت فيه عن عداوة الشيطان للإنسان وقد مها ومدخله وعلاجه

النوع الثالث من أنواع الجهاد جهاد الكفار وهو يكون باليد واللسان والجنان والمال .

النوع الرابع جهاد الضائقين هل هو باليد أو باللسان .

وأما الباب الثاني فقد جملته لمراحل الجهاد في عهد الرسول عليه الصلاة

والسلام .



المرحلة الاولى المكيّة  
والمرحلة الثانية المدنيّة

وتحت المرحلة المدنيّة ثلاث مراحل الاذن بالقتال فرض الجهاد لمن يقاتل المسلمين ثم فرضه على الامة الاسلاميّة لجميع الكفرة الا من خشي الدليل .

أما الباب الثالث فهو في حكمة مشروعية الجهاد هل شرع من أجل الدفاع فقط أم شرع من أجل ابلاغ الدعوة وايصالها الى عباد الله .

وأما الباب الرابع فقد جعلته لشبه المستشرقين والمبشرين وحاولت الرد عليها بما في قدرتي واستطاعتي .

وأما الباب الخامس فقد جعلته لفضل الجهاد في سبيل الله وتحت مسائل

- الاولى فضل الشهادة في سبيل الله . الثانية فضل الشهادة في سبيل الله  
الثالثة من هو الشهيد لماذا سعى شهيدا .  
الرابعة فضل الخروج في سبيل الله .  
الخامسة فضل الرباط في سبيل الله والامر به .

وأما الباب السادس فقد جعلته لمواقف ترك الجهاد في سبيل الله وفيه نتائج ترك الجهاد وفوائد القيام به وآثاره .

وأما الباب السابع فجعلته لمقومات النصر وتحت مقدمه عن أسباب النصر وعشرة مباحث :

- ١ - البحث الاول اعداد المقاتلين .
- ٢ - البحث الثاني الاخوة الايمانية .
- ٣ - البحث الثالث اعداد المدة .

- ٤ - المبحث الرابع اختيار القادة الكفاءه وهي ثلاث فقرات  
(أ) القيادة (ب) معاملة القائد وجنوده  
(ج) مشاوره الجنود ومشاركتهم في تدبير المعركة
- ٥ - المبحث الخامس وجوب الطاعة •  
٦ - المبحث السادس الاخلاص •  
٧ - المبحث السابع التوكل على الله •  
٨ - المبحث الثامن ذكر الله •  
٩ - المبحث التاسع الصبر •  
١٠ - المبحث العاشر تحريم الفرار •

خاتمة البحث وقد ذكرت فيها نتائج ما توصلت اليه في البحث •

ولم أتمرض في هذه الرسالة للفتريات والفنائم واحكامها والاسرى لان كسل  
موضوع من هذه يحتاج الى رسالة خاصة به والله الموفق وصلى الله على  
نبينا محمد وآله وصحبه •

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تعريف الجهاد وحكمه

تعريفه :

" الجهاد في اللفظة بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو ومجاهدة وجهادا وهو مشتق من الجهد بفتح الجيم وهو التعب والمشقة لما فيه من ارتكابها أو من الجهد بالضم وهو الطاقة لان كل واحد منها بذل طاقته في دفع صاحبه " (١) .  
وقال ابن منظور في لسان العرب .

" جاهد العدو ومجاهدة وجهادا وجاهد في سبيل الله . . . والجهاد محاربة الاعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل " (٢) .

أما تعريفه في الشرع فهو قتال الكفار لنصرة الاسلام واعلاء كلمة الله ويطلق أيضا على جهاد النفس والشيطان وهو من أعظم أنواع الجهاد " (٣) .

وقال ابن حجر " وشرعا بذل الجهد في قتال الكفار ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق " .

فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم العمل بها ثم تعليمها .

وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشهوات وما يزينه من الشهوات .

وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب .

وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب " (٤) .

فظهر من هذه التعاريف أنه بذل المجهود ومصادمة قوى الشر لاظهار دين الله واعلاء كلمته وحتى يعبد الله وحده لا شريك له كما أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى " وقاتلوهم

(١) ارشاد الساري شرح صحيح البخاري للامام القسطلاني ج ٥ ص ٣١ طبعة بولاق عام

١٣٢٤ هـ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ١٣٥ طبع بيروت عام ١٣٢٤ هـ .

(٣) ارشاد الساري شرح صحيح البخاري المذكور انفا .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ٦ ص ٣ .

حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير" (١) .

وكذلك قوله تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين " (٢) .

أما حكمه فقد وردت الايات الدالة على فرضيته وذلك في قوله تعالى " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (٣) فمعنى " كتب " فرض عليكم قتال الكفار وقد اختلف العلماء في المقصود بهذا الفرض وفيمن عني به فقال قوم :

- ١ - هو فرض عين وهو قول أبي أيوب الانصارى والمقداد بن الاسود وابن المسيب .
- ٢ - وقال آخرون هو فرض على الانصار دون غيرهم وهو قول السهيلي .
- ٣ - وقال آخرون هو فرض عين على المهاجرين دون غيرهم وهو قول الماوردي .
- ٤ - فرض على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين في عهده وهو قول عطاء .
- ٥ - وقال قوم هو سنة وهو مرور عن ابن شبرمه والثوري وعمرو بن دينار وعطاء .
- ٦ - فرض في النزوة التي يخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ٧ - يتمين على من عينه عليه الامام ومن داهم المد وبلدته ومن حضر المعركة .
- ٨ - فرض كفاية اذا قام به من يكفى سقط عن الباقيين وهو قول الجمهور وعليه اجماع الحجة .

### مناقشة الاقوال وأدلتها

أما القول الاول فاستدل أهله بقوله تعالى " انغروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله " (٤) ثم قوله الا تنفروا يمدبكم عذابا أليما " (٥) وكذلك قوله

(١) الانفال ٣٩

(٢) البقرة ١٩٣

(٣) البقرة ٢١٦

(٤) التوبة ٤١

(٥) التوبة ٣٩

تعالى " كتب عليكم القتال وهو كره لكم " وقول النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يفز ولم يحدث نفسه بالفزوات على شعبة من النفاق " (١) وقال الجمهور أنه فرض كفاية اذا قام به من يكفى سقط عن الباقيين كالصلاة على الجنائز وغسلهم ودفنهم قال ابن جرير وعلى هذا عامة علماء المسلمين وذلك هو الصواب عندنا لاجماع الحجة على ذلك " (٢) واجاب الجمهور على القول الاول وأدلته بما يأتي :

- ١ - أولا بقوله تعالى " لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى " (٣) فأخبر الله جل ثناؤه ان الفضل للمجاهدين وأن لهم وللقاعدين الحسنى ولو كان القاعدون مضيعين فرضا لكان لهم السوأى لا الحسنى " (٤)
- ٢ - وكذلك قوله تعالى " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " (٥)
- ٣ - ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث سرايا ويقيم هو وأصحابه كما هو معروف من سيرته عليه الصلاة والسلام .
- ٤ - وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى " الا تنفروا يذبكم عذابا أليما " وما كان لأهل المدينة أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه " قال نسختها الآية التي تليها " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " (٦) .
- ٥ - ويحتمل أنه أراد تعالى بقوله " انفروا خفافا وثقالا " غزوة تبوك حين استنفرهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت اجابتهم الى ذلك واجبة عليهم ولذلك هجر كعب ابن مالك وأصحابه الذين خلفوا حتى تاب الله عليهم والجمهور على وجوب الجهاد على من عينه عليه الامام وقد دعاهم الرسول الى ذلك ولم يترك الا المذورين

(١) انظر سنن النسائي ج ٦ ص ٨ طبع دار احياء التراث العربى بيروت .

(٢) انظر تفسير ابن جرير ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٣) النساء ٩٥

(٤) انظر تفسير الطبري ج ٢ ص ٣٤٥

(٥) التوبة ١٢٢

(٦) انظر سنن أبي داود مع شرحها شرح عون المعبود ج ٧ ص ١٨٢ الطبعة الثانية عام

فهذه الأدلة تبين أنه فرض كفاية الا في الحالات التي استثني الجمهور وهي ثلاث حالات :

الاولى اذا عينه الامام على أحد وجب عليه عيننا أن يخرج في الجهاد لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا " (١) ولقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم " (٢)

الحالة الثانية يتمين اذا نزل الكفار ببلد تمين على أهل هذه البلدة قتالهم فيخرج المبد بغير اذن سيده والولد بغير اذن أبويه الا أن يخشى أن يضيحا أو أحدهما لزمه الا يخرج من عندهم والفرير يخرج بغير اذن دائته فاذا لم تقع الكفاية بأهل هذه البلدة لزم من يليهم اعانتهم ثم لزم الجميع حتى يكفوا عنهم العدو ويخرجوهم من اوطان المسلمين .

الحالة الثالثة اذا تقابل الصفان والتقى الزحفان حرم على من حضر الانصراف وتمين عليه الميثاق لقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " (٣) .  
وقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار " (٤) ذكر هذا البحث ابن قدامة في المصنعي (٥) .

وأما ما ذكره ابن حجر عن الماوردي من كون البهادر فرض عين على المهاجرين دون غيرهم ويؤيد هذا وجوب الهجرة قبل الفتح في حق كل من أسلم الى المدينة لنصرة الاسلام وذكر أيضا عن السهيلي أنه كان عينا على الانصار دون غيرهم واستدل على ذلك بما يصتسم ليلة الحقة . على أن يؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصروه فعلى هذا يكون عينا فسي

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠

(٢) التوبة ٣٨ ، ٣٩

(٣) الانفال ٤٧

(٤) الانفال ١٥

(٥) انظر المصنعي ج ١٠ ص ٣٦٥ بتصرف

حق الطائفتين كفاية في حق غيرها وليس في حق الطائفتين على التميم بل في حقيق  
الانصار اذا طرق المدينة طارق وفي حق المهاجرين اذا أريد قتال عدو في الخارج (١)  
ولكن هذا القول لم يرد به نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه  
الكرام رضوان الله عليهم بل الذي ورد في الكتاب والسنة تميمه على الأمة الإسلامية  
عموما دون تفرق أما قولهم من وجوب الهجرة على من أسلم قبل الفتح فذلك لان السدي  
لا يهاجر يفتن في دينه ولا يتمكن من عبادة ربه وأيضا لشدة عضد المسلمين وتكثير  
سوادهم وموازنتهم ولتكوين الدولة الإسلامية الناشئة لحماية المؤمنين من ظلم الكفرة  
الجاحدين المعادين ولهذا لما فتح الرسول مكة المكرمة واشتد الساعد قالوا لا هجرة  
بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتهم فانفروا .

وأما قولهم أنه عين في الغزوة التي يخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرها  
فقد أجاب الامام ابن حجر عن ذلك بقوله " والتحقيق أنه كان عينا على من عينه عليه النبي  
صلى الله عليه وسلم في حقه ولو لم يخرج " (٢)

وأما قول عطاء هو واجب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم فلا أرى  
له وجها لان الواجب في عهده واجب بعده الا ما خصه الدليل القاطع ولا دليل يفيد  
ذلك فتحمين من هذا بقاء وجوه على الأمة الإسلامية حتى يرث الله الارض ومن عليها  
وقد قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر الخلاف هل هو فرض عين أو كفاية قال " والتحقيق  
أن جنس الجهاد فرض عين أما بالقلب وأما باللسان وأما بالمال وأما باليد فعلى كل مسلم  
أن يجاهد بنوع من هذه الانواع " (٣)

وقد ذكر الشوكاني أيضا ما رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن شهاب فسي  
تفسير قوله تعالى " كتب عليكم القتال وهو كره لكم " الآية قال رحمه الله تعالى الجهاد  
مكتوب على كل أحد غزا أو قعد فالقاعد أن استميين به اعان وان استغيث به أقات وان

(١) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣٧

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٣٧ طبع المطبعة السلفية

(٣) زاد المعاد ج ٢ ص ٣١٤

استنفر نفر ولن استثنى عنه **قصيد** \* (١)

فعلم بن هذا فرضه على الامة الاسلامية لا فى زمن دون زمن أو عصر دون عصر وانما هو فى جميع الاعصار والازمان كما فى الحديث الصحيح " لا هجرة بمد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا " (٢)

"وأما ما روى عن عمرو بن دينار وعطاء من كونه سنة كما ذكر الطبرى \* (٣) عندما سأله ابن جريج قلت له **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** \* أوجب الخزوع على الناس من أجلهم قال : لا ، كتب على أولئك حينئذ \* (٤)

فلعل عطاء يرى أنه فرض على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة فى حقيق غيرهم وقد سبق أن قلت أنه واجب فى بطنته على المسلمين فى كل عصر اذ لا يمكن أن يكون واجبا فى زمن وسنة فى زمن آخر الا أن يقوم به من يكفى فيكون كما قال عطاء سنة فى حقيق غير القائمين به والله أعلم .

فاذا تقر هذا وعلم من كتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام فرضية الجهاد اما عيننا وأما كفايا اذا قام به من فى قيامه به كفاية وعلم انه يجب على أئمة المسلمين المنزوى فى كل ما أمكن أو فى كل عام **مرة أو مرتين** تبيين أن الامة الاسلامية فى هذا العصر واقعة فى اثم عظيم وخطأ كبير يقول حسن البنا رحمه الله بعد أن ذكر أقوال العلماء فى الجهاد .

\* فيها أنت اذا ترى من ذلك كره كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين وسلفيين وخلفيين على أن الجهاد فرض كفاية على الامة الاسلامية لنشر الدعوة وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها والمسلمون الان كما تعلم مستدلون لغيرهم محكومون بالكفار قد دبست أرضهم وانتهكت حرمتهم وتحكم فى شؤونهم خصومهم وتعطلت شمائر دينهم فى ديارهم فضلا عن عجزهم عن نشر دعوتهم فوجب وجوبا عينيا لا مضاف منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوى على نية الجهاد واعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضى الله أمرا كان مفعولا \* (٥)

(١) فتح القدير ج ١ ص ٢١٧

(٢) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ٢٧

(٣) انظر تفسير الطبرى ج ٢ ص ٣٤٤

(٤) انظر فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ٢١٧

(٥) انظر رسالة الجهاد للإمام الشهيد حسن البنا ٨٤



( الباب الاول )

أنواع الجهاد

ان العبد في الدنيا قد ابتلى بخص للفتن وأمر ببذل جهده وطاقته ومجاهدة أعدائه للتخلص من كيدهم وشرهم لان الله تعالى زوده بمدد وعدة وأعوان وسلاح كما زود أعداءه بمدد وعدة وأعوان وسلاح وابتلى بعضهم ببعض فتنة حتى يعلم من يتولى الله ورسوله ممن يتولى الشيطان وحزبه كما قال الله سبحانه وتعالى " ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " (١)

اعرف

فاذا علم أن العبد في الدنيا قد عرض للفتن وأمر بجهاد أعدائه فاعداؤه أربعة هم :

- ١ - نفسه
- ٢ - الشيطان
- ٣ - الكفار
- ٤ - المنافقون (٢)

" النوع الاول جهاد النفس "

ان النفس تحب اللذائذ والشهوات وانتهاك الحرمات وتدعو الى الراحة والمستلذات وتريد أن تكون سارحة في جميع ما تراه وتدعو اليه من نعم الدنيا دون تفريق بين حلال وحرام ولهذا وح القرآن الكريم من جعل معبوده ما دعت اليه نفسه وزينه هوواه يقول الله سبحانه " أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة " (٣)

ففسى هذه الآية انكار لعبادة الهوى الذين جعلوا معبودهم ما يشتهون وتميل اليه أنفسهم فكان حراؤه أن ضل على يقين وطبع على سمعه حتى لا يسمح ما ينفعه فيتمسك به في طغيانه وهوواه حتى لا يفقه الهدى ونظى على بصره حتى لا يبصر الرشدي فيصير

(١) المنكوت ١ - ٣

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ٢ عن ١٠٦

(٣) الجاشية ٢٣

كالانعام بل أضل من البهائم التي لا تصرف ما يضرها ولا ما ينفعها وقد قال ابن القيم رحمه الله في جهاد النفس ( ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد الصمد نفسه في ذات الله كما قال رسول الله عليه وسلم ( المجاهد من يجاهد نفسه نفس ذات الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ) (١) كان جهاد النفس مقدا على جهاد العدو في الخارج وأصلا له فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفصل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج فكيف يمكنه جهاد عدوه والا تتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له فتسلط عليه لم يجاهده ولم يساربه في الله بل لا يمكنه الخروج الى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخرج (٢) وجهاد النفس كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى فإن الذي لا يجاهد نفسه لا يكون مستعدا لفعل الخيرات وبذل مجهوده وطاقته في حماية الاوطان وحراسة ثغور الاسلام فالمسلم دائما يكون لله وأوقاته في طاعة الله حتى يكون كالمرباط المستعد لحماية الدين وحوزة المسلمين وقد قيل أن جهاد النفس هو الجهاد الاكبر وأن مقارعة الخصوم وتحمل الشربات والقتل في سبيل اللو وارتاة الدماء هو الجهاد الاصغر وقد رأيت بعض أقوال العلماء في هذا القول وهو الباجوري على حاشية ابن القاسم يقول " القتال في سبيل الله مأخوذ من المباحدة وهي المقاتلة لاقامة الدين وهذا هو الجهاد الاصغر وأما الجهاد الاكبر فهو مباحدة النفس فلذلك كان يقول اذا رجع من الجهاد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (٣)

ودليلهم هذا الاثر وقولهم أن جهاد العدو وفرض كفاية وجهاد النفس فرض على الاعيان وجهاد العدو ومؤقت وجهاد النفس دائم .

وقالوا اذا لم يجاهد نفسه فإنه لا يقدر على الجهاد  
وابابوا عن هذه الاقوال  
بما يأتي :

أما الحديث فقد طعنوا في صحته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وهذه أقوالهم في الحديث قال ابن تيمية رحمه الله " وأما الحديث الذي يرويه بعضهم انه قال في غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فلا أصل له

(١) انظر سنن الترمذي مع شرحه تحفة الاحوذى ج ٥ ص ٢٤٩ وانظر مسند

الاعلام أحمد ج ٦ ص ٢٢

(٢) زاد المعاد في هدى غير العباد ج ٢ ص ١٠٢

(٣) حاشية الباجوري على ابن القاسم ج ٢ ص ٢٦٨

ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وجهاد الكفار من أعظم الاعمال بل هو أفضل ما تطوع به الانسان ثم أخذ يستدل بالآيات والاحاديث الواردة في فضل الجهاد \* (١)

وقال الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني في كشف الخفا ومزيل الالباس قال رجعتنا من الجهاد الاضمر الى الجهاد الاكبر الحديث \* ثم قال قال الحافظ ابن حجر في تهذيب القوس هو مشهور على اللسنة وهو من كلام ابراهيم بن أبي عبلة \* (٢)

وقال الصراقي في تخرين احاديث الاحياء قال أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا اسناد فيه ضعف \* (٣)

وقال النواوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير رواه الخطيب في ترجمة واصل بن حمزة الصوفي وكذا الديلمي عن جابر ورواه عنه أيضا البيهقي في كتاب الزهد وقال اسناده ضعيف وتهمه الصراقي \* (٤)

وسبب ضعفه أنه رواه عن عطاء ابن أبي رباح ليست بن أبي سليم بن زعيم بالسراي والنون وهذا قال فيه ابن حجر اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك \* (٥)

ورواه عنه يحيى ابن الملا البجلي أبو عمرو أو أبو سلمة الرازي قال فيه الخزرجي في الخلاصة كذبه وكبح وأحمد \* (٦)

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب قال أحمد بن حنبل كذاب يضح الحديث وقال الدورى عن ابن معين ليس بثقة وذكر أقوال العلماء فيه \* (٧)

هذا ما حمل العلماء على الحكم بضعف الحديث الذى وضع الجهاد الاضمر قتال الكفار والاكبر جهاد النفس \*

مع أنه يعارض الاحاديث الصحيحة فقد روى البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه

- 
- (١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٦٠
  - (٢) كشف الخفا ومزيل الالباس ج ١ ص ٤٢٤ طبعة حسام الدين القدسي \*
  - (٣) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٧
  - (٤) فيض القدير ج ٤ ص ٥١١
  - (٥) تقريب التهذيب ج ٢ ص ١٣٨
  - (٦) خلاصة تذهيب الكمال ج ٣ ص ١٥٧
  - (٧) انظر تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٦١

قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده قال هل تستطيع اذا خي المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك قال أبو هريرة أن فرس المجاهد لستين في طوله فيكتب له حسنة (١)

قال ابن حجر وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله تقتضي الا يعدل الجهاد شيء من الاعمال ونقل عن عياض قال اشتمل الحديث على تعظيم أمر الجهاد لان الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الاعمال قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لاجر المواظب على الصلاة وغيرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يستطيع ذلك \*

كما نقل أيضا عن ابن دقيق العيد قال القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الاعمال

التي هي وسائل لان الجهاد وسيلة الى اعلان الدين ونشره واخماد الكفر ~~وسبب فضيلة~~ <sup>وسبب فضيلة</sup> فضيلة ذلك (٢) ولا يخفى أن من حصل منه الصيام وعدم الافطار والقيام مع عدم الفطور عن طاعة الله أعظم مجاهدا لنفسه وللكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لا أجده تدل على أنه لا يعدل الجهاد في سبيل الله شيء ولهذا لما ألح عليه هذا السائل بجوابه بما ليس في مقدور البشر مع أنه لو فرض أنه حصل منه لم يبلغ عشر أجر المجاهد فسي سبيل الله كما في الرواية التي زادها الطبراني وروى البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول \* مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة (٣)

وأيا مع هذه الاحاديث الدالة على علوية منزلة الجهاد في سبيل الله فهو معارض للقرآن الكريم مثل قول الله سبحانه وتعالى \* لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولس الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٤)

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ج ٦ ص ٤

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٥

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ٦

(٤) النساء ٩٥

وكذلك قول الله عز وجل " اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستورون عند الله " (١)

فقد ورد في سبب نزول هذه الآية حديث رواه مسلم وأبو داود وغيرهما عن النعمان بن بشير الانصاري رضى الله عنه قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسى نفر من أصحابه فقال رجل منهم : ما أبالي ان لا أعمل لله عملاً بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله غير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال ففعل فما أنزل الله عز وجل الاية السابقة \* (٢)

وقد جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض \* لفظ البخاري (٣)

ففي هذه الايات والاحاديث ما يفيد أن الجهاد لا يعدله شيء من الاعمال لان الذي أوقف نفسه على خدمة حجاج بيت الله الحرام والاخر أوقف نفسه على عمارة المسجد الحرام وعمارته تكون بطاعة الله تعالى فيه والعبادة المتواصلة وكذا بنيانه أن حصل فهذه من مباحة النفس ولم تكن أفضل من الجهاد في سبيل الله عز وجل بل أنكر الله عليهم هذا العمل وويخبرهم على هذه الشاىة فقال " اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستورون عند الله "

وهذا ظاهر عند الاعتبار فان نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ومشتغل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة فانه مشتغل <sup>عليه</sup> بحسب رغبة الله تعالى والاخلاص له والتوكل عليه وتسلم النفس والمال والصبر والزهد في الدنيا وذكر الله وسائر أنواع الاعمال على ما لا يشتمل عليه عمل آخر .

(١) التوبة ١٩

(٢) انظر صحيح مسلم مع شرح النووي ح ١٣ ص ٢٥

(٣) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ح ٦ ع ١١ وصحيح مسلم مع النووي ح ١٣

وليس المقصود من هذا البحث التقليل من شأن مراهدة النفس فهو أصل لمباهدة الاعداء وهو أغرض الجهاد وأوكده ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون هو أكبر وجهاد المدد وأصغر وإنما هما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن من جاهد نفسه ولازم طاعة الله وامثل أمره فهو أخرى بأن يكون مباهدا لاعداء الله سبحانه وتعالى . وقد سبق أنه أساس لجهاد الاعداء وإنما الذي لا ينبغي هو تسمية بجهاد الاعداء جهادا أصغر لأنه لم يرد به نص صحيح وإنما الذي ورد في النصوص هو فضل المجاهد على القاعد وقد قال الرسول لما سئل عن عمل يعدل الجهاد قال لا أجده وكان الله لا يستوى القاعد من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله .

” أما جهاد النفس فمراتبه أربع مراتب

قال ابن القيم رحمه الله تعالى ” وجهاد النفس أربع مراتب

الاولى أن يجاهد على تعلم الهدى ودِين الحق الذي لا فلاح لها ولا سلطان مني  
مماشها ومعادها الا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين ” (١)

كبرياتها <sup>كبرياتها</sup> وينبغي للمعلم أن يجاهد نفسه على الصبر في طلبه وحاسبها وينزع عن نفسه  
وغطرستها وخضمتها للمعلم تواضعا واحتراما له ولاهله ويلزم العلماء للاستفادة  
من علومهم والاختذ عنهم ويتحمل المشاق في سبيله يرجو بذلك وجه الله والدار الآخرة  
ويحفظ على الأمة الإسلامية دينها ويعلم أن العلماء ورثة الانبياء وميراثهم العلم الذي  
جاؤا به من عند الله لهداية البشر من الضلالة الى الهدى ويعلم أن العلم لا يسدرك  
براحة الجسم واتباع الطلقة يقول ابن عبد البر رحمه الله

ما أن ينال الفتى علما ولا أدبا . . . براحة النفس واللذات والطرب (٢)

ولا يخفى أن الذي لا يتحمل ذل التعلم ومصاعبه ومشاقه يبقى أسير الجهل مدى  
حياته لذا يذكر ابن عبد البر ” من لم يتحمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل  
أبدا ” (٣)

ويقول الامام الشافعي رحمه الله تعالى ” لا يطلب هذا العلم أحد بالمال  
وعز النفس فيصلح ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق الميش وحرمة العلم أفلح ” (٤)

وسعد هذا نذكر بعض النماذج التي وردت عن سلفنا الصالح رضي الله عنهم <sup>الهي</sup>  
تدل على مدى حرصهم على هذا التراث العظيم الذي هو تركتنا نبينا صلى الله  
عليه وسلم من ذلك ما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ” يقولون  
أن أبا هريرة قد أكثر والله الموعد ويقولون ما بال المهاجرين والانصار لا يتحدثون مثل  
أحاديثه وسأخبركم عن ذلك أن أخواني من الانصار كان يشغلهم عمل أرضهم وأن  
أخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفاق بالاسواق وكنت أزم رسول الله صلى

(١) زاد المعاد ج ٢ ص ١٠٦

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١١٠

(٣) المصدر السابق ١١٨

(٤) المصدر السابق ١١٧

الله عليه وسلم على مل \* بطنى فاشهد اذا غابوا واحفظ اذا نسو ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثى هذا ثم يجمعه الى صدره فانه لم ينس شيئا سمعه فبسطت برودة على حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها الى صدرى فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثنى به ولولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه ما حدثت شيئا أبدا .

" ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى الى آخر الايتين " (١) لفظ مسلم .

فأبو هريرة رضى الله عنه لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا منه على الفائدة والملم ولا حاجة له فى الدنيا وحطامها الفانى وانما همه الاكبر حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا لما كان الحديث شغله الشاغل الذى أخذ عليه لبسه بذل جميع ما يمكن فى تحصيله وصار يبحث عن الوسائل التى تمكنه من حفظه فمسن ذلك ما روى البخارى رحمه الله عنه قال " قلت يا رسول الله انى سمعت منك حديثا كثيرا فأنساه قال ابسط رداك فبسطت ففرف بيده فيه ثم قال ضمه فضمته فما نسيت حديثا بعد " (٢) .

فكانت نتيجة هذا الحرص أن حفظ رضى الله عنه ما لم يحفظه غيره من الصحابه رضى الله عنهم مع أنه لم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مدة قصيرة وهى ثلاث سنوات أو تزيد قليلا وهذا من فضل الله ثم هذه المعجزة التى أعطاها الله رسوله صلى الله عليه وسلم ونفع الله بها أهل هريرة لملازمته الرسول عليه السلام لانه كما قال رضى الله عنه كان يسمع ما لا يسمعون ويحضر ما لا يحضرون كان من أثر ذلك أن حفظ على الامة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك حرص أصحاب رسول الله على هذا الزمن الزاهر فحفظوا ما لم يحفظ غيرهم .

وكذلك يذكر ابن عبد البر رحمه الله أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان يأتى عبيد الله بن عبد الله يسأله عن علم ابن عباس فرما اذن له وربما حجبه " (٣) .

---

(١) انظر صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٦ ص ٥٣ والبخارى ج ١ مع فتح البارى ج ١ ص ٢١٣ .  
(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٦٦ .  
(٣) جامع بيان المعلم وفضله .



وذكر أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال " بلغنى حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتعدت بعيرا فشددت عليه رحلى ثم سرت اليه شهرا حتى قدمت الشام فاذا عبد الله بن أنيس الانصارى فاتيت منزله وأرسلت اليه أن جابرا على الباب فرجع الى الرسول فقال جابر بن عبد الله نقلت نعم فخرج النبي فاعتنقته واعتنقني ، قال قلت : حديث بلغنى عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه أنا منه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( يحشر الله العباد أو الناس ) الحديث (١)

فهذا الحرص العظيم والطلب الدائم هو الذى جعلهم فى قمة العلم والمعرفة  
والله أعلم .



---

(١) جامع بيان العلم وفضله ح ١ ص ١١١

المرتبه الثانية من مراتب جهاد النفس الممل بالمعلم  
قال ابن القيم رحمه الله المرتبه الثانية " أن يجاهدها على العمل به بعمد  
علمه والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها " (١)

مجرد العلم بدون عمل اذا لم يضر صاحبه لم ينفعه أبدا وهذا النوع قد كثرت  
الايات الواردة في أبواب العلم والعمل كما وردت في الذين معهم علم ولا يعملون بسبه  
قال تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بمضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر  
ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيمون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزز  
حكيم " (٢)

وقال تعالى " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا  
خالدين فيها لا يبيضون عنها حولا " (٣)

فهذه أعمال وصف الله تعالى بها المؤمنين القائمين بأوامره المتعمدين عن  
نواهييه وهذه العلامة الفارقة بين المؤمنين حق الايمان والمدعين الكاذبين فمن عمل  
بما علم لحق بركب المؤمنين ومن ادعى الايمان والعلم والمعرفة وأقواله تخالف أفعالهم  
كان في ركب المنافقين عافانا الله من النفاق .

ولا يخفى أن الايمان هو العلم لانه لا يأتي الا بعمد العلم الصادق بأن الله  
هو الخالق الرازق المالك المتصرف في الكون وما في الكون المدبر لشئونه فكان الايمان  
هو أصل العلم والعمل الصالح هو دليل العلم المطبق له المقتل في امثال الاوامر  
واجتناب المناهي والايات الدالة على العلم والعمل به كثيرة جدا كما أن أقوال السلف  
في هذا المجال واسعة لا يستطاع حصرها .

قال الحسن البصرى رحمه الله

" العالم الذى وافق علمه عمله ومن خالف علمه عمله فذلك راوية حديث سمع  
شيئا فقاله " (٤)

(١) زاد الممادح ٢ ص ١٠٦

(٢) التوبة ٧١

(٣) الكهف ١٠٧ ، ١٠٨

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢ ص ٩

وقال الشاعر وهو سابق البربري

إذا العلم لم تعمل به كان حجة • عليك ولم تعذ ربما أنت جاهله  
فان كنت قد أهرتيت علما فانما • يصدق قول المرء ما هو فاعله (١)

هذه بعض النماذج التي تدل على أن العمل بالعلم يوصل الى أعلى الدرجات  
في الجنة كما نفي قوله تعالى " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات  
الفرديد وس نزلا خالد ين فيها " فعملهم أورثهم أعلى الدرجات في الجنة وكانوا نفي  
رحمة الله سبحانه وتعالى •

وقد جعل الله سبحانه العمل دليلا على صدق القول لهذا لما امتحن الله  
المنافقين امتحنهم بالعمل ان كانوا كما يقولون صادقين في قولهم فقال سبحانه وتعالى  
" وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة  
فنبئكم بما كنتم تعملون " (٢)

ولا يمارى في أن العمل هو ثمرة العلم وأن علما بلا عمل كشجر بلا ثمر ولقد  
قص الله علينا قصص أقوام لم يعملوا بعلمهم فصار عليهم عارا عليهم ووصمة في وجوههم  
ومثلا يتلى على الاسماع الى يوم القيامة قال تعالى

" واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من  
الفالسين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب  
ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص  
لعلمهم يتفكرون " (٣)

ذكر المفسرون اختلافا في صاحب القصة وفي الايات التي أوتيتها ولكن الخلاف  
في ذلك لا يهمننا انما الذي يهمننا أن الله تعالى أعطى هذا حجج التوحيد وأدلتسه  
حتى صار عالما بها فتركها وراه ظهريا ولم يلتفت اليها ليتهدى بها ويعمل بما علمه  
الله من الدلائل على وحدانيته وربوبيته بل فارقه وضمه الشيطان الى صفه بمد خروجه

(١) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٠

(٢) التوبة ١٠٥

(٣) الاعراف ١٧٥ ، ١٧٦

### آيات

من آيات الله وذهاب نور البصيرة من قلبه فصار من الضالين المفسدين وهذا بسبب خروجه من طاعة الله وسكونه الى الدنيا ولذا اذها ومتابعة الهوى ومخالفة أوامر الله سبحانه وتعالى فهو كالكلب في أحسن أحواله وأقبح صفاته فهو في الدنيا وسميها وفي جميع حطامها يشبه الكلب في لهثه سواء طرد أو ترك فهو يلهث قال الزمخشري في قوله فضله كمثل الكلب \* فصفته التي هي مثل في الخسة والضمّة كصفة الكلب في أحسن أحواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أم لا \* شد عليه وهي هيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا \* (١)

وفي هذه القصة تحذير لنا من اتباع الهوى ومخالفة أوامر الله سبحانه وتعالى لان فئلة العالم ليست كزلة الجاهل فالعالم بالشئ ليس كالجاهل به وقائنا الله من النزل وجنينا الفتن \*

وكما قد شبه العالم بالكلب فقد شبهه بالحمار في حالة عدم الانتفاع بالعلم فقال تعالى : " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا يئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين " (٢)

قال الزمخشري " شبه اليهود في أنهم حطة التوراه وقراؤها وحفاظها فيها ثم أنهم غير عاملين بها ولا منتفمين بآياتها وذلك أن فيها نعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به - بالحمار حمل أسفارا : أى كتباً كباراً من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتمب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله " (٣)

وهذا المثل وان كان يخص اليهود فهو شامل لمن لم يعمل بعلمه من أهل الكتاب من النصارى وكذلك المسلمين اذا لم يعملوا بما علمهم الله من كتابه وحكمته والله أعلم \*

(١) الكشاف ج ٢ ص ١٣١

(٢) الجمعة ٥

(٣) الكشاف ج ٤ ص ١٠٣

### المرتبة الثالثة من مراتب جهاد النفس

وهي أن يجاهد بها على الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه والا كان من الذين يكتُمون ما أنزل الله من الهدى والبيّنات ولا ينفصه علمه ولا ينجيه من عذاب الله " (١)

وهذا النوع من أنواع جهاد النفس يتبع النوعين السابقين وذلك أنه لما تعلم الهدى وجاهد نفسه على ذلك وجب عليه العمل به ومن العمل به الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه وهذا النوع ثمرة العلم المطلوبة التي هي أفضل المراتب لان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يقول " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (٢)

ومعلوم أن هذا طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام كما هي وظيفة اتباع الرسل وحملة العلم ودعاة الخير والاصلاح وقد قال الله سبحانه وتعالى " ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " (٣)

وقال أيضا ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترّون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم " (٤)

قال القرطبي في تفسير الآية الاولى " واختلفوا من المراد بذلك ، فقيل أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقد كتم اليهود أمر الرجم وقيل المراد كل من كتم الحق فهى عامة فى كل من كتم علما من دين الله يحتاج الى بشه " (٥)

وقال فى الآية الثانية مثل ذلك

والاولى هى التى قصد أبو هريرة رضى الله عنه عند ما قالوا أكثر أبو هريرة ولمولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو أن الذين يكتُمون ما أنزلنا من

(١) زاد المصاح ٢ ص ١٠٦

(٢) انظر صحيح البخارى ح ٦ ص ١٥٢

(٣) البقرة ١٥٩

(٤) البقرة ١٢٤

(٥) تفسير القرطبي ح ٢ ص ١٨٤

البيانات ( الى قوله الرجيم ) لفظ البخارى (١)

يقول القرطبي رحمه الله وقد استدل العلماء بهذه الاية على وجوب تبليغ الملم الحق ، وتبيان الملم على الجملة دون أخذ الاجرة عليه اذ لا يستحق الاجرة على ما عليه فعله كما لا يستحق الاجرة على الاسلام (٢)

فالدعوة الى الله سبحانه وتعالى وابلاغ ما أنزل الله على رسله هي وظيفة الرسل من أولهم الى آخرهم فطريقهم الجهاد في سبيل الله باليد واللسان من أولهم الى آخرهم فنوح عليه السلام يقول لقومه من حين بعث بشيرا ونذيرا " يا قوم انسى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون " (٣)

وهذا ابراهيم عليه السلام يحاور أباه بالطف عبارة تظهر لوالده التواضع والرحمة والرفقة في الخطاب لماله يجد طريقا لانقاذه من ورطة الشرك واتباع الشيطان يقول : " واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لآبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا ، يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمىن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمىن فتكون للشيطان وليا " (٤)

فهذه طريق جميع الرسل من أولهم الى آخرهم

يقول الله تعالى فى حق نبيه عليه الصلاة والسلام فى أمره بالبلاغ " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " (٥) وكذلك قوله " فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين " (٦)

(١) انظر صحيح البخارى ج ١ ص ٢٩ ومسلم مع شرح النووي ج ١٦ ص ٥٢ - ٥٤

(٢) تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٨٥

(٣) سورة نوح ٢ - ٤

(٤) مريم ٤١ - ٤٥

(٥) المائدة ٦٧

(٦) الحجر ٩٤ - ٩٥

فقام عليه الصلاة والسلام بما أمره به ربه فجاهد في الله حق جهاده فجاهد النفس على تحمل المشاق وإبلاغ دين الله إلى عباده ولم تأخذه في الله لومة لائم بل شمر عن ساعد الجند ودعا إلى دين الله سرا وجهارا ولم يبال بالمصائب والمراقيل التي وقعت في طريقه ولا قاهها هو واتباعه في أثناء دعوته مع خطورتها فلقد تمرضت له قرش عند عمه أبي طالب وهيد دوه بالمناجزة والمقاتلة إذا لم يكف ابن أخيه عن دعوته فقال له عمه " يا ابن أخي ان قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا له فأبق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق " قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بدا<sup>(١)</sup> وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته " (١)

وهكذا جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه في إبلاغ هذا الدين مع شدة المعارضة غير مبال بما هدد به وما أصابه وأصاب أصحابه الكرام من الممارسة القاسية التي لا ترحم ضعيفا للضعفه ولا غريبا لغريبته حتى أظهر الله تعالى دينه مع كبره المشركين وممارسة المعارضين ثم قام أصحابه الكرام بهذا الواجب العظيم في إبلاغ عباد الله دين الله حتى بلغ الدين الإسلامي الافاق وعم الخير جميع الاقطار ودخل عباد الله في دين الله أفواجا فبلغوا العلم بالقول والعمل فهذا صاحبه أبو ذر رضى الله عنه يقول " لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أنسى أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على<sup>(٢)</sup> لانفذتها " (٢) وذلك لأنه أخذ ذلك من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نفي الحديث " ألا ليبلغ الشاهد منكم الفائب " (٣) والعلماء هم ورثة الانبياء كما أورد ذلك البخاري وغيره قال رحمه الله تعالى " ان العلماء هم ورثة الانبياء ورثوا العلم " (٣)

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٦٦

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٠

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٧

«أخذه أخذ بحظ وافر ومن ملك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا السوي الجنة» (١)

فاذا كان العلما ورثة الانبياء وميراثهم العلم وجب على العلما ايصال الميراث الى أهله وتعليمه من لا يعلمه ومن لم يقم من العلما بهذا الميراث العظيم صدق عليهم قول ابن القيم " فان علمه لا ينجيه من عذاب الله تعالى .  
وقد قيل ما من شيء أعطى منه الا نقص الا العلم فانه يزيد بالانفاق من الله والموفق .

\*\*\*

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٠



المرتبة الرابعة من مراتب جهاد النفس  
الصبر

من مراتب جهاد النفس الصبر على مشاق الدعوة الى الله وأذى الخلق وتحمل ذلك كله لله \* (١) لا يخفى أن

من لوازم الدعوة الى الله سبحانه وتعالى أن يتعرض أصحابها للآذى الشديد فسي سبيل ابلاغها للناس وهذا لان تحويل عقيدة الانسان وتغييرها ليس من السهل وخروجه عن عاداته ومألوفاته شاق على النفس فنادا أرباب الداعي الى الله أن يدعو هؤلاء الذين تمكنت عقائد الباطل وعاداته من نفوسهم قاموا دونها بالنفس والمال واليسد والجنان وبذلوا كل غال ورخيص في الدفاع عن المألوفات الباطلة والمعبودات التي لا تغني عنهم من الله شيئا لهذا يقول سبحانه وتعالى عنهم " بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون \* (٢)

وهذه سنة متبعة في جميع الامم مع رسلهم من أولهم الى آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم كما أخبر عنهم القرآن الكريم فقال

" كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون \* (٣)

فاذا تعرض الداعي الى هذه الطل التي قد أخذت منهم كل لب وأمترجت بدمائهم ونشأ عليها الصغير وشاب عليها الكبير رأوا من العار التخلي عنها ومفارقتها فمعد ذلك تقوم جهيتهم وتثور عصبيتهم فيقفون في وجه الدعوة والداعي ويضيقون عليه وعلى دعوته فيصاب بالآذى والمكروه ويحال بينه وبين الدعوة وايصالها وابلاغها المجتمعات لهذا وجب عليه الصبر وتحمل الآذى ومجاهدة نفسه وتحميها الصبر على المكروه ولا يتوقف عن دعوته بل يتحمل هذا لله سبحانه وتعالى لانه قد بذل لله نفسه

(١) انظر زاد المعاد ح ٢ ص ١٠٦

(٢) الزخرف ٢٢

(٣) الزخرف ٢٣

وباعه<sup>منه</sup> فيكون غضبه لله وجهاده لله وحميته لله تعالى ويعلم أن الله تعالى ناصره  
وأخذ بيده في الدنيا والاخرة لان الله سبحانه وتعالى يقول " انا لننصر رسلنا  
والذين آمنوا في الحياة الدنيا وهم يقومون بالاشهاد " (١)

ويقول " وان جندنا لهم الغالبون " (٢)

ويقول " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " (٣)  
فاذا علم الداعي أن الله ناصره في الحياة الدنيا وفي الاخرة وأن جند الله  
وحزبه هو الغالب تحلى بالصبر والمصابرة واتقى ربه فلم يبال بالمقبات الواقعة في  
طريقه وما ينال الدعوة واتباعها من العثرات التي تقف حائلا دون سيرها ولم ييأس  
من روح الله لان الله جعل المقبات امتحانا للدعوة والداعي لينظر هل يكون صادقا  
في دعوته وان المؤمن الصادق في ايمانه المخلص لربه لا تزيد العثرات والمراقيل  
التي تقف في وجهه الا يقينا وقوة وتحملا فلا مدخل للقنوط والياس من نفسه فهو يسير  
في طريقه غير مبال بهذه المصائب مؤمنا بنصر الله على بصيره من أمره وقوة ويقين أخذا  
بالسلاح الروحي مجاهدا في الله حق جهاده أخذا بعبره من قصص الامم السابقة مع  
رسلهم ان فتن ذكر ما هدد به رسل الله وألباؤه كما حدث به القرآن الكريم عنهم فقال  
عن نوح عليه السلام

" قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين " (٤)

وهذا خليل الرحمن عليه السلام يقول له قومه " حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم  
فاعلين " (٥)

وهذا سيد الاولين والاخرين عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم يحكم عليه بالسجن  
أو القتل أو الاخراج من الارض كما ذكر الله ذلك في كتابه يقول تعالى " واذ يمكر  
بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " (٦)

(١) غافر ٥١

(٢) الصافات ١٧٣

(٣) آل عمران ٢٠٠

(٤) الشعراء ١١٦

(٥) الانبياء ٦٨

(٦) الانفال ٣٠

فاذا أيقن الداعي الى الله وصدق بما حدث لا شرف الخلق وهم رسله هانت عليه  
المصائب والمقبات التي تقف في طريقه وعرف أنها سنة متبعة وطريق لم تكن مبتدعة  
بل هي سنة الرسل واتباعهم عزي نفسه والزمها بالصبر على طاعة الله وجهاد أعداء  
الله كما أن الله تعالى يذكر ذلك لرسوله عليهم السلام اذا ضاقت عليهم الحيل وضاقت  
عليهم الدنيا يقول تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام " فاصبر كما صبر أولوا  
العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ~~الخطاب~~ لم يلبثوا الا ساعة من  
نهار " (١)

ويقول ولقد استهزى برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا بسـه  
يستهزون " (٢)

فاذا سمع الداعي الى الله هذه الايات ازداد ايمانه وعلت همته وذهب عنه  
اليأس والقنوط عرف أنه لا يحل للمسلم أن يقنط من روح الله " انه لا يأبئس من روح  
الله الا القوم الكافرون " (٣)

وعرف أن نصر الله يأتي مع الصبر وعند عظم الكرب فاذا اشتد البلاء وعظم الخطر  
وظهر الصبر في دين الله جاء الله بالفرج وأزال الهم والنهم من نفوس أوليائه وظهور  
صدق الرسل واتباعهم كما قال الله تعالى

" حتى اذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء  
ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين " (٤)

ويقول سبحانه وتعالى " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم  
جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعلمون بصيرا اذ جاؤكم من

(١) الاحقاف ٣٥

(٢) الانبياء ٤١

(٣) يوسف ٨٧

(٤) يوسف ١١٠

فوقكم ومن أسفل منكم واذ زافت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا  
هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا \* (١)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية يقول تعالى مخبرا عن ذلك الحال حين نزلت  
الاحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية من الجهد والضيق ورسول الله صلى  
الله عليه وسلم بين أظهرهم انهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا وظهر النفاق  
وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم \* (٢)

وقد أكد القرآن الكريم هذه الظاهرة انها للامتحان فقال سبحانه وتعالى \* أم  
حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين آمنوا من قبلكم <sup>حذروا</sup> معتهم البأساء والضراء  
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه <sup>صحيح</sup> نصر الله ألا ان نصر الله قريب \* (٣)

وقال تعالى \* ألم أحب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد  
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين \* (٤)

فعلم أن جميع العقبات التي يتعرض لها الداعي هي للاختبار والامتحان حتى  
يظهر المخلص من المنافق والمرتاب وهذا بالنسبة للمخلوق أما الخالق فهو يعلم  
ذلك من قبل أن يختبر قال ابن كثير في تفسير هذه الايات \* استفهام انكار ومعناه  
أن الله تعالى لا بد أن يبتلى عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء  
في الحديث الصحيح \* أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل  
يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابه زيد له في البلاء \* (٥)

ثم أورد الايات المشابهة لهذه الآية الى أن قال ولهذا قال ها هنا ولقد  
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا <sup>وليعلمن</sup> الكاذبين \* أي الذين

(١) الاحزاب ٩ - ١١

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٣

(٣) البقرة ٢١٤

(٤) المنكوت ١ - ٣

(٥) انظر مسند أحمد بترتيب الساعات ج ١٩ ص ١٢٦ وسنن ابن ماجه ج ٢

صدقوا في دعوى الايمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه والله سبحانه وتعالى يعلم  
ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وهذا مجمع عليه عند أئمة السـنة  
والجماعة" (١)

فهذه نماذج من القرآن الكريم والحديث الشريف تفيد أنه لا بد من اختبار  
الداعي الى الله سبحانه وتعالى واظهاره للناس كما يعلم الله ذلك منه ولو لم يختبره فان  
كان صادقا في دعواه لم تزده هذه الاختبارات الا قوة وبقينا وان كان مدعي <sup>لغير</sup> نفسه  
أول صدمة يظهر ما كان في نفسه من مرض ونفاق وكذب وارتياح وقدم صمود للشدائد  
التي تمرض للمؤمن وتفحصه فيظهر للناس كما يعلم الله ذلك منه .

هدانا الله صراطه المستقيم ورزقنا الثبات في الدنيا والاخرة .

\* \* \*

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٤

## النوع الثاني من أنواع الجهاد " جهاد الشيطان "

لما كانت عداوة الشيطان قديمة لادم وذريته احتاجت الى جهد عظيم وكفاح شديد مستمر لا يعرف الكلل والطلل لانه منذ خلق آدم ونفخ فيه الروح وأمر الله ملائكته بالسجود لادم تشريفا وتعظيما لمن خلق لعمارة الارض وخلافتها ظهرت عداوته وتفجر حقه وقال " لاأسجد لمن خلقت طينا " (١)

كما زاده الضرور والتكبر على احتقار آدم فعند ما عاتبه ربه عن سب امتناعه من السجود قال : " أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " (٢)

فقد اعترض على أمر الله واحتقر آدم وصره من لمدم سجوده مع الملائكة أن أصله خير وأفضل من أصل ادم اذ النار في نظره هي أفضل من الطين وقد خلق الله ايليس من النار وخلق آدم من الطين فكيف يسجد الشريف لمن هو دونه في الرتبة هذا قياس الشيطان الذي قاسه من غير مهالة بمن صدر الامر من عنده فكأنه يقسول أنه لا يجوز <sup>أمرنا</sup> <sup>أمرنا</sup> يا رب بالسجود لمن هو دوني في الفضل والشرف فلا يلزمني أن أمثل أمرك اذا أنا أعلى وأشرف من هذا الذي أمرتني بالسجود له وتجاهل انه تكبر على الله سبحانه وتعالى ورفض أمره بفتخرا بأصله وما علم " ان من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوا والذي في جوهرها من ذلك هو الذي حمل الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق على الاستكبار عن السجود لادم والاستخفاف بأمر ربه فأورثه المطب والهلاك .

وكان معلوما أن من جوهر الطين الرزانة والحلم والحياء والتثبت . وذلك كان الداعي لادم بعد المعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسالته ربه المغفوعه والمغفرة " (٣) .

(١) الاسراء ٦١

(٢) الاعراف ١٢

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ج ٨ ص ١٣ الطبعة الثالثة عام ١٣٨٨ مطبعة الحلبي بمصر .

فعلم من هذا أن أصل آدم أفضل من أصل ابليس وقد ذكر القرطبي أن الحكماء قالوا إن الطين أفضل من النار من أريمة وجوه ذكر لمقارنة التي سبقت منها .

" والثاني أن الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفره ، ولم ينطق الخبر بأن في الجنة نارا وإن في النار تراباً .

الثالث - أن النار سبب العذاب وهي عذاب لا عذابه ؛ ولهي التراب سببها  
• للمذاب

الرابع - أن الطين مستغن عن النار والنار محتاجة الى المكان ومكانها  
• السراب

ثم قال قلت: ويحتمل قولاً خامساً وهو أن التراب مسجد وظهور كما جاء في  
صحيح الحديث\* (١)

وأيضاً مع شرف أصل آدم عليه السلام وفضله فقد خصه الله سبحانه وتعالى بمخلقه بيده وعلمه ما لم تعلم الملائكة الكرام فظهر فضله عليهم وكذلك ليستخلفه الله في الأرض وجعله خليفة فيها ينشر العدل ويحكم بالقسط ويعلم ذريته ما أوحاه الله اليه من الخير ويحذر بعضهم بمضا الشرفتين فضله وكرم أصله وشيأته واعتزافه بالخطأ والمودة الى الله <sup>والتفاهة</sup> وساتفاره من ذنوبه حتى تاب الله عليه .

أما ابليس فأخذه الشرور وغمط الحق ولم يتسبب الى الله من نيرته وعثرته ثم كان عاقبة هذا الشرور والكبر طرده من رحمة الله وإبعاده فقال الله سبحانه وتعالى له جزاء لهذه الممصية " قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين قال لم أكن لا سجد لبشر خلقته من صلصال من حـمـاء مستون قال فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك اللعنة الى يوم الدين " (٢)

(١) تفسير القرطبي ج ٧ ص ١٧١ نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر

القاهرة ١٣٨٧ هـ .

(٢) الحجر ٣٢ - ٣٥

وقال " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين •

قال ما منعك الا تسجد اذا امرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته مسنطين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج أنك من الصاغرين • (١)

وقال " واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج من هنا رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين • (٢)

وغير ذلك من الايات التي دلت على جزاء الشيطان على تكبره ومعصيته لله سبحانه وتعالى •

فقد أُخبر من الجنة ملعونا مرجوما في حالة اهانة له مع الذل والخزي الملازم له طوال حياته ثم تكون عاقبته دخول النار فـجوزى <sup>بالصغار</sup> بالكبر الصفير وجوزى على الممصية الخروج من الجنة والهبوط •

ثم انه خرج بعد هذا ساخطا على آدم وذريته متوعدا بعد أن طلب من الله النظرة الى يوم البعث واعطي النظرة ثم تحدى بنى آدم على أن يضمهم الى صفه في جهنم الا من أخلصه الله تعالى منه وانجاه جعلنا <sup>الله</sup> للناجين من مكره وكيد •

فقال " رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبمزتك لاقونهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين • (٣)

(١) الاعراف ١١ - ١٣

(٢) البقرة ٧١ - ٧٨

(٣) البقرة ٧٩ - ٨٣



أخرج من الجنة وهو متوعد لادم عليه السلام وذريته يقول " فيما أغويستني  
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا تينهم من بين أيديهم <sup>و</sup>خلفهم وعن أيانهم  
وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين " (١)

أقسم اللعين باغوا الله له واضلاله واهلاكه ليقعدن لادم وذريته  
على الطريق المؤدى الى طاعة الله والى مرضاته وذلك بالصد عنه وتزيين الباطل  
حتى يقموا فيما وقع فيه من الخيبة والهلاك والضللال كما أنه يعلم أن الطريق  
الموصل الى الجنة هو الصراط الذى لا عوج فيه وأنه سوف لا يترك منفذا يقربهم  
الى الله الا أتى اليهم منه حتى لا يصلوا الى مقصودهم ومطلوبهم وهو رضا الله  
ثم دخول الجنة ولهذا يقول " ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن  
أيانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين " بمعنى أنه يصددهم عن طريق  
الحق ويغيبهم فى الدنيا ونعيمهم الآخرة حتى لا يلاقوا الله موحدين وطائعين  
مظهرين لشكره مستحقين لجنته .

كما يقول أيضا

قال رب <sup>وما</sup> أغويستني لا زين لهم فى الارض ولا غرضهم أجمعين " (٢) وأقسم هنسا  
أيضا أنه باغوا الله <sup>لل</sup>لزين لهم فى الارض أى ما داموا فى الدنيا والتزين منه  
اما بتحسين المماضى لهم وإيقاعهم فيها أو يشغلهم بزينة الدنيا عن فعل ما أمره  
الله به فلا يلتفتون الى غيرها " (٣)

<sup>وذريته</sup>  
تبين من هذه الايات أنه خرج من الجنة وهو يكن لادم العداوة الشديدة  
ويقسم أنه لا يترك طريقا يباعدهم عن الله الا زينهم لهم وهجم عليهم منه وسدده نفسى  
وجوههم حتى لا يلقوا ربهم شاكرين ومطيعين فلما كانت هذه عداوته وشدته

(١) الاعراف ١٦ ، ١٧

(٢) الحجر ٣٩

(٣) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٣ ص ١٣١ مطبعة الحلبي بمصر الطبعة

الثانية عام ١٣٨٣ هـ .

كثرت النذر محذرة شره ومكره وكيد ه لثلا يقع آدم فى مصائد الشيطان ولكنه لم يترك الخبيث الوسوسة فى صدر آدم حتى أخرجه من الجنة وذلك سبب حقه على آدم فذهب الخبيث يتتبع غفلات آدم ويتحين الفرص وهووسوس حتى تمكن من ايقاع آدم فيما حذره الله تعالى منه فأكل من الشجرة التى نهاه الله مكنها كما قال الله تعالى عنه ذلك

ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخفئان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين " (١)

ومن هذا نعلم تسلط الشيطان ومدى تأثيره على آدم الذى هو اكل وأرجح عقل من عقولنا وأكمل منا وذلك يدل على خطر الشيطان وقدرته على بنى آدم لهذا عظم خطره وتحدث القرآن عنه حتى يأخذ المباد حذرهم ويكونوا على حذر من مكره وكيد ه لانه هددهم وتوعد باستئصالهم فقال فى غير حيا

"أرايتك هذا الذى كرمت على لان أخرتني الى يوم القيامة لاهتكن ذريته الا قليلا" (٢)

فقد احتقر آدم عليه السلام فقال أخبرنى عن هذا الذى فضلته وشرفته على لم شرفته وفضلته على وأنا أفضل منه وبعد تهكم الشيطان بآدم هذا أقسم ان أخره الله الى يوم القيامة ليستأطن ذريته الا من عصمه الله تعالى بفضله

(١) الاعراف ١٩ - ٢٢

(٢) الاسراء ٦٢

ورحمته من الشيطان وانجاه من مخالفه التي لا تترك سبيلا الا وقمت عليه لاغواء بني آدم واضلالهم ولهذا ورد القرآن الكريم على ثلاثة أقسام فمنها ما كان انذاره خاصاً بآدم عليه السلام من كيد الشيطان ومكره .

ومنها ما كان عاما لبني آدم مؤمنهم وكافرهم ومنها ما خص الله تعالى بسسه المؤمنين من ذرية آدم .

فمن النذر التي وجهها الله تعالى لادم وزوجته وحدهما لانه ابو البشر وسبب الفتنة بينه وبين ابليس " يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى " (١)

أما الايات التي وردت في تحذير بني آدم مؤمنهم وكافرهم فمنها " يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزعنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " (٢)

ومنها قوله تعالى " يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الشرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السمير " (٣)

فهنا ينادى سبحانه الناس عموما ويقول ان المعاد حق ثابت لا محالسة فلا تشغلنكم هذه المعيشة الدنيئة عن السمادة الابدية التي أعدّها الله تعالى لاوليائه وأتباعه رسله ولا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عنها فانه خداع كذاب أفاك وهو مظهر لكم المداوة فكونوا أنتم أشد له عداوة بتكذيبه ومخالفة ما يأمر به معاصي الله سبحانه وتعالى لانه يقصد من دعوتكم أن تكونوا معه في أصحاب السمير كما أخبر عن ذلك بنفسه حيث يقول " ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم

(١) طه ١١٧

(٢) الاعراف ٢٧

(٣) فاطر ٥ ، ٦

وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا  
أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل أن الظالمين  
لهم عذاب أليم" (١)

هذا ما ورد فى القرآن الكرىم فى تحذير آدم من اتباع الهوى والشيطان  
الذى خرج يحمل الحقد لادم وذريته .

أما الخطابات الخاصة بأولياء الرحمن المؤمنين حتى يأخذوا حذرهم ولا يتمكن  
منهم هذا المد والدد المترىص بهم الد وائر المنتهز لشفلاتهم الذى يهجم عليهم  
متى واته الفرصة وهو يزين لهم المماصى واتباع الشهوات لعله يجد منهم ولو أدنى  
ممصية تجرهم الى صفه وحزبه يقول تعالى " يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات  
الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل اللسه  
عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبندأ ولكن الله يزكى من يشاء" والله سميع  
عليم" (٢) .

وكذا قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا  
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين" (٣)

فقد نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن طرائق الشيطان ومسالكه  
وما يأمر به من جميع معاصى الله سبحانه وتعالى ومن يسلك مسالك الشيطان ويتبع  
طرقه فانه قد وقع فى أقبح مصصية من معاصى الله ومخالفة أمر الله سبحانه وتعالى  
وشرعه .

ثم قال فى الاية الثانية يا من اتصف بالايان دم عليه ولا زمه فيما بقى مسن  
حياتك ولا تخن عن طاعته الى مصصيته ولا تتبع سبل الشيطان وطرقه لانه عدو

(١) ابراهيم ٢٢

(٢) النور ٢١

(٣) البقرة ٢٠٨

لدود ظاهر المداوة فيما يدعوك اليه ولا يريد الا هلاكك كما هلك .

### مداخل الشيطان على العباد كثيرة جدا

ان الشيطان يجرى من بنى آدم مجرى الدم فهو دائما يسمى <sup>دورا</sup> في قلبه الا وهام والشكوك ويدعوه الى الشرك وعبادته ولكنه يدخل عليه من حيث لا يشعر لانه لو عرف الانسان أن هذا عدو البشرية لاخذ حذره منه وطارده بكل ما فى نفسه من قوة فهو يأتى الى بنى آدم مع طرقه المتعددة الملتوية التى يصل الى مقصوده منها وهى تحسين المنكر والفحشاء بجميع أنواعه والاعجاب بالنفس نفس المباداة والكرم والشجاعة وغيرها

وغرس عقائد الشرك فى النفوس والتحريض عليها وعدم الاصفاة الى غيرها لهذا وقف اتباعه من الرسل عموفاً الحارب المستميت الذى يبذل كل طاقاته نفسى محاربة عبادة الله فى الارض وهو يحذر من انتشار الدعوة ويحاول أن يوفق صدورهم حتى لا يسموا لدعوة الرسل فيكونوا اتباعاً لا تأخذ ذلك على نفسه كما أنه يشبط عن فعل الخيرات ويخوف من هلاك الاموال والفقر ويحاول أن ينزع ثقة العبد من ربه ويمتد على اسبابه ولا يهتم <sup>على</sup> الله الذى يرزق من شاء من عباده بغير حساب " الشيطان يمدك الفقر ويأمرك بالفحشاء " والله يمدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم " (١)

كما أنه يحاول أن يصيب من بنى آدم غفلة أو شهوة أو غضباً يقول ابن القيم رحمه الله ان الشيطان يدخل على ابن آدم من ثلاثة أبواب " باب الغفلة وبسباب الشهوة وباب الغضب " (٢)

(١) البقرة ٢٦٨

(٢) الوايل الصيب من الكلم الطيب بتصرف ص ٤

لان هذه الابواب الثلاثة ركبت في ابن آدم مهما احترس منها فلا بد له من غفلة ولا بد له من شهوة ولا بد له من غضب الا من عصمه الله سبحانه وتعالى فهو دائم يوسوس له ويزين له المنكرات والمماصى ويمدده ويمنيه وما يمدده الا غرورا واذا رأى من فيه صلاح وتقوى حاول أن يجره الى مجتمعه الباطل حتى ينال بذلك منه غرة ليكنسون من الظالمين كما أنه زعيم القوانين الوضعية والتحاكم الى الطاغوت كما ذكر الله سبحانه وتعالى عنه ذلك يقول :

" ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا " (١)

ومن مداخله أيضا قصود <sup>قصود</sup> بكل طريق يسلكه ابن آدم فقد روى الامام أحمد عن سيرة ابن الفاكه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقدم له بطريق الاسلام . فقال : أتسلم وتدين دينك ودين آباءك وآباء أبيك ؟ فمصاه فاسلم . ثم قصد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسمائك وانما مثل المهاجر كالفارس في الطول قال فمصاه فهاجر قال ثم قدم له بطريق الجهاد فقال له : هو جهاد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتتخ المرأة ويقسم المال قال فمصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو قتل كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة وأن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة " (٢)

وكذلك من مداخله اثاره المداوة والبغضا بين المؤمنين كما في قوله انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم المداوة والبغضا في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون " (٣)

(١) النساء ٦٠

(٢) انظر سنن النسائي ح ٦ ص ٢١

(٣) المائدة ٩١

فهو يريد أن يوقع الشقاق والنفاق في قلوب المؤمنين كما أنه يشغلهم عن ذكر الله وطاعته لملمهم يكونون من جنده فطرقة لا تحصى كثيرة ولكن كيف نجاهده وكيف يسلم المسلم من كيدته وشره انه لا قوة للمسلم ولا حول له الا بالاعتصام بالله والالتجاء الى جنابه كما أرشد القرآن الكريم الى ذلك في كثير من آياته فعندما يشعر المسلم بخطرته يلوذ بحماة الله من شره وكيدته وهكره يقول الله " واما ينزعنك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا سهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون " (١)

وقوله " واما ينزعنك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه هو السميع العليم " (٢) فأوضحت هاتان الايتان ان الشيطان ينخس ابن آدم كما تهمز الراضية الدواب حثا لها على المشي فالشياطين يحثون الناس على المعاصي ويفرونهم عليها وينزفون لهم طرق الشر والفساد بسبب الغضب أو الفلقة أو الشهوة فعلاج هذا هو الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى لانه سميع لما تقول عليم بما يذهب عنك نزع الشيطان وشكوكه وسبيل المؤمنين المطيعين اذا ألم بهم طائف من الشيطان ليحطهم على معصيته الله سبحانه وتعالى وايقاع البغضاء بينهم تذكروا فضل الله عليهم وعقب المحصاة وشواب المطيعين فاذا هم على بصيرة من أمرهم وشاهدوا الحق والباطل فعملوا بالحق وابتعدوا عن الباطل فزال القوساوس الشيطان من قلوبهم وصاروا على يقين من أمرهم ورجع الشيطان مضموما لانه لم يجد سبيلا يأخذه على أولياء الله وحزبه وقد أمر الله سبحانه بالالتجاء اليه من وساوس الشيطان وخطرته في غير موضع من كتابه ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

" قل أعوذ برب الناس ملك الناس الى الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس

في صدور الناس "

(١) الاعراف ٢٠٠ ، ٢٠١

(٢) فصلت ٣٦

وقوله " فاذا قرأت القرآن فاستمذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتسولون " (١)

كما أن السنة النبوية تحت على ذلك وتوضح أن الذي يمتصم بالله ويطلب منه العمون لا يحوم حوله شيطان أبدا من ذلك ما في السنن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال اذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال يقال حينئذ كفيته ووقيت وهديت فيتحنى له الشيطان فيقول للشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى " لفظ أبي داود (٢)

وكذلك ما في صحيح مسلم

عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء " واذنا دخل ولم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان ادركتم المبيت فاذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال ادركتم المبيت والعشاء " (٣)

وأیضا فی صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى " (٤)

وظهر من هذا أن جهاد الشيطان ليس بحمل السيف وانما هو بالالتجاء الى الله وذكره والله أعلم .

(١) النحل ٩٨ ، ٩٩

(٢) سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ج ١٣ ص ٤٣٧ ط الثانية ١٣٨٩ هـ الناشر محمد عبد المحسن بالمدينة المنورة

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ١٩٠

(٤) المرجع السابق ج ١٧ ص ١٧



## النوع الثالث من أنواع الجهاد جهاد الكفار والمنافقين

جهاد الكفار والمنافقين وهذا هو مقصود البحث وغايته لان غيره من أنواع الجهاد وسيلة اليه وهذا النوع هو الذي احتدم نزول القرآن الكريم في شأنه وفي احكامه فقال الله تعالى فيه : " فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد " (١)

وقال عز وجل : " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين " (٢)

وقال أيضا " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير " (٣)

وقال عز ذكره : " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين " (٤)

وقال تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يمسوا الجزية عن يديهم صاغرون " (٥)

وغير ذلك من الايات العظام التي وردت في هذا المعنى وحرصت على القتال والقسوة على أعداء دين الله وأعداء المدالة وأعداء البشرية جمعا فأمر الله عز وجل بقتل المشركين في أي مكان وجدوا من حل أو حرم وأخذهم وأسروهم وحصرهم ومنعهم من التصرف في بلاد المسلمين والقعود لهم في الطرق التي يتكن من القضاة

(١) التوبة ٥

(٢) التوبة ٣٦

(٣) التوبة ٧٣

(٤) التوبة ١٢٣

(٥) التوبة ٢٩

المؤمنين

عليهم كما أمرهم بقتل المشركين عموماً كما يفعل ذلك المشركون بالمؤمنين وشجع بأنهم ان قاتلوا المشركين واتقوا الله في أمره ونهيته ولم يخالفوا أمره كان معهم على عهد وه وعد وهم ومن كان الله معه فلا غالب له وهذه بشاره من الله سبحانه وتعالى لعباد المؤمنين المجاهدين في سبيله وترغيب كُنْ بذل الاموال والنفوس والقضاء على عموم المشركين ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً .

وكذلك أمر بقتال أهل الكتاب لمدى إيمانهم بالله ويوم الحساب وما يكون فيه من الجزاء على الاعمال خيرها وشرها وتمردهم على شرائع الله تعالى فهم لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً وانما يتبعون أهواءهم وما يلد لهم وطيب فهو عندهم الحلال وهم متصرفون عما في كتبهم ومماندون لشرع الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فوجب عليكم أيها المؤمنون قتالهم وردهم الى دين الله تعالى أو حتى تذهب غطرستهم ومطرهم وكبرياتهم أو يسلموا الجزية وهم في حال الذل والضعف والاهانة لان ذلك جزاء من تمرد على شرع الله سبحانه وتعالى وأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بقتال من يليهم من الكفرة بعد أن صفا جوهم الذي حولهم فقاموا بهذا وظهر لهم الشدة والخشونة والجرأة والصبر على مناجزتهم ومقاتلتهم حتى دخلت أكثر الارض في دين الله طوعاً وكرهاً وخضعت لحكومة الاسلام واعطت الجزية وهي ذليلة صاغرة .

وقد جاء في قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية عن الضحاك بن مزاحم " انها فسخت كل عهد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أحد من المشركين وكل عقد وكل مدة " (١)

وهذه الآية هي آية السيف

وذكر ابن كثير رحمه الله تعالى قال قال العوفي: عن ابن عباس في هذه الآية ولم يبق لاحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلخ الاشهر الحرم ومدة

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٦

من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أريمة أشهر من يوم اذن ببراءة الى  
عشر من أول ربيع الاخر \* (١)

وقد جعل الله تعالى غاية قتالهم في هذه الاية حتى يسلموا ويقوموا بفرائض  
الاسلام وهى الصلاة والزكاة ولم يقل حتى يعطوا الجزية كما قال في أهل الكتاب  
لهذا اختلف العلماء هل تقبل من مشركى العرب الجزية أو لا يقبل منهم الا الاسلام  
أو القتل .

فقال الامام الشافعى ومن معه من العلماء \* لا تقبل الجزية الا من أهل الكتاب  
والمجوس عربا كانوا أو عجماء .

وقال أبو حنيفة تلخذ الجزية من جميع الكفار الا مشركى العرب ومجوسهم \* (٢)  
وقال ابن حنبل الظاهرى \* ولم يجعل للمشركين الا القتل أو الاسلام ولا همل  
الكتاب خاصة اعطاء الجزية وهم صاغرون \* (٣)

### الادلة

قال الامام الشافعى ومن معه هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأخذ  
الجزية من مشركى العرب والاية التى قال الله فيها \* فاقتلوا المشركين حيث  
وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة  
وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم \* فجعل غاية قتالهم حتى يسلموا ويقوموا بفرائض الاسلام  
لم يقل حتى يعطوا الجزية كما قال في أهل الكتاب \* (٤)

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٣٦  
(٢) انظر فتح البارى ج ٦ ص ٢٥٩ وشرح النووى على مسلم ج ١٢ ص ٣٩ وتفسير  
القرطبى ج ٨ ص ١١٠  
(٣) المحلى ج ٧ ص ٤٩٢  
(٤) انظر تفسير القرطبى ج ٨ ص ١١٠

وأما المجوس فقد نصت عليهم السنة كما في شهادة عبد الرحمن بن عوف " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر " (١) " واعتذروا عن حديث بريدة بأنه وارد قبل فتح مكة بدليل الامر بالتحويل والهجرة والايات بعد الهجرة فحديث بريدة منسوخ أو متأول بأن المراد بعد ذلك من كان من أهل الكتاب " (٢)

أما أبو حنيفة رحمه الله فلا أدرى بما أخرج مجوس العرب من الجزية مع أنه قد أجاز أخذها من نصارى العرب ويهودهم وهم ليسوا من أهل الكتاب في الاصل وإنما لحقوا بهم بعد التحريف وكان الاولى أن يكون مع الامام الشافعي في الحكم بعدم التفريق بين المجوس ومن تبعمهم كما أنه لم يفرق بين أهل الكتاب ومن تبعمهم والله أعلم .

أما أدلة الامام مالك ومن معه

فحديث بريد قال الذي ورد في صحيح مسلم قال " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تفلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال " أو خلال " فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحويل من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليتهم ما على المهاجرين فان أبو أن يتحولوا منها فآخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم في الفئيمة والفسى شئ " الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان أبو فسلمهم الجزية فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان أبو فاستمن بالله وقاتلهم " الحديث (٣)

(١) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ٢٥٧  
(٢) انظر سبل السلام للصنعاني ج ٤ ص ٤٧ طبع المكتبة التجارية الكبرى بمصر  
(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٢ ص ٣٧

وقد أخذ بهذا الرأي ونصره الامير محمد بن اسماعيل الصنعمانى يقول قلت :  
" والذي يظهر عموم أخذ الجزية من كل كافر لموم حديث بريدة وأما الايسات  
فأفادت أخذ الجزية من أهل الكتاب ولم تمرض لاخذها من غيرهم ولا لعدم أخذها  
والحديث يبين أخذها من غيرهم وحمل عدوك على أهل الكتاب فى غاية البعد .

أما عدم أخذها من الصرب فلانها لم تشرع الا بعد الفتح وقد دخل الصرب  
فى الاسلام ولم يبق منهم محارب فلم يبق فيهم بعد الفتح من يسبى ولا من تضرب عليه  
الجزية ، بل من خرج بعد ذلك عن الاسلام منهم فليس لهم الا المأوى والاسلام كما هو  
الحكم فى أهل الردة " (١)

وقد مال الى هذا القول ابن القيم واجاب عن عدم أخذها من مشركى الصرب  
بقوله " وانما لم تؤخذ من مشركى الصرب لانها انما نزل فرضها بعد أن اسلمت دارة  
الصرب ولم يبق فيها مشرك فانها نزلت بعد فتح مكة ودخول الصرب فى دين الله  
أفواجاً فلم يبق بأرض الصرب مشرك ولهذا غزا بعد الفتح تبوك وكانوا نصارى ولو كان  
بأرض الصرب مشركون لكانوا يلونه وكانوا أولى بالفتوح من الابعدين ومن تأمل السير  
وأيام الاسلام علم أن الامر كذلك فلم تؤخذ منهم الجزية لعدم من يؤخذ منه لا لانهم  
ليسوا من أهلها .

ثم قال رحمه الله فى توجيه أخذها من المشركين

وقد أخذها من المجوس وليسوا بأهل كتاب ولا يصح أنه كان لهم كتاب ورفع  
وهو حديث لا يثبت مثله ، ولا يصح سنده ولا فرق بين عباد النار وعباد الاصنام ،  
بل أهل الاوثان أقرب حالا من عباد النار وكان فيهم من التمسك بدين ابراهيم  
مالم يكن فى عباد النار ، بل عباد النار اعداء ابراهيم الخليل فاذا أخذت منهم  
الجزية فأخذها من عباد الاصنام أولى " ثم استدل بحديث بريدة (٢) فعلم من  
هذا التعليل والحديث الثابت فى صحيح مسلم أن الجزية لا تخص قوما دون قوم  
لان كلمة المشركين فى الفالب لا تطلق الا على عباد الاصنام من الصرب كما فى قوله

(١) سبل السلام ج ٤ ص ٤٧

(٢) انظر زاد المعاد فى هدى خير العباد ج ٢ ص ٢٠٥

تمالى " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين " (١)

وقد قال فى الحديث " فاذا لقيت عدوك من المشركين " وهذا ما أراه راجحا وأميل اليه والله أعلم

وأىضا الشريعة الاسلامية احكامها لم تكن تخص أحدا دون أحد أو جنسا دون جنس وانما احكامها عامة كما أن الرسول رسالته عامة أيها وجميع اعتمادات القوم انما هى استنباطات لا نصوص فيها فيتضح من ذلك أخذها من جميع أجناس الكفار من غير خصوص •

\* \* \*

### وقد اختلف الملماء

في آية السيف هل هي محكمة أو منسوخة على أقوال ثلاثة أحدها قول الضحاک  
والسدي وعطاء قالوا هي منسوخة بقوله تعالى " فاما مننا بمد واما فدا " (١)

وانه لا يقتل اسير صبرا اما أن يمن عليه واما أن يفادي الثاني قول مجاهد  
وقتاده انها هي التي نسخت قوله تعالى " فاما مننا بمد واما فدا " وانه لا يجوز  
في الاسارى من المشركين الا القتل .

الثالث قال ابن زيدا لا يتان محكتان وهو الصحيح لان المن والقتل والنسدا  
لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم وهو يوم  
بدر (٢) وهذا هو الصواب كما تشهد به سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو  
قول عامة الفقهاء كما قال ذلك ابن الجوزي (٣)

\*\*\*

(١) سورة محمد ٤

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٧٣

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٣ ص ٣٩٨

” مسألة من يجوز قتله من المشركين ”

ورد في القرآن الكريم قتل جميع المشركين من غير استثناء وذلك في قوله تعالى ” فاذا انسلك الشهر الحرام فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ” الآية (١) وكذلك قوله تعالى ” وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ” (٢)

وكذلك الحديث الذي في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ” أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله ” (٣)

وغير ذلك من النصوص الواردة في هذا الموضوع فعلى موجب هذه النصوص يجب قتل جميع الكفار الا انه قد ورد تخصيص لهذه النصوص بقرود النهي عن قتل النساء والصبيان كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين ” ان امرأة وجدت في بعض مخازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان ” (٤) كما روى أبو داود والترمذي والنسائي عن رباح بن ربيح قال : ” كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فرأى الناس مجتمعين على شيء فبصت رجلا فقال انظر على ما اجتمع هؤلاء فجاء فقال على امرأة قتيل فقال ما كانت هذه لتقاتل قال : وعلى المقدمة خالد بن الوليد فبصت رجلا فقال قل لخالد : لا تقتلن وفي لفظ ( لا يقتلن ) امرأة ولا عسيفا (٥) لفظ أبي داود

(١) سورة التوبة ٥

(٢) سورة التوبة ٣٦

(٣) لفظ البخاري ج ١ ص ١١

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٢ ص ٤٨ وصحيح البخاري مع الفتح ج ٦ ص ١٤٨

(٥) سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ج ٧ ص ٣٢٩



وقد جاء في وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان وهو ما رواه مالك في الموطأ  
" أن أبى بكر الصديق رضى الله عنه بعث جيوشا الى الشام فخرج مع يزيد ابن أبى  
سفيان وكان أمير ربح من تلك الإرياع فزعموا أن يزيد قال لابي بكر : اما أن تركب  
واما أن انزل فقال أبو بكر ما أنت بنازل وما أنا براكب انى احتسبت خطاى هذه فسى  
سبيل الله ثم قال له : انك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم  
وما زعموا انهم حبسوا أنفسهم له وستجد قوما فحسوا عن أوساط رؤوسهم من الشمر  
فما ضرب ما فحسوا عنه بالسيف وانى موهيك بعشر :

لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هزما ولا تقطنن شجرا مثمرا ولا تخربن  
عامرا ولا تعمقن شاة ولا بعيرا الا لماكلة ولا تحرقن نخلا" (١) الخ

فمن أجل هذه النصوص اختلف العلماء في جواز قتل الرهبان والشيخ والمصنف  
والفلاحين ومن لم ينصب نفسه للحرب .

فأما النساء والصبيان فقال النووى في شرح مسلم في حديث ابن عمر " أجمع  
المعلماء على الصل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان اذا لم يقاتلوا فان  
قاتلوا قال جماهير العلماء يقتلون وأما شيخ الكفار فان كان فيهم رأى قتلوا  
والأفقيهم وفى الرهبان خلاف قال مالك وأبو حنيفة لا يقتلون والأصح فى مذهب  
الشافعى قتلهم" (٢)

وقال القرطبى رحمه الله فى تفسير قول الله تعالى " وقاتلوا فى سبيل الله  
الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا ان الله لا يجب المعتدين" (٣)

أى قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم ولا تمتدوا فى قتل النساء والصبيان  
والرهبان وشبههم قال أبو جعفر النحاس وهذا أصح القولين - يعنى القول  
بأنها محكمة كما هو رأى ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد - فى السنة والنظرو

(١) موطأ مالك تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢٧٨

(٢) شرح النووى على مسلم ح ١٢ ص ٤٨

(٣) سورة البقرة ١٩

فأما في السنة فحديث ابن عمر السابق أورده شاهدا على هذا وأما في النظر فإن (فاعل) لا يكون في الثالب الا من اثنين ، كالمقاتلة والمشافة والمخاصمة والقنسال لا يكون في النساء والصبيان ومن أشبههم كالرهبان والزمنى والشيخ والاجراء فلا يقتلون وبهذا أوصى أبو بكر الصديق رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان حين أرسله الى الشام الا أن يكون لهؤلاء اذاية (١)

وذكر أيضا خلاف العلماء في الشيخ والرهبان فذكر قولين للعلماء  
الاول : لا ي حنيفه ومالك وقول للشافعى ان الشيخ الهرم الذى لا يطيق قتالا ولا ينفع في رأى ولا مدافعة لا يقتل .  
القول الثانى : عن الامام الشافعى رحمه الله تعالى يقتل الراهب والشيخ الهرم ثم قال والصحيح الاول ليقول أبى بكر ليزيد ولا مخالف له فثبت أنه اجماع (٢) فيكون الخلاف ناتجا من جهتين الاولى تعارض الاثار في ذلك والثانية العلة الموجبه للقتل .

فأما الاثار الموجبه لقتل جميع الكفار فهي الايات السابقة والاحاديث وكذلك المعارضة تقدمت والجمع ممكن والحمد لله فتقول الايات والاحاديث الموجبه لقتل جميع الكفار عمومات خصصت بمن ذكر في الاحاديث من النساء والصبيان والمصفاء ومن شابههم كما في تفسير ابن عباس رضى الله عنهما لاية وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم

" يقول لا تقتلوا النساء ولا الصبيان ولا الشيخ ومن ألقى اليك السلم وكسفت يده فان فعلتم هذا فقد اعتديتم " (٣)

وهذا مروى عن عمر بن عبد العزيز ومجاهد أيضا  
ثم قال ابن جرير وأولى هذين القولين بالصواب الذى قاله عمر بن عبد العزيز

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٢ ص ٢٤٨

(٢) المرجع السابق بتصرف ج ٢ ص ٢٤٩

(٣) انظر تفسير الطبرى ج ٢ ص ١٩٠

لان دعوى المدعى نسخ آية يحتفل أن تكون غير منسوخة بغير دلالة على دعواه تحكّم  
والتحكّم لا يمجز عنه أحد \* (١)

هذا وقد تقدم قول النووي بتحريم قتل النساء والصبيان وقال هو اجماع من  
الملما بقى الخلاف في الرهبان والزمنى والشيخ والمصطفى والحرام والمفسا  
والصبيان فمن جعل الملة في القتل مباشرته والتصدى له قال لا يقتل الا من باشر  
القتال ونصب له نفسه ويشهد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام ما كانت هذه لتقاتل \*  
وهذه علة واضحة جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم فظهر من هذا ان الذي لا يقاتل  
ولا يمين برأى ولا يمال أنه لا يقتل كما هو رأى الجمهور كما أوصى بذلك أبو بكر  
رضى الله عنه ونهية عن قتل الرهبان والنساء والصبيان وكبار السن .

وأما حديث " اقتلوا شيخ المشركين واستبقوا شرخهم " (٢) فقد نقل شاح  
سنن أبى داود عند هذا الحديث ان المراد بشيخ المشركين في هذا الحديث  
الرجال المسان أهل الجلد والقوة على القتال لا الهوى ثم استدل بحديث  
لا تقتلوا شيخا فانيا \* (٣)

ومن جعل الملة هي الشرك والكفر لم يستثنى أحد ا من المشركين بل يجب  
قتل جميع الكافرين \* (٤)

ولعل الاقرب للصواب هي الملة الاولى وهي ا طاقة القتال والله أعلم .

(١) انظر تفسير الطبرى ج ٢ ص ١٩٠

(٢) سنن أبى داود مع شرحه عون المعبود ج ٧ ص ٣٣٠

(٣) انظر عون المعبود شرح سنن أبى داود ج ٧ ص ٣٣٠

(٤) انظر بداية المجتهد ونهاية المقصد لابن رشد ج ١ ص ٢٨٥

## جهاد المنافقين

وأما جهاد المنافقين فقد اختلف العلماء في كيفية على ثلاثة

أقوال الأولى : جهادهم باليد واللسان وكل ما اطاق جهادهم به .

الثاني جهادهم باللسان .

والثالث جهادهم باقامة الحدود عليهم .

أما الأولى وهو جهادهم باللسان واليد وكل ما في وسعه فهو مروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واختاره ابن جرير رحمه الله وقال في توجيهه

" وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب ما قال ابن مسعود من أن الله

أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذى أمر به من جهاد المشركين

فان قال قائل فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم

قيل أن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ثم أقام على اظهاره

ما أظهر من ذلك وأما من اذا اطلع عليه منهم انه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكرها

ورجع عنها وقال انى مسلم فان حكم الله في من أظهر الاسلام بلسانه أن يحقق بذلك

له دمه وماله وان كان معتقدا غير ذلك وتوكل هو جل ثناؤه بسرايرهم ولم يجعل للخلق

البحث عن السرائر فلذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم واطلاع الله

اياهم على ضمائرهم واعتقاد صدورهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم

مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله " لان أحدهم كان اذا اطلع عليه

أنه قال قولاً كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره وأظهر الاسلام بلسانه فلم يكن صلى الله

عليه وسلم يأخذ به الا بما أظهر له من قوله عند حضوره اياه وعزمه على ائضاء الحكم

فيه دون ما سلف من قول كان ينطق به قبل ذلك ودون اعتقاد ضميره الذى لم يبيح

الله لاحد الاخذ به في الحكم وتولى الاخذ به هو دون خلقه " (١) وعلى هذا يحمل

(١) جامع البيان في تفسير القرآن ج ١٠ ص ١٢٧ ط الثانية دار المرفعة

قول علي في قوله بحث النبي صلى الله عليه وسلم بأريمة أسياف ذكر منهم كما سبق  
سيف في المنافقين .

أما القول الثاني وهو جهادهم باللسان واقامة الحجّة عليهم وهو الذي أخذ  
به الجمهور لحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المنافقين في عهده وهو  
قول ابن عباس والضحاك فهو الغلظة عليهم في القول والكلام وعدم الوفاق بهم  
ولهذا يقول ابن القيم جهاد المنافقين انما هو بتبليغ الحجّة والا فهم تحت قهر  
المسلمين فجهادهم أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الامة وورثة الانبياء  
والرسل . والقائمون به أفراد في العالم . (١)

أما القول الثالث الذي هو قول الحسن بأن جهادهم هو اقامة الحدود عليهم  
وانهم أكثر من تلبس بها وصدرت منه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيد  
قال ابن العربي هذه دعوى لا برهان عليها وليس العاصي بمنافق ، انما المنافق  
بما يكون في قلبه من النفاق كما ان لا بما تلبس به الجوارح ظاهرا ، واخبار  
المحدثين يشهد سياقها انهم لم يكونوا منافقين بل الذي ورد في قصتهم أنه  
لما رجم ماعزاً وكان الناس فيه فرقتين قاتل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئة  
وقاتل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم  
فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة قال فلبشوا بذلك يومين أو ثلاثة  
ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز  
بن مالك قال فقالوا غفر الله لماعز بن مالك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لقد تاب توبه لو قسمت بين أمة لوسعتهم . (٢)

وكذلك قصة الغامدية عند ما انتضح الدم على وجه خالد بن الوليد فصبها  
فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال قهلا يا خالد فوالذي نفسي  
بيده لقد تابيت توبه لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فطلى عليها

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٢٩٣

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي ج ١١ ص ٢٠١

ودفعت (١)

فعلم من هذا بطلان هذا القول لان الذين وقمت عليهم الحدود في هاتين الحادتين لم يكونوا منافقين ثم لا يخفى أن جهاد الكفار والمنافقين يبنى على أربع مراتب وهى القلب واللسان والنفس والمال أما الجهاد بالقلب واللسان فهذا يترك الكلام عليه في هذا المقام لان له فصلا آخر وهو مرحلة الجهاد المكية فانها كانت بالقلب واللسان فقط لانه لم يكن هناك سوى القول باللسان والبغض بالقلب والانكار الشديد واما المباشرة باليد فان ذلك لم يكن حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة وسنؤقتناول كلا من هذين البحثين على حده والله الموفق الى سبيل الرشاد .

■ ■ ■

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١١ ص ٢٠٣

من أنواع ما يجاهد به النفس

وهذا النوع الذى هو الجهاد بالنفس لا يملزى بأنه أشق أنواع الجهاد وأصعبه على النفوس لما فيه من المشقة والقتل والجراح واثارة العداوة بسـيـن المجتمعات ولهذا قال الله تعالى فى شأنه " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (١)

قال القرطبي رحمه الله تعالى " وإنما كان الجهاد كرها لان فيه اخراج المال ومفارقة الوطن والاهل والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الاطراف وذهاب النفس فكانت كراهيتهم لذلك لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى عليهم " (٢) والتعرض لمثل هذه المصائب يشق على النفوس ويصعب تحميلة على الاجساد لهذا يقص الله تعالى علينا نبأ بنى اسرائيل لما طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلهم فى سبيل الله تعالى فخاف عليهم الا ينفذوا هذا الطلب فقال : هل عسيتم أن كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليهم بالظالمين " (٣)

كما نقص الايات علينا أنه تعالى أمر قوما يكف أيديهم وقيام الصلاة وابتغاء الزكاة فلما كتب عليهم القتال كان فيهم من يخاف الناس كما يخاف الله أو أعظم من خشية الله تعالى فيقول عنهم :

" ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا

(١) البقرة ٢١٦

(٢) تفسير القطبي ج ٣ ص ٣٩

(٣) البقرة ٢٤٦

ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب \* (١)

فلما كان القتال شديدا على النفوس صب المذاق احتاج الى تربية عظيمة  
وعناية جسيمة حتى تزول هذه الطبيمة والمقبات التي تتردد في النفوس وتخالج  
الخواطر فمضى القرآن الكريم بهذه الظاهرة النفسية حتى اذا بها من النفوس وذلك  
أن الاجل محتوم لا يتقدم ساعة ولا يتأخر \* ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا  
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون \* (٢)

وعند ذلك علم المسلمون أن مباشرة القتال لا تقدم موتا وأن الاحجام عن  
التقدم في ميادين القتال لا يؤخر أجلا وآمنوا بما قال الله تعالى وبذلوا الارواح  
رخيصة في سبيل الله بصدق أن تتألت<sup>توا</sup> الايات في هذا الموضوع الذي هو تأخر الاجل  
أو تقديمه لهذا يقول الله في حق من قال أن الخروج الى الممارك هو الذي يسبب  
الموت \* يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فسى  
الارض أو كانوا غسزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حصرة فسى  
قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير \* (٣)

وكذلك قوله تعالى فيما حكاه عن قوله المنافقين يوم أحد \* يقولون لو كان  
لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل  
الى مضاجعهم \* (٤)

وكذا قوله تعالى \* وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله كتابا مؤجلا \* (٥)  
وقوله تعالى \* الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فاد رؤوا عن

(١) النساء ٧٧

(٢) الاعراف ٣٤

(٣) العمران ١٥٦

(٤) آل عمران ١٥٤

(٥) آل عمران ١٤٥



أنفسكم الموت ان كنتم صادقين " (١)

وكذلك قوله تعالى " أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة " (٢)  
وأىضا قوله تعالى وقل لن ينفعكم انفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتصون  
الا قليلا " (٣)

فظهر من هذه الايات أن مباشرة القتال ومخوض الممارك لا يقرب من أجل  
وان الاحجام عن دخول ميادين القتال لا يؤخر أجلا وانما هو المكتوب الذى كتبه  
الله وقدره من يوم نفع فى ابن آدم الروح فى بطن أمه وكتب أجله وعمله وشقى أمهم  
سميد فانا حفر هذا الاجل المحتوم الذى قد ر عليه وهو لم يخلق لم ينفسه  
تأخر عن المعركة ولو كان فى أعلى البرج المرفوعة المستحكمة البناء الذى لا يصل  
اليها القاتل الانسانى ولكنها لا ترد الاجل اذا جاء وهنا علم المصلون بهند  
الايات وحد قوتها فبذلوا نفوسهم وأموالهم رخيصة بعد هذه التربية العظيمة الذى  
تلمس النفوس وتحرك الوجدان فأصبح الجهاد والشهادة فى سبيل الله أحب الس  
هذه النفوس من الدنيا والتمتع بلذاتها فبذل المؤمنون ارواحهم وراحتهم  
ومستلذاتهم فى الدنيا وطلبوا من الله قبولها وخصوصا بعد أن سمعوا قول الله  
تعالى " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون  
فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن  
أوفى بمعهده من الله فاستبشروا ببيعتكم الذى بايعتم بموذلك هو الفوز العظيم " (٤)  
استمعوا الى هذه الصفة العظيمة المطلوبها وبذلوا الثمن طائبه به نفوسهم وعقدوا  
صفقتهم مع الله تعالى وقد ذكر ابن القيم رحمه الله هنا بحثا عظيما نحب أن نذكره  
وهو قوله رحمه الله فى شرح هذه الاية الكريمة فقال رحمه الله أخبر سبحانه أنه

(١) آل عمران ١٦٨

(٢) النساء ٧٨

(٣) الاحزاب ١٦

(٤) التوبة ١١١

اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأعضاهم عليها الجنة وأن هذا المقعد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والانجيل والقرآن ثم أكد ذلك باعلامهم أنه لا أحد أو في بعضهم صدق منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم فليأمل الماقد مع ربه عقد هذا التبائع ما أعظم خطره واجله فان الله عز وجل هو المشتري والثلث جنات النعيم والفوز بمرضاه والتمتع برؤيته هناك والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر وان سلمة هذا شأنها لقد هيئت لامر عظيم وخطب جسيم .

قد هيئت لامر لو فطنت له : فأرأى بنفسك أن ترعى مع الهمل بههر المحببة الجنة بذل النفس والمال لالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة بالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعهمها بالنسيئة المعسرون لقد اقيمت للمرض في سوق من يريد فلم يرض ببيعها لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن فدارت السلعة بينهم ووقعت في يدا ذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطسي الناس بدعواهم لادعى الخلى خرفة الشجسي فتتوعد المدعون في الشهود فليل لا تثبت هذه الدعوة الابينة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتأخر الخلق كلهم وثبت اتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهدية وأخلاقه فطولبوا بمدالة البينة وقيل لا تقبل المدالة الا بتزكية يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فتأخر أكثر المدعين للمحبة وقام المجاهدون فقيل لهم أن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فسلموا ما وقع عليهم المقعد فان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وعقد التبائع يوجب التسليم من الجانيين فلما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبائع على يديه مقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا المقعد عرفوا أن للسلعة قدرا وشأنا ليس لغيرها من السلع فرأوا من الخسران البين والغبين الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس داهم معدودة تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تبعتها وحسرتها فان فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء فمقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضا واختيارا من غير شوبت خيار وقالوا والله لا نقيلسك

ولا نستقيلك فلما تم المقدم وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا والا ن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها ولا تحسبن الذين قتلوا نفسى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون لم نبتغ منكم بنفوسكم وأموالكم طلبا للربح عليكم بل ليظهر أثر الجود والكرم فى قبول المبيع والاعطاء عليه أجل الاثمان ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن (١)

وقد ذكر ابن كثير عن محمد بن كعب القرظى \* قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ليلة المقبة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال \* اشترط لربى أن تمبده ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم \* قالوا فما لنا اذا فعلنا ذلك قال \* الجنة \* قالوا ربح البيع لا نقبل ولا نستقيل ، فنزلت \* ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم \* الاية (٢)

وكذلك قول الله تبارك وتعالى \* يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومسكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم \* الايات (٣)

فلما سمع المؤمنون هذا الوصف العظيم والتجارة الرباحة سارعوا الى طلب هذه التجارة وذلوا أرواحهم وأموالهم وطلبوا من الله القبول فتقدموا فى ميادين القتال غيرهاهينين ولا خائفين فصارعوا الابطال وقارعوا الخصوم وكسروا الحصون فسالت دماهم على وجوههم ونحوهم يرجون تجارة لن تبور وحياة ليست كمثل حياة الدنيا التى ان فرحت يوما أحزنت سنين فزهدا فى الدنيا وطلبوا

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ طبع الميمنية بمصر

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩١

(٣) الصف ١٠ - ١٢

حياة الشهداء الذين هم عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١) وتتابعمت الايات محرصة على القتال ومبينة فضله للمؤمنين حتى صار عندهم أحب من البقاء على هذه الدنيا لانهم عرفوا فضل الشهادة في سبيل الله وعرفوا حياة الشهداء بعد ما سمعوا قول الله في هذه الاية وقد جاء في سنن أبي داود رحمه الله حديث في سبب نزول هذه الاية يدعو الى بذل الروح والمال وطلب الحياة السميدة الابدية وهو ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لما أصيب اخوانكم ياخذ جعل الله ارواحهم في جوف طير حضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشرهم ومقبلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء في الجنة نرزق لئلا ينزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى : أنا أبلثهم عنكم ، قال وأنزل الله عز وجل : " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا " الايات (٢)

ففى هذا الاثر العظيم من الترغيب ما يجعل المسلم يزهد في الحياة الدنيا التى هى محفوفة بالمهالك والمخاطر ويطلب هذه الحياة العظيمة حياة الشهداء قال القاسى رحمه الله فى تفسير هذه الاية " ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا " كلام مستأنف مسوق لبيان أن القتل الذى يحذر رونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر ، بل هو من أجل المطالب التى يتنافس فيها المتنافسون اثر ببيان أن الحذر لا يجدى ولا يفنى ، أى لا تحسبنهم أمواتا تعطلت ارواحهم " بل " هم " أحياء " فوق أحياء الدنيا لانهم مقربون عند ربهم " ان بذلوا له ارواحهم " (٣) وأفنوا حياتهم فى سبيل مرضاته وأظهار عدله وحكمه بين عبادة وإزالة الاحكام المضادة لحكمه على وجه المعمورة فقتال هؤلاء لاعلاء كلمة الله تعالى وهذا كله من أثر تربية الوحيين ان تعرض الايات وترغب وتبين فضيلة الجهاد والشهادة فى سبيل

(١) آل عمران ١٦٩ هـ ١٢٠

(٢) سنن أبي داود مع شرحه عون الممبوع ج ٧ ص ١٩٤ ط السلفية بالمدينة

(٣) محاسن التأويل ج ٤ ص ١٠٣٢ ط دار احياء الكتاب العربي

اعلاء كلمة الله تعالى فتوفر صدور المؤمنين وتذكرهم بطش الكافرين بهم وضعفها  
المسلمين فيقول الله تعالى " وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من  
الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها  
واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا " (١)

فاذا سمع ولي الله هذه الشكوى والدعوة ممن هذه حالة كادت نفسه تخرج  
وكيده تنفطر وقلبه يتمزق ثم ماذا يكون الصدى في نفوس أولياء الرحمن الذين  
سمعوا هذا النداء عن مصدر لا يخالج النفس فيه أدنى ريبه أن صداءة بذل الروح  
والمال في سبيل الله حتى ينقذ أخوانهم من ظلم الظلمنة أو يعمد بالشهادة  
والحياة الطيبة التي طالما سموا لنيلها وانفقوا الخالي والرخيص شوقا اليهسا

وتأتى الايات تحض المؤمنين على القتال وتمدهم نصر الله تعالى فيقول  
الله عز وجل لنبيه عليه السلام " فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض  
المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا " (٢)

وهذا أمر من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بالقتال في سبيل الله  
غير مكتر شبعن تأخر عنه وخذله ولم يؤمن بفريضة الجهاد التي شرعت لحماية  
الدين الله ونشر لمدله وقمع للكفر وأهله آمرة لرسول الله عليه الصلاة والسلام بحيث  
المؤمنين على القتال لعل الله أن يضع شر الكافرين وقتالهم اذا علموا بقسوة  
المسلمين وتماصكهم وتمازجهم واستجابتهم لك عند التحريض فتنبعث همهم على  
مناجزة أعداء الله ومد افعتهم عن حوزة الاسلام ومقاومتهم ومصابرتهم ثم وعدهم الله  
تعالى أنه سيكف بأسهم لانه أشد قوة من أعدائه وأشد تعذيبا لمن حاد الله  
ورسوله والمؤمنين ثم يأتي هذا المرعى العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وحرض  
المسلمين طاعة لربه فتتهون عليهم نفوسهم في سبيل الله ويرى أحدهم بنفسه  
في وسط المعركة غير مبال بما يعصيه في سبيل الله طالبا لرضا ربه تعالى

(١) النساء ٧٥

(٢) النساء ٨٤

فيقول لهم يوم بدر عليه الصلاة والسلام " قوموا الى جنة عرضها السموات والارض " قال يقول عمير بن الحمام الانصاري : يا رسول الله أجنة عرضها السموات والارض ؟ قال " نعم " قال : بنج بنج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قولك بنج بنج " قال لا والله يا رسول الله ! الا رجاءة أن أكون من أهلها . قال " فانك من أهلها " فاخرج ثمرات من قرنه فجعل يأكلهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه انها لحياة طويلة . قال فرس بما كان معه من الثمر ثم قاتلهم حتى قتل " (١) فقد أثار القرآن الكريم ورسول الله على نفوس المؤمنين حتى هانت عليهم في ذات وعلموا الحياة الطيبة وعملوا لها حتى ان أحدهم تطول عليه حياته ويتمنى أن يخن ويقتل في سبيل الله تعالى فهذا عمير بن الحمام يقول لان بقيت حتى آكل هذه الثمرات انها لحياة طويلة وما ذلك الا حرصا منه على درجات المجاهدين التي أعدها الله تعالى لهم <sup>وهي</sup> ما قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوفقه عرش الرحمن " الحديث (٢) .

وقوله <sup>أي</sup> الله تعالى أيضا في التحريض " وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطمعوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لملهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين " (٣)

هذا تهبيج من الله والهاب الحماسة المؤمنين على قتال الخونة الذين لا الا لهم والاذمة ومع ذلك يرمون الدين الاسلامي بالاكاذيب الباطلة ومع هذا فهم رؤس الكفر واساطنته اذا سقطوا طاحت أركان الكفر وقد أخرجوا رسول الله وطردوه وأرادوا قتله لولا ان الله تعالى حماه عنهم وأيضا هم الذين قاتلوكم قبل أن

(١) صحيح مسلم  
(٢) البخاري عن أبي هريرة ج ٤ ص ١٤  
(٣) التوبة ١٢ ، ١٣

تقاتلونهم فلا ينبغى أن تخافوا منهم بل الذى يجب على المسلم أن يخاف الله تعالى ولا يخضع الا لله .

ثم تأخذ التربية العظيمة بأهلها وترفع من مكانتهم لانهم فوق أعدائهم وليسوا على طريقهم فحذرهم القرآن الكريم عن الضعف أمام أعدائهم والتسخط بما ينالهم من القتل والجراح وقتلاكم الى الجنة وهم أحياء عند ربهم يرزقون فلا ينبغى لكم أن تضعفوا أو تسخطوا بل الذى ينبغى لكم أن تفرحوا بالشهادة فى سبيل الله لانكم الاعلون الغالبون فى الدين والآخره لهذا يقول الله تعالى " ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين " (١)

وتأتى الاية التى فى سورة محمد تؤكد هذا المعنى وترفع من همة المؤمنين فتقول " فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم " (٢)

فهذه تقول اذا كنتم الاعلون والله معكم وناصركم فلا تدعوا الى الصلح والمسالمة بل عليكم الجد فى قطع دابر الشرك وأهله اذا توفرت أسبابه وتأخذ التربية فى طريقها وتذكر لهم حالة الانبياء ومناصرتهم فى الامم السابقة ليأخذوا عنهم درسا وعبرة حتى لا يصيبهم الوهن والجزع والحزن والاستسلام بل صمدوا وصبروا فى وجوه أعدائهم فقال الله تعالى عنهم " وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرائنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين " (٣)

قال ابن القيم رحمه الله : " لما علم القوم ان المدد وانما يدال عليهم بذنوبهم وان الشيطان انما يستزلهم ويهزمهم بها وانها نوعان تقصير فى حق أو تجاوز لحد وان النصر منوط بالطاعة قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرائنا فى أمرنا ثم علموا أن ربهم تبارك أن لم يثبت أقدامهم ونصرهم لم يقدروا على تثبيت أقدامهم أنفسهم

(١) آل عمران ١٣٩

(٢) محمد ٣٥

(٣) آل عمران ١٤٦ ، ١٤٧

انصرهم  
ونصرها على أعدائهم فسألوه ما يعلمون أنه بيده دوزنهم وأنه ان لم يثبت أقادهم  
ونصرهم لم يثبتوا ولم ينتصروا فوغوا المقامين حقهما : مقام المقتضى ، وهو  
التوحيد والالتجاء اليه سبحانه ومقام ازالة مانع من النصرة وهو الذنوب والاصراف<sup>(١)</sup>

---

(١) قاله القاضى نسي محاسن التأويل ح ٤ ص ١٩١



تحدثنا عن صموية القتال على النفوس وعلاج هذه الصموية والمقبات التي تخالج النفوس <sup>و</sup> عن تربية القرآن الكريم في اجتثاث هذه الصموية بالترغيب والتشويق إلى الجهاد وأن التقدم إلى ميادين القتال لا يؤخر الأجل ولا يقدمه وكذلك حرض القرآن الكريم بأساليبه المختلفة المألية إلى القتال حتى هانت على المؤمنين أنفسهم في الله ورفع من قيمة المجاهد في سبيل الله تعالى وأنه لا ينبغي أن يحزن أو ينكل أو يضحف أمام أعداء الله تعالى وأعداء عدله في الأرض ثم أتت هذه التربية القرآنية إلى توبيخ المتثاقلين والانكار عليهم هذا التثاقل وعدم الاستزاج في النفور إلى الجهاد فقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل " (١)

فهذا نداء من الله تعالى لعباده المؤمنين منكرًا عليهم وموعظًا لهم على تكاسلهم وميلهم واخلادهم إلى المقام والدعة وعدم المسارعة إلى اجابة الداعى والخروج في سبيل الله <sup>وهذا</sup> ليس من شأن من آمن بالله وانقاد لامره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بل هذا شأن من رضى بالحياة الدنيا الفانية الحقيرة بدل الآخرة ونعيمها الدائم والتمتع بلذاتها ومتاع الدنيا مع الآخرة لا يساوى شيئًا ولهذا ورد في صحيح مسلم وغيره عن المستورد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ، فلينظر بسم ترجع - وأشار بالسبابة - " (٢) وقد توعد سبحانه وتعالى من لم ينفردا دعى للجهاد والخروج في سبيل الله بالمذاب المؤلم وتركه واستبداله بغيره وأنه لا يضره ذلك شيئًا وإن الله لا يعجزه شيء " فقال تعالى بعد الآية التي سبقت " الا تخفروا يمددكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئًا والله على كل شيء قدير " (٣)

قال الزخشرى : " سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بمذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم

(١) التوبة ٢٨

(٢) مسلم ح ١٧ مع شرح النووي ص ١٩٢

(٣) التوبة ٢٩

وأطوع وأنه غنى عنهم في نصرة دينه ولا يقدرح تناقلهم فيها شيئاً وقيل الضمير  
للمرسول أى ولا تضروه لان الله وعد أن يمحصه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن  
لامحالة \* (١)

وقال القاسى \* في ذلك تأكيد من وجوه

الاول - ما ذكره من التوييح

الثانى - قوله تعالى \* اناقلتم الى الارض \* وان الميل الى المنافع والدعة واللذات  
لا يكون رخصة في ذلك .

الثالث - في قوله تعالى \* أرضيتم بالحياة الدنيا \* فهذا زجر

الرابع - قوله تعالى \* فما متاع \* . . . . . الاية - وهذا تخسيس لرأيهم .

الخامس - ما عقب من الوعيد بقوله \* الا تنفروا يعذبكم \* .

السادس - ما بالغ فيه بقوله \* عذابا اليما \* .

السابع - قول ويستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .

الثامن - قوله \* والله على كل شىء قدير \* ففيه تهديد . (٢)

ومثل هاتين الايتين قوله تعالى \* يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تعملون

كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تعملون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا  
كأنهم بنيان مرصوص \* (٣)

وهذا ندا \* من الله لعبادة المؤمنين ينكر فيه عليهم القول الذى لا يوافقوه

المعمل وأعظم شأنه وقبحه لان القول بدون عمل ليس من صفات المؤمنين بل أنه من

صفات المنافقين وهذا عند الله أشد البغض وأفحشه لان من لوازم الايمان الحقيقى

الصدق فى القول وثبات المزيمة والشجاعة ثم عقب هذا بصفة من قال وعمل وهذا

تحريض من الله للمؤمنين حتى تسهل عليهم المصائب التى يحب الله تعالى لهذا

قال \* ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله كأنهم بنيان مرصوص \*  
سفا

(١) الكشاف ج ٢ ص ١٩٠

(٢) محاسن التأويل ج ٨ ص ٣١٥٦

(٣) الصف ٢ - ٤

يقول الزمخشري في تفسير هذه الايات

هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه قصد في " كبر " التمجيد من غير لفظه  
ومعنى التمجيد تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التمجيد لا يكون الا من شئ  
خارج عن نظائره واشكاله واسند الى أن تقولوا ونصب " مقتا " على تفسيره دلالة  
على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه <sup>لفظ</sup> ~~للفظ~~ تمكن المقت منه واختير لفظ  
المقت لانه أشد البغض وأبلغه ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده  
وأفحشه " وعند اللطائف من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته  
وانزاحت عنه الشكوك " ثم تلال عقيب فكر مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول  
الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يقوا " (١)

ففي هذا الموضوع عتاب من الله جلت قدرته للمؤمنين على عدم مباشرة القتال  
وخوض الممارك لما في ذلك من الخير الماثل والاجل فلا يسوع للمسلم أن يفوته  
هذا الخير العظيم الذي هو قمع الكفرة وطرد هم عن حوزة الاسلام ونشر عدله بين  
عباده فليس التناقل والرضوخ الى الدنيا والرضا بها والقول بلا عمل من صفات  
أهل الايمان الحقيقي ثم لم تنفل تعليمات القرآن الكريم عن أهل النفاق والمكذلين  
والمرجفين والمتعاسين بل فضحتهم وكشفت عن خبث طويتهم وزجرتهم حتى  
تألموا همهم ان كانت فيهم ادنى حياة وهمة فقرع القرآن الكريم آذانهم ووصف  
أعمالهم الدنيئة فقال تعالى

" قد يعلم الله المصوفين منكم والقائلين ~~لربنا~~ ربنا هلم الينا ولا يأتون انبأ  
الا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى  
يفشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخبير  
أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا " (٢)

أخبر سبحانه وتعالى عن علمه بالمشيطين لغيرهم عن حضور الممارك والقائلين  
لاصحابهم وعشائهم وخلطائهم واصدقائهم اتركوا محمدا واصحابه واقبلوا الينا

(١) الكشاف ج ٤ ص ٩٧

(٢) الاحزاب ١٨ ١٩٥

وما نحن فيه من ترك الجهاد والهروب عن الممارك والقتال ومع تمويقهم وتثبيطهم  
 الغير فهم لا يأتون الحرب الا عند خوفهم من الموت أولا يحضرون القتال أن قاتلوا  
 الا رياء وسمة من غير احتساب وهم مع هذا بخلاء عليكم لا يعاونونكم بحفر الخندق  
 ولا بالنفقة في سبيل الله واذا حضر القتال ظهر جنبهم وخوقهم وخورهم وصارت عيونهم  
 تدور يمينا وشمالا وهذه حالة الجبان الرعيد اذا شاهد ما يخافه كحال من نازل  
 به الموت وغشيته أسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص بصره فلا بطرف كذلك هؤلاء  
 تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف وعند انتهاء المعركة والفراغ من القتال وحياسة  
 الخنائم ووقوع القسمة يبسطون ألسنتهم فيكم يقولون اعطونا حقنا فانا قد شهدنا  
 معكم وقاتلنا ومكاننا غلبتم عدوكم وينا نصرتم وقد ذكر ابن كثير رحمه الله انهم اذا كان  
 الامن تكلموا كلاما بليغا فصيحاً عاليا وادعوا لانفسهم المقامات العالية في الشجاعة  
 والنجدة وهم يكذبون ثم ذكر عن قتادة قول " أما عند الخنبة فأشع قوم وأسسوا  
 مقاسمة اعطونا <sup>الخطونا</sup> قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع  
 ذلك أشحمة على الخير أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير  
 فيهم كما قال الشاعر في أمثالهم

أفي السلم اعيار جفاً وغلظة ۞ وفي الحرب أمثال النساء الموارك

أي في السلم كأنهم الحمر وفي الحرب كأنهم النساء الحيض (١)

ويشهد لهذا وانهم لا يريدون الا الدنيا قوله عز وجل " لو كان عرضاً قريباً  
 وسفراً قاصداً لاتيموك ولكن بعدت عليهم المشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا  
 لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون " (٢)

فقد أوضحت الآية من صفاتهم حب الدنيا مع عدم المشقة وإيمانهم الكاذبة وانهم  
 لو قد روا على الخون مع الرسول والمؤمنين لخرجوا فأكد بهم الله تعالى .

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٢٤

(٢) التوبة ٤٢

وقد أضح القرآن لهم صفات كثيرة من طلب الاذن من الرسول عليه الصلاة والسلام عند ارادة الفوز والرب الذي حيرهم وشككهم في الرسول فيما جاء به حتى فضحهم الله تعالى وأكذبهم فمن ذلك قول الله تعالى " انما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون " (١)

وكذلك قوله تعالى " ومنهم من يقول أئذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين " (٢)

فأوضحت الآية حقيقتهم وانهم كفار لا مؤمنين وانما تلبسوا بالايان تمترا وخوفاً من المؤمنين وهذه نزلت كما روى ابن اسحاق فى سيرته فى الجد بن قيس " ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم وهو فى جهازه أهمل لك يا جد فى جلاذ بنى الاصفر فقال : يا رسول الله أوتأذن لى ولا تفتنى ؟ فوالله لقد عرف قوسى مارجل أشد عجباً بالنساء منى وانى أخشى ، ان رأيت نساء بنى الاصفر ان لا أصبر عنهن فاعرض عنسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك " (٣)

وتنتقل الايات تحدثنا عن شدة ذعرهم وخوفهم ومع هذا هم يقدمون الايمان الكاذبة ويقولون انهم من صميم المؤمنين ومن أنفسهم وانما قدموا هذه الايمان خوفاً من القتل ثم هم مع هذا لوجدون ملجأ يلجئون اليه يسترهم أو غارا أو سرداباً لا سرعوا اليه ولهذا يقول الله عنهم \*

" ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هببناكم ولكنهم قوم يفرقون ، لوجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون " (٤)

كما يذمهم الله تعالى بسبب تخلفهم عن الجهاد والتكول عنه مع وجود الطول الذى هو الفضل والسمعة مع سوء صنيعهم اذ رضوا بالمار والقصد مع النساء

لا الصغور

(١) التوبة ٤٥

(٢) التوبة ٤٩

(٣) السيرة النبوية ج ٢ ص ١٦٥ بتصرف قليل

(٤) التوبة ٥٦ ، ٥٧

لحفظ البيوت ففى هذا تحريك للمهم وتغيير من هذه الحالة الرديئة لهذا يقول  
الله تعالى عنهم •

• واذا انزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنتك أولوا الطول  
منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين • رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم  
فهم لا يفقهون • (١)

والايات فى هذا المبنى كثيرة والمقصود منها رفع ممنويات المؤمنين وعسدم  
التخلق بالاخلاق السيئة نعمنا الله بذلك انه وليه والقادر عليه •

## المرتبة الثانية ما يجاهد به الكفار

المال وهذه المرتبة لها أثر عظيم في القضاء على الكفرة والملحددين والمنادين لدين الحق والمعدلة والاصلاح لان بهذا المال الذي حث القرآن الكريم على انفاقه في سبيل الله جمع للمعدة ورياط الخيل وارهاب للاعداء ومساواة للمحتاجين من المسلمين وتقوية للصوف وجمع لكلمة أهل التوحيد وترغيب لهم في الدخول في الاسلام كما قد قرنت النفقة في سبيل الله تعالى بالجهاد بالابدان وكانت الاوامر بالنفقة مقدمة على الاوامر بالجهاد بالابدان اللهم الا في آية واحدة وهي قوله تعالى " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " (١) فقد تمت الانفس في هذه الآية على الاموال وأما سائر آيات الجهاد فان الاموال قد قدمت على الانفس فيها وذلك لما للاموال في الجهاد من الاثار العظيمة التي تترتب على الانفاق في سبيل الله تعالى وهي كثيرة جدا في الكتاب العزيز فمن ذلك قوله جلّت عظمتة " وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين " (٢) .

فقررت هذه الآية الكريمة أن عدم الانفاق في سبيل الله سبب في الهلاك والدمار وينتج عنه ضعف المؤمنين وقوة الكافرين وتغلبهم على المسلمين واخراجهم من أرضهم وأوطانهم وهذا هلاكهم لانهم اذا تسلطوا عليهم أخذوا هذه الاموال التي كان الشيع يمتنع من انفاقها في سبيل توحيد صف المؤمنين وجعلوها عدة يقتل بها صاحبها الذي يخل بها ولم ينفقها في سبيل الله لحماية الثغور وتقوية جيش المسلمين وعساكرهم حتى لا يتسلط عليهم هذا المد والمترص .

ولهذا السبب شملت آيات النفقة في سبيل اعلاء كلمته معظم آيات القرآن الكريم فقد كثر في القرآن العظيم الحث على النفقة ما بين ترغيب وترهيب فمن الآيات التي وردت في الترغيب في النفقة في سبيل الله قوله تعالى " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم

(١) التوبة ١١١

(٢) البقرة ١٩٥

ولا هم يحزنون " (١)

في هذه الآية ترغيب من الله جلّت عظمته لعباده المؤمنين في النفقة في سبيل مرضاته وطاعته وأعداد كل ما يتقوى به المسلمون من سلاح ورياط في الثخور وأعداد الخيل وأرهاب الأعداء فوصف سبحانه وتعالى هذه النفقبان الله سبحانه يربيهما وينبيها فيبارك فيها حتى كأنها حبة بذرت في أرض خصبة فأخرجت هذه الحبة سبع شعب في كل شعبة منها مائة حبة ثم بشرهم بأن حسناتهم لا تقتصر على هذه السبعمائة بل قال الله تعالى " والله يضاعف لمن يشاء " فهو يبارك في هذه الصدقة على حسب إخلاص المنفق في سبيل الله وصلاح نيته وطاعته لله تعالى وذلك لان الله سبحانه وتعالى لا ينحصر فضله ولا يحد عطاؤه وهو عليم مع ذلك بمن يستحق المضاعفة المظيمة من المنفقين في سبيله وأعلاء كلمته فيضاعف له الأجر والثواب العاجل والآجل ومع ذلك هم لا يذكرون هذه النفقة وإنما جعلهم الإخلاص وطلب مرضات الله سبحانه لا يذكرون من أنفقوا عليه لثلا يشمر هذا المنفق عليه بأذية أو أنه يرى له الفضل العظيم من أجل النفقة على الغير بل أنهم قد فعلوا ذلك لله فطلبوا منه الأجر والثوبة فجعل الله تعالى جزاءهم الأمن في الدنيا والآخرة والفرح والسرور الدائم .

ثم تأتي الآيات الكريمة التي تبين أن من أنفق في طاعة الله وفي سبيل رضاه من قليل أو كثير أنه يعطاه كاملاً غير ناقص ولا مظلوم صاحبه بل يوفيه هذا الأجر كاملاً في الدارين فلماذا وردت الآية تقول " وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون " (٢)

يقول القاسمي " يوف اليكم " أي في الدنيا من الشيء والفنمية والجزية والخراج وفي الآخرة بالثواب المقيم " (٣)

(١) البقرة ٢٦١ ، ٢٦٢

(٢) الأنفال ٦٠

(٣) محاسن التأويل ج ٨ ص ٢٦٠



هذا والايات في هذا المعنى تفيد التآلف والتآخي وتحض على النفقة فسى  
سبيل الله عز وجل وأخذ المؤمن يعضد أخيه المؤمن كأنهم أبناء رجل واحد لا تباعد  
بينهم بل أنهم أحباء وأولياء ليس بينهم أى نفور كما يشير الى ذلك قوله تعالى " ان  
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا  
أولئك بعضهم أولياء بعض " (١)

فهذه أوصاف أولئك القوم الذين سادوا فى الدنيا وهم سادة فى الآخرة  
الايان بالله وحده ومقاومة أوطان الشرك والكفر ولو كانت مسكن الاحبة والاهل والابناء  
والاباء والاصدقا ولم يفارقوا هذه الاوطان تمليا وتجولا فى الاقطار واختياراً  
للبلاد المريحة التى تتوفر فيها أسباب الراحة والترفية عن النفس واشباع الفرائز  
وانما تركوها لنصرة الدين الذى أخذت تعاليمه ببشاشة قلوبهم واعتقدوا صدقه  
وبذلوا الاموال والانفس رخيصة فى سبيل نشره على ظهر المعمورة واعلائه على الدين  
كله مع كره الكارهين وبغض المبغضين . ومع هذا فهم أخوة متحابون متعاونون  
لا يرى محسنهم لنفسه فضلا على فقيرهم عندما يبذل شيئاً فى سبيل الله بل أنهم  
كانوا يؤثرون على أنفسهم مع شدة حاجتهم كما فى قول الله تعالى " والذين تبوءوا  
الدار والايان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما  
أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم  
المفلحون " (٢) .

فقد وصفهم الله تعالى فى هذه الاية بالايان المتمكن من النفوس الملازم  
لها ومحبة المهاجرين وطهارة النفوس وسلامة القلوب من داعى الحرص على الدنيا  
وحطامها الفانى كما وصفهم بالايثار على النفوس مع شدة الحاجة والفاقة الى هذا  
المال أو الطعام ومع هذا فهم قد سلموا من الشح وانتصروا على الانفس التى تحرص  
على المال .

(١) الانفال ٧٢

(٢) سورة الحشر ٩

قال ابن كثير رحمه الله " وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى " ومطمعون الطعام على حبه " وقوله " وآتى المال على حبه " فان هؤلاء تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة اليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما أنفقوه ومن هذا المقام تصدق الصديق رضى الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ما أبقيت لاهلك ) فقال رضى الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله ، وهكذا الماء الذى عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه الى صاحبه وهو جريح مثل أحوج ما يكون الى الماء فرده الاخر الى الثالث فما وصل الى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم " (١)

وكما أن عثمان " أعان جيش المسرة بثلاثمائة بحير وأتى فيها بألف دينار فصبتها فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢)

فيمثل هذا الايثار والتضحية بالمال والنفوس نصر الله تعالى دينه وأعلى كلمته وأعز جنده ثم أن الاحاديث النبوية كثيرة فى الترغيب فى النفقة فى سبيل الله من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام " من انفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فسل هلم - قال أبو بكر يارسول الله ذاك الذى لا توى عليه - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا رجوا أن تكون منهم " (٣)

ومعنى لا توى عليه أى لا هلكه عليه

هذا بعض ما ورد فى الترغيب فى النفقة فى سبيل الله أما ما ورد فى الترهيب فقد ورد القرآن الكريم وفيه الوعيد الشديد على الذين لا ينفقون أموالهم فى سبيل الله فقد قال تعالى " والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون " (٤)

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٨

(٢) انظر سنن النسائي ج ٦ ص ٢٣٣ وجامع الترمذى مع شرحه تحفة الاحوزى ج ١

ص ١٩٠ - ١٩٨

(٣) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٢

(٤) سورة التوبة ٣٤ ، ٣٥

فى هذه الاية الكريمة وعيد شديد لمن يبخل ولا ينفق مما آتاه الله من فضله  
بسل صار يدفنه فى بطن الارض فكان جزاؤه أن بشره ربه بالمذاب الاليم البالغ نسي  
الالم وهذه البشارة أتت على طريق التهكم بمن كانت هذه حاله من كثر الذهب والفضة  
وغيره من مال الله الذى فضلهم به على غيرهم لينظر كيف يصنعون به هل يقومون  
بحقه فيؤجرون أو يمتصونه فيمذبون ثم جاءت بعد البشارة فائدة المال المكسوز  
وذلك أنه يحصى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوسهم وظهورهم وخصت  
هذه المواضع بالذكر لكون التألم بكيها أشد لما فى داخلها من الاعضاء الشريفة  
وقيل ليكون الكى فى الجهات الاربع من قدام وخلف وعن يمين وعن يسار وقيل لان  
الجمال فى الوجه والقوة فى الظهر والجنين والانسان انما يطلب المال للجسمال  
والقوة ثم عقب على هذا الكى بالسبب الموجب له فقال هذا ما كنزتم لانفسكم " يعنى  
انكم كنزتموه لتنتفعوا به فهذا نفعه على طريقة التهكم والتوبيخ " فذوقوا ما كنتم  
تكنزون " أى فذوقوا فائدته ووباله وسوء عاقبته وقبح مغيبته وشؤم فائدته " (١)

ومثل هذه الاية قوله تعالى :

" ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل أشراً لهم  
سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون  
خبير " (٢)

قال القاسمى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الاية " أعلم أنه تعالى لما بالغ  
فى التحريض على بذل النفس فى الجهاد فى الايات المتقدمة شرع هنا فى التحريض  
على بذل المال فى سبيل الله وبين العيد الشديد لمن يبخل ببذله فيه " (٣)

وهذه الاية تقول لا يظن أحد أن من بخل بمال الله الذى تفضل به على  
عباده ( هو خير لهم بل هو شر لهم ) لان الخير أن تصرف أن الله حين أعطاك

(١) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٢ ص ٣٥٦

(٢) آل عمران ١٨٠

(٣) محاسن التأويل ج ٤ ص ١٠٤٨

هذا المال ليكون عوناً لك على طاعة الله وبلاغاً إلى خير وتمرف حق الله فيه فلا تبخل به على أخوانك الفقراء والمحاويج بل تبدله لهم في سبيل مرضاة الله وطاعته وتعين به المسلمين عندما يحتاجون منك الاعانة من تجهيز الفزاة وغير ذلك من وجوه الخير فان الذي يبخل بالمال يكون عليه هذا المال شراً يوم القيامة لان الله تعالى يجمل هذا المال طوقاً في أعناقهم ويلزمهم ائمه وعقابه ولا يجدون الى دفعه سبيلاً وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من اتاه اللئيم فلا يبره لم يبرك كتمثل له يوم القيامة شجاعاً أقرح له زبيبتان يظوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزيمه يعني شد قيسه ثم يقول أنا ملك أنا كنزك ثم تلا " ولا تحمبن الذين يبخلون" الآية (١)

ففي هذه عبرة لمن اعتبر وعظة لمن ألقى السمع وهو شهيد والله أعلم .

## الباب الثانى

### مراحل الجهاد

وهنا مرحلتان

( أ ) المرحلة المكية

( ب ) المرحلة المدنية

#### ( أ ) المرحلة المكية

وهذه المرحلة هي مرحلة الجهاد بالقلب واللسان وقد أحلت الكلام على هاتين المسألتين فى أنواع ما يجاهد به الكفار الى هذا الباب وتكلمت على الجهاد بالنفس والمال وان كان الجهاد بالمال مشترك بين المرحلة المكية والمرحلة المدنية .

فأقول ان هذا النوع من الجهاد هو الذى قاسى فيه الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه أشد أنواع العذاب وذاقوا فيه الامرين وذلك أن العرب فى ذلك الزمان كانت تشور نائرتهم وتتقاتل فيه القبائل لاتفه الاسباب فلما جاء الاسلام وأراد أن يجعل من هذه المصيبة لثائرة سريمة الفضب والانفعال أمة تقود الناس وتحكمهم وتعلمهم الفضائل والاخلاق الحميدة وتبمد هم عن سرعة الانفعال للنفس أو للقبيلة أخذ يهذب أخلاقهم ويعلمهم الصبر وأخذ الامور بالحلم واللين فى الاخلاق والمعاملة الحسنة التى تجعل من العدو اللدود أصدق صديق وأقرب من القرب " ادفع بالتي هى أحسن فإن الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم " ( ١ )  
ادفع بالتي هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون " ( ٢ )

فلما كان هذا أسلوب الدعوة وجهاد الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذه الفترة من مناصب على تحمل المشقة والتعب والصبر على الاذى وكان الله تعالى يقول

( ١ ) سورة فصلت ٣٤

( ٢ ) سورة المؤمنون ٩٦

له " فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا " (١) فجاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه ولسانه ولم يبال بما اعترضه من الازى والاحقاد والسخرية والاستهزاء بل مضى فى جهاده ليلا ونهارا وسرا واعلانا محتسبا ذلك لله سبحانه راجيا ما عنده آخذا بما أدبه الله به ووجهه اليه من الاوامر المتكررة الحاثئة على الصبر وعدم الضجر مما ناله أو نال أصحابه لهذا لما شكى اليه خباب فى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه يقول " أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برودة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت ، الا تدعو الله ، فقمده وهو محمى وجهه فقال لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه ، فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنم الى حضرة ما يخاف الا الله والذئب على غنمه " (٢)

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى أصحابه على الصبر وتحمل المشاق ويضرب لهم الامثلة والمبرهن مضى من الامم حتى يعلموا أنهم سادة أمم وقادة فكر وصبر وتحمل لاعباء الجهاد ومتاعبه فهذه الاجساد التى تذوق نوعا من العذاب والنكال ما كان هذا العذاب الا من أجل راحتها الابديه والموت هو الموت كما يقول الشاعر :

وطعم الموت فى أمر عظيم ••• كطعم الموت فى أمر حقير

وكذلك قوله :

فمن لم يمت بالسيف مات بغيره ••• تنوعت الاسباب والموت واحد

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جهاده وانكاره هذه الاعمال الشركية وعبادة الاوثان فيصبح فيهم لما نزلت عليه هذه الاية الكريمة " وانذر عشيرتسك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعتك من المؤمنين " (٣)

(١) الفرقان ٥٢

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ص ٣٨

(٣) الشعراء ٢١٤ ، ٢١٥

كما يروى ذلك البخارى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت ( وانذر عشيرتك الاقربين ) صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى زهري يا بنى عدى - لبطون قريش - حتى اجتمعوا به فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتم لرسولنا أخبرتم أن خيلا يا الوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقنا قالوا نعم ، ما جربنا عليك الا صدقا ، قال فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ( تبأ يداي أبى لهب ) الصورة . ( ١ )

لم يمبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الموقف الصعب الذى يتصدى له فيه من هو من أقرب الناس اليه بهذا الكلام البشع وهذا الرد المنيف والاسلوب الوقح الجاف مع ابن أخيه الذى كان ينبغى أن يكون أولى الناس بنصرته ولكن الشقوة اذا كانت قد سبقت لم ينفع القرب أو البمد بل ان كلا ميسر لما خلق له يخرج الرسول من هذا الموقف وقد بلغ البلاغ المبين على مشهد من قريش عموما وخصوصا يقول نفسى هذا الموضع ابن اسحاق ( ولما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغنى - حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك اعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، الا من عصمه الله تعالى بالاسلام وهم قليل مستحقون " . ( ٢ )

ويمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته مع عناد قومه له واصرارهم على الكفر والتكذيب وعبادة الطواغيت والمداوة الشديدة التى لا تفتري ليلأ أو نهارا وتنزل الاية تلو الاية مذكرة له بما أصاب اخوانه المرسلين فى الامم السابقين وما هم عليه من التكذيب والمناد الشديد ليأخذ الدروس عن حالة هذه الامم <sup>المذكورة</sup> فلا يهسون عزمه ولا تخور قواه ويمسمر على جهاده مع معارضة قومه وصددهم عن دين الله تعالى وعن منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى " فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستمجل لهم " . ( ٣ )

( ١ ) صحيح البخارى ج ٦ ص ٩٢

( ٢ ) السيرة النبوية ج ١ ص ٢٦٤

( ٣ ) الاحقاف ٣٥

وإن يكذبوك فقد كذبت قبيلهم قوم نوح وعاد و ثمود ، وقوم ابراهيم وقوم لوط  
وأصحاب مدين وكذب موسى فأميلت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير . " (١)

هنا يعلم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتعليل أن هذه الطريقة ليست  
بدعا انما هي سنة من سبقه من اخوانه المرسلين في جهادهم ودعوتهم الامم فليس  
يبقى الا أن يشمر عن ساعد الجد ويتذرع بالصبر والمغفو والحلم ولين الجانب  
والملاطفة والمغفو عن الناس غير مكثر بحزن عليهم ولا ضائق صدره بما أصابهم  
" واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله  
مع الذين آمنوا والذين هم محسنون " (٢) .

• وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل " (٣) .

• فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون " (٤) .

فكان في هذه الايات أمر بالصبر والصفح والاعراض ونهي عن الجزع والحزن  
وضيق الصدر مع وعيد الكافرين بما سوف يكون له من العاقبة وان الله معه وناصره  
عليهم لانه مع المتقين والمحسنين ولهذا قال فسوف يعلمون من تكون له العاقبة  
في الدنيا والاخرة فعندما يسمع الرسول هذه الايات وهذه الاوامر والبشارة بمن  
تكون له العاقبة وانها سنة من مضى من الرسل مع أممهم ينشج صدره ويثوب السى  
رشده مما كان يخالج نفسه في عدم قبول الناس دعوته وردهم لدين الله الذي عرف  
صدره وأنه من لدن خالق الكون الذي أوجدهم من العدم ورباهم بالنعم وكان  
يجول ذلك في نفسه ويشغل فكره وضاق صدره لعدم قبول الناس هذا البرهان الواضح  
الجلي الذي لا خفا فيه ولا ليس عليه حتى لقد حاك في نفسه الملل فاخبره الله  
تمالى بما قد توهم في نفسه من ضيق الصدر والجزع فقال تعالى " فلملك تبارك  
بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك  
انما أنت نذير والله على كل شىء وكيل " (٥) .

(١) الحج ٤٢ - ٤٤

(٢) النحل ١٢٧ هـ ١٢٨

(٣) الحجر ٨٥

(٤) الزخرف ٨٩

(٥) هود ١٢



وهذا لقولهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وهذه تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام حتى لا يكثر بما يحاك جوله من الأقاويل الباطلة والاقتراحات النبوية لان وظيفة الرسول الانذار والقلب وهداية العباد بيد الله سبحانه وتعالى فيوضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهد هم بالقرآن الكريم وتضييق صدورهم ونفوسهم بهذا القرآن الكريم ويحاولون جادين في احباطه وابطاله وخفض قيمته ومعنويته من النفوس وتخاف هذه الجموع وهذه القبائل من تأثيره على أهل المواسم بعد ظهور أثره فيهم فتمقد المجالس والندوات ضد الرسول وضد دعوته وترأس هذا المجلس الظالم الوليد بن المغيرة لشرفه في قومه واصابة رأيه فيهم حتى يضع لهم خطة يلقبون بها أهل الموسم وقد أن أوانه وخافوا من انتشار الاسلام في القبائل كما انتشر نسبي أهل مكة .

فيروى لنا ابن هشام في السيرة النبوية هذا المؤتمر وما قرر فيه يقول " أن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذاك من فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بمضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا : قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأيا نقول به ، قال : بل انتم فقولوا اسمع وهنا يقول كل من المؤتمرين برأيه ويعرض فكرته ويرد عليهم يمارهب من معرفة وخبرة وعلم ويتجاهل هذه المعرفة ويعرض عنها كما يقزر فيقولون كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن ولا سجمه ، قالوا : فنقول مجنون ، قال : ما هو مجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشاعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه وببسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر لقد رأينا الساحر وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال والله أن لقوله لحلاوة وان أصله لمذق وان فرعه لجنسائه وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل ، وان أقرب القول فيه لان تقولوا ساحر ، جاء يقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء

وزوجته وبين المرء وعشيرته \* (١) .

هذا ما قرره هذا الرأى الذى ناقض قوله بنفسه ينفى عنه السحر وأخيرا يقول هو سحر وهذا شأن المبطل لا يقول قولاً ثم يثبت عليه بل يتقلب من قوله الى قول وما ذاك الا من أجل المداوة والهوى الذى أعى قلبه واخرص لسانه من القول بالحق مع انه قد أثبت انه حق وصدق ولكنه لا يقبل أن يثبت الحق على حقيقته وهنا تقصف قرش فى الطرقات محذرة أهل المواسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هو ساحر وما الى ذلك الخيط الذى تقلبوا فيه فاذا قدم عليهم أحد حذروه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم ان من سمع هذا القرآن الذى أصبح يهدد كيانهم وكأنه على رؤوسهم أشد من ضرب السيوف ومن وقع السهام يكذب واقصم ويملسم أنه حق وصدق ليس بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة كما وقع للطقييل بن عمرو الدوسى لما قدم مكة قال عن نفسه " انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى اليه رجال من قرش ، وكان الطقييل رجلاً شريفاً شاعراً لبيبا ، فقالوا له : يا طقييل ، انك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته ، وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمع منه شيئا قال : فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت فى اذنى حين غدوت الى المسجد كرسفاً فرقا من أن يبلغنى شئ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع منه قال : فغدوت الى المسجد ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلبى عند الكعبة . قال فقامت منه قريبا ، فابى الله الا أن يسمنى بعض قوله . قال سمعت كلاما حسنا قال فقلت فى نفسى : وانكلى أمى ، والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن والقيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته .

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فاتبعته ، حتى اذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا ، للذي قالوا ، فوالله ما يرجوا يخوفونني أمرك حتى سددت اذني بكرسف لئلا اسمع قولك ، ثم أي الله الا أن يسمعي قولك ، فسمعتة قولاً حسناً ، فاعرض على أمرك قال : فتمرض على رسول الله الاسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه . قال فاسلمت وشهدت شهادة الحق . ( ١ )

هكذا يحاول أعداء الله تعالى أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . ( ٢ )

وهكذا تضيق نفوسهم بسماع القرآن الكريم ويصير عليهم حرباً يبذلون كل ما في وسعهم للصد عنه وعن حامله وللداعي اليه فلا يكادون يسمعون منه من أحد الا عذبه وآذوه وضربوه ويكابد الرسول عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه هذه المشقة العظيمة التي بلغت الي أنهم اذا سمعوا من نطق بكلمة الحق يأخذونه ويضربونه ويحتقرونه كما حدث لابي ذر رضى الله عنه عند اسلامه كما يروى لنا ذلك الامام البخارى رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاختيه اركب الى هذا الوادى فاعلم لى علم الرجل الذى يزعم أنه نبي يأتيه الخير من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتنى فا نطلق الاخ حتى قدمه وسمع من قوله ، ثم رجع الى أبى ذر فقال له : رأيتك بأمر بمكارم الاخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر ، فقال ما شفيتنى مما أردت ، فتزود و حمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكسره أن يسأل عنه ، حتى ادركه بعض الليل فراه على فصرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء حتى أصبح ، ثم احتمل قربه وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى ، فمآد

( ١ ) السيرة النبوية ح ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣

( ٢ ) الصف ٨

الى مضجعه فمر به على فقال : اما نال الرجل أن يعلم منزله ؟ فاقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى اذا كان يوم الثالث فمما د على مثل ذلك فاقام معه ثم قال : الا تحدثني ما الذي أقدمك ؟ قال ان اعطيتني عهدا وميثاقا لترشدني ففعلت ، ففعل فاخبره قال فانه حق وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أصبحت فاتبعني فاني أن رأيت شيئا أخاف عليك فمت كانى أرسق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلى ، ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه فسمع من قوله واسلم . مكانه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ارجع الى قومك فاخبرهم حتى يأتيك أمرى قال والذي نفسى بيده لا صرخن بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجموه ، وأتى العباس فأكب عليه قال ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم الى الشام ، فانفذه منهم ثم عاد من الغد لصلها فضربوه وشاروا اليه فأكب العباس عليه " (١)

هذه حالة قريش مع من أسلم وأى شد <sup>صركه</sup> تعظم من تخفى الذى يريد أن يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا على ابن أبى طالب سيد فى قومه وله من المنزلة فى القوم ما لا يخفى ويسلك فى ايصال أبى ذر الى هذا التخفى البليغ الذى لا يجد حيلة يحمى بها هذا الذى يقصد الوصول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بهذه الوسيلة الشديدة الصعبة التى بلغت أنه لا يستطيع هذا السيد العظيم فى قومه حماية ضيفه من مجتمعه الذى هو واحد من أفراد .

ولم تقف الشدة والعذاب الى التخوف والتهديد بل وصلت الى أعظم من هذا واشد فقد اعتدت قريش من حين أسلم أول <sup>زيرة</sup> <sup>أعد</sup> من المؤمنين الضعفاء الذين ليس لهم قوة فى قريش تحوطهم وتحميمهم فمذبتهم أنواع العذاب من القتل والعذاب المهين فقد عدت كل قبيلة من قبائل قريش الى من أسلم من المستضعفين فصاروا يذيقونهم أشد أنواع البلاء من الحبس والضرب والجوع والعطش ووضعهم فى شدة

الحر في رمضاء مكة ووضع الصخور المظيعة على صدورهم حتى يكفروا بمحمد ويدين محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا بالاصنام التي لا تنفع ولا تضر ويتركون ربنا ناعسا ضارا فمنهم من ربحه الله ويحتمل الاذى ومنهم من يكفر بالاسلام ومنهم من مات تحت المذاب كياسر وزوجته سمية رضي الله عنهما فقد اشتد عليهم المذاب وأخذ أبو جهل حربة فطعن بها سميه في فرجها حتى قتلها" (١)

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيمونه ومطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يمطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له ، اللات والعزى الهك من دون الله ؟ فيقول : نعم حتى أن الجمل ليمر بهم فيقولون له أهذا الجمل الهك من دون الله فيقول : نعم ، افتداه منهم مما يبلغون من جهده" (٢)

لم يقف المذاب على حد المستضعفين والذين لا قبيلة لهم في هذا المجتمع الظالم تقوم دونهم بل وصل هذا الاذى والمذاب الى الاشراف في قبيلتهم والى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فهذا أبو بكر رضي الله عنه قد ضرب وعذب يقول ابن اسحاق " وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر ، انها قالت : لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جذبوه بلحيته وكان رجلاً كبير الشعر" (٣)

وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى في سبيل الله اذى كثيرا فقد كان ساجدا وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلتي جزور فخذ نفسه على ظهره النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه فجاءت فمأطمه عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم عليك الملاء من قريش " وعدد أسماءهم .

(١) انظر الاصابة في تمييز الصحابة ج ٦ ص ٢٢٢ المطبعة الشرقية عام ١٢٢٥ هـ  
والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٢٠ وزاد المعاد ج ١ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩  
(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٣٢٠  
(٣) السيرة النبوية ج ١ ص ٢٩٠

قال عروة بن الزبير سألت عمرو بن الماص أخبرني بأشد شيء صنمه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في حجر الكعبة اذا قيل عقبه بن أبي مبيط ، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بطنه ، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ) الآية (١) .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل به هكذا ويجاهد نفسه على الصبر وتحمل هذه المشقة الصعبة مع قدرته لو أراد القتال على القتال ولكن التربية القرآنية تأبى عليه الغضب لنفسه وسرعته الانفعال لما في ذلك من المصالح التي يعلمها الله سبحانه وتعالى وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه في هذه التربية العظيمة " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " (٢)

وتمر هذه الفترة الصعبة فلا يجد الرسول وأصحابه الا أن يطلبوا الامن فسيشاركوا الارض ومخازنها فيشير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى أرض الحبشة لما نالهم من الاذى سادتهم وضعف ائمتهم فيها جر جعفر بن أبي طالب وعثمان ابن عفان وكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين اشتد عليهم الاذى ولاقوا الصمود في مكة وسهم الزعيم العظيم أبو بكر رضي الله عنه بالهجرة حتى يرد ابن الدغنة في جواره (٣) انها لحقبيه صعبه جدا ألجأت مثل هؤلاء على فراق الاوطان والاموال والاهل والعشيرة وترضوا بالاغتراب في بلاد لا يعرفون فيها وليس لهم في هذا المجتمع الذي فروا اليه من السلطان والجاه كما لهم في وطنهم وعشيرتهم ولكن الذي جعلهم يزهدون في شرفهم ومكانتهم ما حصل لهم من الاذى والعذاب الشديد الذي لجبرهم على هذه الضربة غير مبالين بالشرف الذي يهان في وطنه وعشيرته لا لاجل شيء سوى انهم نقموا

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٨ ، ٣٩ وصحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٢

ص ١٥١ والسيرة النبوية ج ١ ص ٢٩٠

(٢) انظر الفتح الصراني ترتيب مسند أحمد ج ١٩ ص ٧٩

(٣) انظر صحيح البخاري ج ٥ / ٤٩ وانظر السيرة النبوية ١ / ٣٧٢

عليهم ايمانهم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فضحوا بالاموال والاوطان والاهل  
والمشيرة في سبيل اظهارهم دينهم الذي رضىه الله لهم دينا واختاروا فراقهم  
لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو خرجتم الى أرض الحبشة فسان  
بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم  
فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله عليه وسلم الى أرض الحبشة  
مخافة الفتنة ، وفرارا الى الله بدينهم " (١) .

وتمضى هذه الفترة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ممثلا لامر الله صادعا  
بما أوحاه الله مبلغا رسالة ربه غير خائف ولا وجل ولا مكترث بما يحاك حوله  
من المؤامرات والباطيل التى تقال عنه وعن رسالته التى تحمل عبثها وجاهد هم  
بالقرآن العظيم وهيدد كيانهم وزلزلهم زلزلا شديدا وعاب بهم وعاب دينهم وسفه  
أحلامهم ورد افتراءاتهم وأقاويلهم الكاذبة فكان خوفهم من سماع القرآن شديدا  
لما له من القوة والسلطان والتأثير العميق ، والجاذبية التى لا تقاوم ، ما كان  
يهز قلوبهم هذا ، ويزلزل أرواحهم زلزلا شديدا فيقالبون أثره بكل وسيلة فلا  
يستطيعون الى ذلك سبيلا .

أضواء

لقد كان كبرا قريش يقولون للجماهير " لاتسمعوا لهذا القرآن والغر فيه  
لملكم تغلبون " (٢) وكانت هذه المقالة تدل على الذعر الذى تضطرب  
به نفوسهم ونفوس اتباعهم من تأثير هذا القرآن وهم يرون هؤلاء الاتباع كأنما  
يسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية واليتين والسورة والسورتين يتلوهما  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتقاد اليه النفوس وتهوى اليه الافئدة " (٣)

وانما قال الرؤسا هذا القول لاتباعهم من قوة تأثير هذا القرآن فى نفوسهم  
لانهم أحسوا فى أعماق نفوسهم هذه الهزة التى روعتهم وسحرت عقولهم وجعلتهم  
يأتون الى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلم الليل حتى يسمعوا من

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ٣٢١

(٢) فصلت ٢٦

(٣) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب طبعة دار الشروق ١٣٩٤ هـ ج ٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وما فيه من الامور التي تلائم الفطر السليمة التي خلقت من متابعة الهوى والحسد وجرت على الفطرة التي خلقت عليها فسان في القرآن من الحق الفطري البسيط ، لما يوهل القلب مباشرة بالنبع الاصيل ، فيصعب أن يقف لهذا النبع الفسوار ، وان يصد عنه تدفق التيار وان فيه من شاهد القيامة ومن القصص ومن شاهد الكون الناطقة ، ومن مصارع الفائزين ، ومن قسوة التشخيص والتشثيل ما يهز القلوب هزا لا يملك معه قرارا " (١)

ولهذا كان من حلاوة القرآن وقوة أثره فيهم أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والخنس بن شريق وهم رؤساء أهل مكة وأشد أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته يأتون في ظلم الليل حتى يسموا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن اسحاق عن الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهر خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فثلاوسوا ، وقال بعضهم لبعض لا تصعدوا فلو رأيتم بعض صفهاكم لا وقستم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا تبرحوا حتى نتماهد الا نمود فتماهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا . " (٢)

وما يدل على تأثير القرآن عليهم وخوفهم من سماعه ما حدث في قصة جوار ابن الدغنة لابي بكر رضى الله عنه كما يروى ذلك الامام البخارى رحمه الله عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن ابن الدغنة قال " ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ويقسرى

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٥ ص ٢٥٧١ دار الشروق عام ١٣٩٤ هـ

(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٣١٥



الضيف ، ومعين على نواب الحق ؟ نلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر أن يعبد ويصلي في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعملن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وابنائنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لابن بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعملن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدأ لابن بكر فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وابنائهم وهم يصجبون منه ، وينظرون اليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن وانزع ذلك أشرف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة تقدم عليهم ، فقالوا انا كنا أجزنا ابا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك ، فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلمت بالصلاة والقرآنة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وابنائنا فانبهه فان أحسب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا أن يعلن بذلك ، فسله أن يورد اليك ذمتك فانها قد كرهنا أن نخضرك <sup>بعضهم</sup> وكسنا مقربين لابن بكر الاستعلان قالت عائشة رضي الله عنها : فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر ، فقال قد علمت الذي عاقدت لك والحديث .

هذا نوع من الفزع الذي أصاب قريشا وخاف منه سادتهم على اتباعهم فتضيع رئاستهم ويصيرون كما يزعمون لا رأى لهم في مجتمهم فاذا صار الرؤساء يأخذ القرآن بعقولهم وكذا الضعفاء من باب أولى وانا يحاول الزعماء مخالطة الواقع والتعمية على الاتباع حتى تبقى لهم هذه الرئاسة الخبيثة التي أعمت المقبول وضيمت صاحب اللب من لبه فلا يجد الا مكابرة نفسه وصرفها عن فطرتها فيتصدى للدعوة والداعى ويحاول جاهدا أن يطفى هذا النور الذي كاد يبديد الظلام في هذا المجتمع القاسى على من خرج من هذه الظلمات واهتدى بنور الايمان الذي لا خفاء فيه وقتت هذه المصابة فترة من الزمن تمذب وتقتل وتشرذ عسسان الاوطان من خرج من هذه الظلمة " وبأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون " .

تخرج الهجرة الاولى والثانية الى الحبشة ويبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في حصار بني شعب أبسى طالب مقطوعين لا يصل اليهم الطعام الا خفية ولا يعاملون في البيع والشراء ولا يزوجون ولا يتزوج منهم اجتمعوا لذلك

وكتبوه في صحيفة ثم تماهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة  
توكيدا على أنفسهم \* (١) .

ظل هذا الحصار الاقتصادي مضروبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
واتباعه ومن عاونه ولو كان من المشركين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذه  
الصعوبة يدعوا قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مباديا بأمر الله لا يتقى فيه أحدا  
من الناس \* (٢) .

ولما ضاق به أهل مكة ذرعا ذهب يمرض نفسه على أهل الطائف يلتمس منهم  
النصرة والمضعة من قومه ، رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج  
اليهم وحده ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل الطائف ، عبد الى  
نفر من ثقيف ، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشراقهم ، وهم أخوة ثلاثة : عبد باليل  
بن عمرو بن عمير ومسمود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير فجلس اليهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم الى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته  
على الاسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .

فكان ردهم على الرسول صلى الله عليه وسلم اقبح واشد من رد قريش فقال  
له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال الاخر أما وجد الله  
أحدا يرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا . ولئن كنت رسولا ممن  
الله كما تقول ، لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على  
الله ، ما ينبغي لى أن أكلمك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم  
وقد يئس من خير ثقيف ولم يقتصروا على هذا الرد والتكذيب بل أغروا به سفهاهم  
وعبيد هم يسبونهم ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه الى حائط  
لعتبه بن ربيعة وشيبة بن ربيعة \* (٣)

(١) انظر السيرة النبوية ج ١ ص ٣٥٠

(٢) انظر المرجع السابق ٣٥٤

(٣) السيرة النبوية ج ١ ص ٤١٩

وزاد ابن كثير ما نقله عن موسى بن عقبه (١) \* فمد له أهل الطوائف صفيين على طريقه ، فلما هم جملوا لا يرفع رجله ولا يضمهما الا رضوخهما بالحجارة حتى أدومه فخلص منهم وهما يميلان الدماء فمد الى ظل نخلة وهو مكروب في ذلك الحائط \* (٢) ويرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأن الحزن والجزع واليأس قد ملا نفسه وبتهم نفسه بالتقصير في ابلاغ الرسالة ولعل ربه قد عاقبه في ذلك فيسرح عن نفسه بهذا الدعاء العظيم الذي أذهب حزن قلبه وبراأ همه واستراح لئناجاة مولاه فدعا بهذا الدعاء العظيم وشكى الى ربه حالته مع هؤلاء المعانديين الكذابين فيقول عليه السلام : \* اللهم أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ؟ أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصح عليه أمر الدنيا والاخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك لك العفو حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك \* (٣)

فلما رجع عن نفسه بهذا الدعاء العظيم وقفل راجعا الى مكة وكان قد طلب من ثقيف أن يكتبوا عنه اذا لم يجيبوه الى ما دعاهم اليه من الاسلام ومناصرتهم على قومه ولكنهم لم يفعلوا \* (٤) .

فلم يستطع الدخول الى مكة الا في جوار المطعم بن عدي وفي ذلك يذكر ابن كثير عن الاموي في منازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الاخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة ، فقال : ان حليف قريش لا يجير علي صميمها ، ثم بعث الى سهيل بن عمرو وليجيره فقال : أن بنني عامر بن لؤي لا تجير علي بنني كعب بن لؤي ، فبعثه الى المطعم بن عدي ليجيره فقال نعم أقل له فليات . فذهب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة

(١) موسى بن عقبه بن أبي عياش الاسدي مولى آل العزيم ثقة فقيه امام فسي المنازي لم يصح ان ابن معين ليته مات سنة أحدى وأربعين وقيل بعد ذلك

مع التقريب ج ٢ ص ٢٨٦

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٦ الطبعة الاولى سنة ١٣٥١ هـ سنة ١٩٣٢ م

مطبوعة السمادة بمصر .

(٣) العيرة النبوية ج ١ ص ٤٢٠

(٤) انظر المرجع السابق

فلما أصبح خرج معه هو ونحوه ستة أو سبعة متقلدي السيوف جميعا فدخلوا المسجد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طف واحتبوا بحمائل سيوفهم فى المطاف ، فأقبل أبو سفيان الى المطعم فقال " مجير أو تابع ؟ فقال لا بل مجير . قال اذا لا تحضر<sup>كحضر</sup> (١) هذه من الصمويات التى واجهت الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم فلم يهن ولم يمل ولم تخرقوا ، بل واجهه هذه الصمويات وهذه العقبات التى تمثر من سرعة المسير بقلب لا يخاف فى الحق لومة لائم فصعد الى هذه المصائب وهذه المصاعب وقابلها بالصبر والتحمل للذى ثم ذهب بعد هذه المشقة الى أهل المواسم يعرض عليهم نفسه ويدعوهم الى الله سبحانه وتعالى ويخبرهم أنه نبي مرسل وسألهم أن يصدقوه ومنعوه حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به

يقول ابن اسحاق وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال " أسمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبى قال : انى لفلان شاب مع أبى بصنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بنى فلان انى رسول الله اليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأتداد ، وأتوا<sup>سكنوا</sup> منوا<sup>بى</sup> ، وتصدقوا<sup>بى</sup> ، وتمنوني ، حتى أبين عن الله ما بعثنى به قال : وخلفه رجل أحول وضى ، له غد يرتسان عليه حلة عدنيه . فماذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل : يا بنى فلان ، ان هذا انما يدعوكم أن تسلخوا اللات والمعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجوى من بنى مالك بن أمية الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

قال فقلت لابي : يا أبت ، من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد المعزى بن عبد المطلب ؟ أبو لهب (٢)

هكذا يواجه الرسول عليه الصلاة والسلام هذه المصائب وهو صابر على هذا الرد الصنيف الذى يقال فى القبائل التى لا تعرفه فيقوم أقرب الناس اليه ويكذبه فيما يقول .

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٧ الطبعة الاولى .

(٢) انظر السيرة النبوية ج ١ ص ٤٢٣

## اتصال الرسول بأهل المدينة

فلما بلغ السيل الزبا ولففت القلوب الحناجر واشتدت المداوة على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وضائق عليهم الأرض بما رحبت وضائق عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وأراد الله أن يجعل لهذا الفضل العظيم من يقوم به وحميه ومظهر دين الله ولو كره الكافرون كان هذا الفضل العظيم والشرف العظيم فيمن أراد الله تعالى لهم الخير في الدنيا والآخرة وهم من خلد الإسلام ذكرهم ورفع قدرهم وأعلى شأنهم وهم الأوس والخزرج أهل المدينة المنورة التي صارت فيما بعد منطلق عز الإسلام والمسلمين ومأوى المؤمنين ومنها ظهرت كتاب الإسلام وحماة الرسول ودين الله القويم وامتد منها النور ودد الظلام واشرقت الأرض بنور ربها وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا وذلك أن الله لما أراد إظهار دينه وأعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز ما وعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا . قال ابن إسحاق : فلما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال : ابن موالى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون ألكم ؟ قالوا : بلى فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . وقال وكان ما صنع الله بهم في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوه ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : ان نبينا مبعوث الان ، قد أظل زمانه ، فتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلموا ؟ الله انه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه فاجابوه فيما دعاهم إليه بان صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا : انا قد تركنا قومنا ولا نسوم بينهم من المداوة الشرية بينهم فمضى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرنا ونعرض عليهم الذي اجبتك إليه من هذا الدين ، فكان

يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا \* (١) ورجعوا دعاة يحملون هذه الهداية الربانية فاصبحوا في المدينة دعاة حق وهداة خير ومشاعل تضيء الطريق ثم نشروا هذا الملم في بلادهم ودعوا قومهم الى الله ورسوله والى الممل الصالح الذي انار قلوبهم وفتح بصائرهم حتى فشى فيهم الاسلام فلم يبق بيت من بيوت الانصار الا وفيه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان العام المقبل وانسى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالصقفة وهي المقبة الاولى ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب \* (٢) .

ثم أرسل معهم النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة وكان منزله على أسعد بن زراره وكان يصلى بهم ويعلمهم أمور دينهم ويدعوهم الى الله تعالى فدخل معظم الانصار في دين الله أفواجا فقد ذكر ابن اسحاق في سيرته أنه لما قدم المدينة ونزل على ابي امامه أسعد بن زراره رضى الله عنهما وخرج به الى دار بني عبد الاشهل ودار بني ظفر وكان أسعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زارده فدخل بمصعب حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ واسيد بن خضير ، يومئذ سيذا قومهما من بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمع به قال سعد بن معاذ لاسيد ابن خضير لا أبالك ، انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضفانا ، فازجرهما وانهبهما عن أن يأتيا دارينا ، فانه لولا أن أسعد بن زراره منى حيث قد علمت كهيئتك ذلك . فأخذ أسيد ابن خضير حرثته ثم أقبل اليهما فلما رآه أسعد بن زراره قال لمصعب هذا سيد قومه فأصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشمتا ، فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضفانا اعتزلانا ان كانت لكما بانفسكما حاجة فقال له مصعب : أوتجلس فتسمع ، فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كسف عنك ما نكره ؟ قال انصفت ثم ركز حرثته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ٤٢٨

(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٣١ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٠

القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم فسي  
 أشراقة وتسهله ، ثم قال ما أحسن هذا الكلام وأجمه ؟ كيف تصنعون اذا  
 أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : نتفضل فنتطهر وتطهر ثوبيك  
 ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي فاقام فاعتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق ثم  
 ركع ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله  
 اليكما الان سعد بن معاذ ثم أخذ حريته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس  
 في ناديبهم ؟ فلما نظر اليه سعد بن معاذ قال أحلف باللله لقد جاءكم أسيد  
 بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت ؟  
 قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما ، فقالا :  
 فعل ما أحببت ، وقد حدث أن بني حارثه قد خرجوا الى أسعد بن زراره ليقتلوه ،  
 وذلك انهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك قال فقام سعد مضيا مبادرا تخوفا  
 للذي ذكر له من بني حارثه فأخذ الحرية من يده ثم قال : والله ما أرك أغويت  
 شيئا ، ثم خرج اليهما فلما رأها سعد مطمئنين ، عرف سعد ابن أسيدا انما  
 أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشمتا ، قال لاسعد بن زراره يا أبا  
 امامه أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني ، اتفشاننا فسي  
 دارنهما بما نكره - وقد قال أسعد لمصعب أي مصعب جاءك والله سيد من  
 وراءه من قومه أن يتبعك لا يختلف عنك منهم اثنان قال فقال له مصعب أوتقمعد  
 فتسمع فان رضيت ورفيت فيه قبلته ، وان كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سمعد  
 انصفت ثم ركز حريته وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا  
 والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم لاشرأقه وتسهله ثم قال لهما كيف تصنعون  
 اذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا نتفضل فنتطهر وتطهر ثوبيك  
 ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين قال فقام فاعتسل وطهر ثوبه وتشهد  
 شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حريته فاقبل عامدا الى نادي قومه ومعه  
 أسيد بن حضير .

قال فلما رآه قومه مقبلا ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بفسير  
 الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الاشهل ، كيف

تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا سيدنا وأصلنا وأفضلنا رأيا وإيماننا نقيبه قال فسان  
كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال لا فوالله ما أسمى  
فى داربنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة" (١) .

وأقام مصعب رضى الله عنه فى المدينة يدعو الى الله سبحانه وتعالى ونشر  
بينهم تعاليم الاسلام وعلمهم القرآن فدخلت جميع قبائل الانصار فى دين الله  
الا القليل منهم وذلك على أثر دعوته المباركة التى صدق الله تعالى فيها وهكذا  
ينهى لكل داعية اجلاس أن يخلص فى دعوته ويصدق الله فيها فان الله اذا عرف  
منه الصدق والاخلاص فلا بد أن ينصره وسأخذ بيده .

■ ■ ■



### بيعة العقبة الثانية

ومعد دخول هذه الجموع العظيمة في الاسلام أحب أنصار الله لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت قبائلهم حجاجا مسلمهم ومشركهم فوافقوا الموسم وواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق ولما فرغوا من الحج وكانت الليلة التي واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها قال : كذبنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لبيعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومنا امرأتان من نساءنا فقال فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج قال وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج أو سهبا وخزرجها أن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومه ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده أنه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نموه ممن خالفه ، فأنتم وما تحلمت من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعه من قومه وبلده قال : فقلنا قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ، ودعا الى الله ورغب في الاسلام ، ثم قال أبايكم على أن تنموني مما تمنون منه نساءكم وأبناكم ، قال : فأخذ البراء بين معرور بيده ، ثم قال : نعم والذي يحق بك بالحق نبيا لنمنعك ما نمنع منه أزونا - أي نساءنا لان المرأة قد يكنى عنها بالازار كما يكنى أيضا بالازار عن النفس فملى هذا يجوز حمل الازار على المعنيين

أى النفسى والمرأة نبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الجحروب وأهل الحلقة  
ورثناها كإبراهيم عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أبو الهيثم ابن التيهان ، فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وانسا  
قاطموها - يعنى اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله  
ان ترجع الى قومك وتدعنا <sup>هم</sup> قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل  
الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتكم ، وأسلم من سالمتم  
قال ابن اسحاق .

ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله قال المباسين عبادة بن أنفلسه  
يا معشر الخزرج ، هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال : انكم  
تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا تهكت أموالكم  
مصيبة واشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الان فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والاخرة وان  
كنتم ترون انكم واقرون له بما دعوتوه اليه على تهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه ،  
فهو والله خير الدنيا والاخرة ، قالوا فانا نأخذه على مصيبه الاموال وقتل الاشراف  
فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفيما قال الجنة قالوا أبسط بذلك فبسط يده  
نبايعوه . (١)

ومعد هذه البيعة المظيمة التى بدأت فى هذا الموسم أصبح للمسلمين  
قوة خارج هذه القرية الظالم أهلها والموقف فى أشد حرج وتعاون الاعداء على  
الدعوة الاسلامية وعلى اتباعها وقد فصلت هذه البيعة المباركة بين الفريقين وسين  
الحق والباطل وصارت المدينة المنورة حصنا منيعا وملجأ للمؤمنين برسالة محمد  
صلى الله عليه وسلم فهاجر اليها المؤمنون الواحد والاثنان والجماعة حتى تكاملوا  
فى المدينة المنورة ضيوفاً على قوم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم  
حاجة مما أوتوا ويوفون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . (٢)

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ٤٤٦

(٢) الحشر ٩

نزلوا هذا المنزل المملوء بالحب والاخاء بعد الوطن الذي كان يزخر بالسخرية والاستهزاء وهذا يصدق قوله تعالى فان مع المسر يسرا (١) .

صبروا على المصائب والمتاعب والجو الحزين الذي كاد يبتلع هذه الدعوة ، وأهلها ثم جعل الله لهم من بعد هذا الغم والهم فرجا فأخرجهم من موطن الكفر الى موطن الايمان فوجدوا صدورا رحبه وقلوبا ملئت بالايمان والرحمة والمطف وهذه عاقبة الصبر والصنع والاعراض عن الجاهل ووضع الفكرة في نفوسهم وهذا مما يجعل المسلم ينظر الى الدهر بعين البصيرة ويعرف أنها غمة لا بد لها أن تنكشف وتزول لان الباطل لا يلبث أمام الحق والظلمة تنفثع اذا سلط عليها النور .

### هجرة الرسول الى المدينة

ولما رأيت قريش هذه الجموع تخرج من مكة وتذهب الى المدينة المنورة خافت واضطرب أمرها وفكرت في حل لهذه القضية التي تهدد كيانها وذلك بعد أن علمت أن القوم الذين تقبلوا المهاجرين قوم لهم قوة ومنعة فدخلوا دار الندوة وتشاوروا في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل منهم يقول اطردوه من الارض وقائل يقول اثبتوه بالحديد وقائل يقول بل اقتلوه ويتفق الجميع على قتله وذلك باخذهم من كل قبيلة من قبائل قريش فتي شابا جليدا نسبيا وسيطا فينسا ثم يعطى كل فتي منهم سيفا صارما ، ثم يعمدون اليه فيضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه وهذا يتفرق دمه في قبائل قريش فلا يقدر بنوعه مناف على حوب قومهم جميعا فيرضوا بالمقل فيصدق هذا الاتساق الشيطان ومصوبه ويقول هذا هو الرأي " لا رأى غيره " (٢) لانه قد دخل هذه الندوة بدعوى أنه شيخ من أهل نجد ويصدق هذا قوله تعالى " واذ يمكر بك الذين كفروا ليحبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خبير

(١) الشمس ٥ ٥ ٦

(٢) انظر السيرة النبوية ج ١ ص ٤٨١

الماكرين \* (١).

فتقدم هؤلاء الشباب لتنفيذ هذه المكيدة المدبرة من قبل زعماء قريش  
فيأتي الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخرج من بينهم وهم رصد له  
بالباب فيأخذ التراب ونثره على رؤسهم ويذهب ربواعة الله تاليا بعض الايات  
من أول سورة \* يس \* يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم  
تنزيل العزيز الرحيم لتذرقوا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على  
أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم  
مقحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم  
لا يبصرون \* (٢).

ويخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تاركا هو وأصحابه  
المال والبنين والاهل والمشيرة فارين بدينهم الى الله يطلبون الامن والاستقرار  
غير مهالين بالمصائب التي تعارضهم في سبيل اعلاء كلمة الله ونشر دينه الذي  
ارتضاه لهم \* الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يفتقون فضلا من الله ورضوانا  
وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون \* (٣).

ويأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوم لما بلغهم مخرجه من مكة  
المكرمة لم يكن شيء أحب اليهم من رؤيته عليه الصلاة والسلام ولهذا كانوا اذا  
صلوا الصبح يخرجوا فوقوا على ظهر الحرة حتى لا يدخلهم الا حر الشمس حين  
تقبل القيلولة خرج من بلدة تكاد تنفطر أكبادها عليه غضبا الى بلد تتلف شوقا  
اليه حتى أنه لما قدم اليهم لم يكن شيء أحب اليهم من مقدمه يقول البخاري رحمه  
الله في صحيحه وسمع المسلمون يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة  
فكانوا يفدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة \*  
فانقلبوا يوما بمد ما اطالوا انتظارهم ، فلما أفرأ الى بيوتهم أوفى رجل من

(١) الانفال ٣٠

(٢) يس ١ - ٩

(٣) الحشر ٨

يهود على أطم من أطمهم لا مري ينظر اليه فبصير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
مبيضسين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته يا معاشر  
العرب هذا جدكم الذى تنتظرون ، فثار المسلمون الى السلاح فطلقوا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فمدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فسقى  
بنى عمرو بن عوف . (١)

ومعد أن وصل الى المدينة المنورة صار يوطد الملاقة بين المهاجرين  
والانصار حتى أنه يؤاخى بين الرجل والرجل فيكون كل واحد منهما يرث صاحبه  
دون الاهل والمشييرة وهو أقرب اليه من أولى الارحام حتى زالت الفوارق وذهبت  
الوحشة التى بينهم فاصبحوا اخوانا فى دين الله متعاونين على طاعة الله تربطهم  
رابطة الاخوة الايمانية والروحية لا العصبية ولا القبلية ولما قرئت الصلة بين المهاجرين  
والانصار وصاروا أخوة متحابين متعاونين واصبح للاسلام دولة وقوة تحمية وعقدت  
الماهدة بين المسلمين وبين اليهود والذين يقيمون فى المدينة وصار جو المدينة  
جوا من سلام وجه القرآن الكريم عنايته الى اظهار دين الله بالقوة ونشره بالسيف  
والمنان .

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ٥١

( . ) مرحلة الاذن في القتال

وفي أثناء هجرة الرسول نزلت عليه آية الاذن بالجهاد

وتأخذ الشفقة على القوم من أبي بكر فأخذها وخاف عليهم عذاب الله تعالى لاخراجهم نبيه وطرده من الارض ومن المشيرة ويتوقع نزول العذاب فيقول اخرجوا نبيهم ليهلك ه فانزل الله تعالى " اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله " فقال أبو بكر لقد علمت أنه سيكون قتال " (١)

وهذا يدل أن هذه الآية نزلت في أثناء خروج الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة الى المدينة المنورة فتكون أول آية نزلت في الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد قيل أن أول آية نزلت هي قوله تعالى " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " (٢)

قال القرطبي هذه الآية أول آية نزلت في القتال قاله الربيع بن أنس وغيره ثم قال وروى عن أبي بكر الصديق أن أول آية نزلت في القتال " اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا والاول أكثر وأن آية الاذن انما نزلت في القتال عامة لمن قاتل ولمن لم يقاتل من المشركين " (٣)

ولكن الذي يظهر من سياق أثر الربيع بن أنس في تفسيره ابن جرير أنها لم تكن أول آية نزلت في القتال لانه قال هذه الآية أول آية نزلت في القتال في المدينة فلما نزلت كان الرسول يقاتل من يقاتله وكف عن كف عنه حتى نزلت براءة (٤) أما

(١) انظر سنن الترمذي ج ٩ ص ١٥ والنسائي ج ٦ ص ٢ ط دار احياء التراث

السرني بيروت / لبنان .

(٢) البقرة ١٩٠

(٣) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٤٧

(٤) انظر تفسير ابن جرير ج ٢ ص ١١٠ ط الثانية بالانست عام ١٣٩٢ الموافق

١٩٧٢ م .

حديث أبي بكر فقد وضع أن آية الاذن نزلت في طريق الهجرة قبل النزول في المدينة المنورة فيكون الجمع والله تعالى أعلم أن آية الاذن أول ما نزل واية " وقاتلوا نفسى سبيل الله الذين يقاتلونكم " نزلت كالتوضيح للنبي صلى الله عليه وسلم <sup>ضمير</sup> فمَن يقاتل قالت الآية وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم والسياق يدل على ذلك لانه قال فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله ويكف عن كف عنه حتى نزلت برأه فظهر أنه توضيح للخطوة التي سيسير عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أن القرطبي لما وصل الى قوله تعالى :

" اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا <sup>الله</sup> والله على نصرهم لقدير " (١) تناقض بما تقدم فقال وهذا ناسخ لكل ما في القرآن من أعراض وترك وفتح . وهي أول آية نزلت في القتال قال ابن عباس وابن جبير : نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، ثم استدل بحديث ابن عباس وقول أبي بكر الصديق الذي أخرجه الترمذي والنسائي كما سبقت الإشارة اليه (٢)

فعلى هذا يتقرر أن أول آية نزلت في الجهاد هي آية الحج والجمع كما سبق والله تعالى أعلم .

\* \* \*

(١) الحج ٢٩

(٢) تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٦٨

## المرحلة الثانية

### فرض الجهاد على المسلمين لمن يقاتلهم

لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وأيده الله بنصره  
والمؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والاحن التي كانت بينهم فنمتمته  
أنصار الله وكتيبة الاسلام من الاسود والاحمر ه وذلوا أنفسهم دونه وقد مسوا  
محبتة على الاباء والابناء والازواج وكان أولى من أنفسهم \* (١)

نزلت الايات الداعية الى الجهاد فأول ما نزل في الامر بالجهاد قوله  
تمالى \* وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا ان الله لا يحسب  
المعتدين \* (٢)

وهذه الاية الكريمة رسم القرآن الكريم الخطة التي يدير عليها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وأصحابه فصار يقاتل المقاتل ومسلم المصالح من جنح  
للمسلم كما في قوله تمالى \* وان جنحوا للمسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو  
السيح العليم \* (٣)

وبعد أن أمر الله تمالى رسوله بالقتال ومصادمة قوى الشر نظم الفزوات  
والسرايا لمقاتلة أعداء الله وتخويفهم فوجه السرايا والفزوات حتى أخاف الأعداء

(١) انظر مختصر السيرة النبوية للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٦٠

(٢) سورة البقرة ١٩٠

(٣) سورة الانفال ٦١



## أول لواء عقده

ان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لواء حمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس مبعثة أشهر من مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم فسى ثلاثين راكبا الى سيف البحر وهم شطران من المهاجرين والانصار خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الانصار على ما ذكر الواقدي في مغازية ثم عقب على هذه الرواية بأن الانصار لم يكن خرج منهم أحد الا في الفزوة التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانه ينكر أن الانصار يخرجوا في السرايا التي قبل الفزوة التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)

ورواية ابن اسحاق تؤيد ذلك أنه لم يكن في سرية حمزة أحد من الانصار. (٢)

وقد قال ابن اسحاق أن أول راية عقده في الاسلام لاحد من المسلمين هي راية عبيدة بن الحارث ولم يذكر لها تاريخا بل قال " سرية عبيدة بن الحارث وهي أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام ". (٣)

ثم كأنه أراد أن يجمع بين القولين لما وصل الى سرية حمزة أنى سيف البحر فقال : ومضى الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسلمين وذلك أن بعثة وصحت عبيدة كان مما فشببه ذلك على الناس وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شمرا يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق ان شاء الله لم يكن يقول الا حقا فالله أعلم أي ذلك كان فأما ما سمعنا

(١) انظر مغازي الواقدي ج ١ ص ٩ مطبعة جامعة اكسفورد عام ١٩٦٦م

تحقيق الدكتور مارسون جونسون

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٥٩٥

(٣) انظر السيرة النبوية ج ١ ص ٥٩١

من أهل العلم عندنا • فمبيدة بن الحارث أول من عقد له • فقال حمزة فسئ  
ذلك فيما يزعمون : وقال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر  
لحمزة :

ألا يا قوس المتحلهم والجهل • وللنقص من رأى الرجال وللمقل  
وللراكين بالمظالم لم نظماً • لهم حرمان من سوام ولا أهمل  
أنا تبلناهم ولا تبذل عندنا • لهم غير أو بالمفانوي الممدل  
وأمر باسلام فلا يقبلونسه • وينزل منهم مثل منزلة الهنزل  
فما برحوا حتى انتديتظارة • لهم حيث حلوا ابتضى راحة الفضل  
بأمر رسول الله أول خافسق • عليه لواء لم يكن لاح من قبيل  
لواء لديه النصر من ذى كرامة • اله عزيز فعله أفضل الفمسل

الخ ..... (١)

هذا ما ذكر ابن اسحاق أما الواقدي فقد ذكر تاريخ السريتين فقال سرية  
حمزة في رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة وسرية عبيدة بن الحارث فسئ  
شوال على رأس ثمانية أشهر من مقدمة المدينة \* (٢)

قال ابن كثير في تاريخه وقد حكى موسى بن عقبه عن الزهري أن بعث  
حمزة قبل عبيدة بن الحارث ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الابواء • فلما  
قفل من الابواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين \* (٣)

وقال ابن كثير في هذا الشأن وكأنه يريد على ابن جرير في طمعه في رواية  
الواقدي \* والواقدي رحمه الله تعالى عنده زيادات حسنة وتاريخ محرر غالباً فانه

(١) انظر السيرة النبوية ج ١ ص ٥٩٥ ، ٥٩٦

(٢) انظر مفازي الواقدي ج ١ ص ٩ ، ١٠

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٥ الطبعة الاولى ١٩٦٦ مكتبة المعارف بيروت  
ومكتبة النصر بالرياض •

من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثر . (١)

فعلى هذا يكون أول لواء عقد في الاسلام هو لواء حمزة بن عبد المطلب .  
والمعلم عند الله وهذا وان كان غير مهم ولكن من باب زيادة في المعرفة والايضاح .  
وهلى كل فرسول الله صلى الله عليه وسلم واصل المصيرة بالسرايا والغزوات  
حتى فتح الله له الجزيرة المربية كلها قبسل ان يلحق بالرفيق الاعلى .

فوجه السرايا تمهيدا لما سيكون بعدها لاخافة المشركين وارهابهم وحتى  
ياخذوا في الاعتبار أنه بعد خروج الرسول وأصحابه الى المدينة وهجرهم مكة  
انهم خرجوا حتى يكونوا د ولتقدود عن الدعوة والداعى وتدعوا الى الله بجسرة  
وقوة بمد الضمف الذى كانوا فيه قبل هجرتهم الى المدينة فبعثت السرية تلو  
الاخرى والغزوة تلو الغزوة وواجهت قريشا وجها لوجه حتى تراموا بالنبال كما  
حدث في سيرة عبدة بن الحارث فان سعد ابن أبى وقاص روى بما فى كتابه  
حتى افناها ما فيها سهم الا ينكى به وكان أول سهم روى به فى الاسلام سهم  
سعد فى هذه الغزوة (٢) وقد نكر ابن اسحاق أن الرسول لما كان فى مكة  
خرج باصحابه فى شعاب يستخفون بصلاتهم فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر  
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعاب من شعاب مكة اذا ظهر عليهم  
نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنمون حتى قاتلوهم فضرب  
سعد ابن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بيمينه فشق فكان أول دم  
هريق فى الاسلام . (٣)

فبهذا قد جمع الله تعالى لسعد بين مكرمتين فهو أول من أراق دما فى  
الاسلام وأول من روى بسهم فى الاسلام .

(١) البداية والنهاية ح ٣ ص ٢٣٤

(٢) انظر مغازى الواقدي ح ١ ص ١٠ والسيرة النبوية لابن اسحاق

ح ١ ص ٥٩١

(٣) السيرة النبوية ح ١ ص ٢٦٣

وهذه السرايا والفزوات المتتالية اضطراب أمر قريش وخافوا على تجارتهم وعلى أنفسهم حتى وقع بهم ما كانوا يحذرون فما زالت السرايا تطاردهم على تجارتهم وعلى قطع الطريق عليهم حتى أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام عبد الله بن جحش في سرية ثم قتل عمرو بن الحضرمي وأخذ عيروه وانسر من أهـل الميراثسين فاضطربت قريش وصارت تقول ان محمداً وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال واسروا فيه الرجال وقد انكر الرسول عليهم فعملهم هذا فقال ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فوقف المير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً عند ذلك خاف عبد الله بن جحش واصحابه وظنوا انهم قد هلكوا حتى أنزل الله تعالى القرآن ولم يهون من أمر الشهر الحرام بل عظيمة ولكن ما تفعل قريش بالمسلمين أعظم وأكبر من القتال في الشهر الحرام وهو الصد عن سبيل الله تعالى والكفر به والصد كذلك عن المسجد الحرام وطردوا المسلمين عن المسجد الحرام وهم أهله وهذه الانفصال أعظم عند الله سبحانه وتعالى وأكبر اثم وجرم من القتال في الشهر الحرام ومع هذا فهم يفتنون المسلمين عن دينهم حتى يردوهم الى الكفر بعد الايمان وهذا أعظم عند الله تعالى من القتل يقول تعالى عنهم (١)

يألمونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا (٢)

وعند هذا أخرج الله كربة عبد الله بن جحش وسيرته فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المير وفد الاسيرين ثم كانت هذه العربة الشرارة المحركة السي قتال قريش في غزوة بدر ولهذا لما صرح فيهم ضمضم بن عمرو الففاري قالوا : أيظن محمد واصحابه أن تكون كميل بن الحضرمي ، كلا والله ليعلمن غـسير ذلك (٣)

(١) انظر السيرة النبوية ج ١ ص ٦٠١ - ٦٠٥

(٢) البقرة ٢١٧

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٦٠٩

وكذلك لما تشاورت قريش في الرجوع الى مكة وتترك محمدا وشأنه وسار  
فيهم حكيم بن حزام وحاول أن يصيد الناس عن القتال واتى الى عتبة بن ربيعة \*  
فقال له يا أبا لوليد انك كبير قريش<sup>وإذ لك</sup> مهدها والمطاع فيها هل لك الى أن لا تزال تذكر  
فيها بخير الى آخر الدهر وقال ومذاك يا حكيم قال ترجع بالناس وتحمل أمر  
حليفك عمرو بن الحضرمي وترجع بالناس قال قد فعلت وأنت على بذلك انما هو  
حليفي فملى عقله وما أصيب من ماله فات ابن الحنظلية فاني لا أخشى أن يشجر  
أمر الناس غيره يريد أبا جهل قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فقلست  
له يا أبا الحكيم أن عتبه أرسلني اليك بكذا وكذا اللذي قال أنتفخ<sup>قال</sup> سحره والله  
حين رأى محمدا وأصحابه كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ومسا  
" بمتبه ما قال ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم  
عليه ثم بعث الى عامر بن الحضرمي فقال هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد  
رأيت تارك بعينك فقم وانشد خفرتك - أي اطلب قريشا الوفاء بخفرتهم لك  
وعهدهم - ومقتل أخيك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمره واعمره  
فحميت الحرب" (١)

فالتقى الجمعان فهزم الله تعالى المشركين  
ونصر المؤمنين فأسرو سبعين وقتلوا سبعين

ولما فرض عليهم القتال كأنه شق عليهم لما فيه من الصعوبات من التعرض  
للقتل والشجاع وقطع الاطراف واخراج المال ومفارقة الوطن والاهل ولهذا قال  
الله تعالى " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم  
وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" (٢)

قال ابن كثير في قوله " وهو كره لكم " أي شديد عليكم ومشقة وهو كذلك  
فانه اما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر مجالدة في الاعداء ومع هذا لا يسدرى

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ٦٢٢ ، ٦٢٣

(٢) البقرة ٢١٦

المبذ أن المكروه قد يأتي بالحبوب وأن الحبوب إلى النفس قد يؤدي إلى الهلاك  
والدمار في الدنيا والآخرة .

يقول ابن كثير رحمه الله في هذا " وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم " <sup>(١)</sup>  
أى لان القتال يحقبه النصر والظفر على الاعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم  
وذرياتهم والأولادهم .

وقال القرطبي وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فانكم تغلبون  
وتذلون ويذهب أمركم . . . . . ونسب هذا إلى أبي عبيدة ثم قال قلت وهذا صحيح  
لا غبار عليه . كما اتفق في بلاد الاندلس ، تركوا الجهاد وجنبوا عن القتال  
واكثروا من الفرار ، فاستولى المدعو على البلاد واسر واسترق وقتل وسبى " فانا  
لله وانا إليه راجعون " <sup>(٢)</sup> وهذا مشاهد في البلاد الاسلامية جميعها فانهم  
لما تركوا الجهاد وتولى أمور المسلمين من لا يعرف تصريف أمورهم وأحبوا الدعة  
وترك القتال صارت أعظم دولة ظهرت في الوجود دويلات متناحرة متحاربة من  
أجل الرئاسة والزعامة لا من أجل اعلاء كلمة الله وسياسة الدنيا بمدلة وشرعية  
فان المسلمين لما كانوا ماضين في قتالهم ومحاربة أعداء البشرية وتوضيح الهدف  
الذي من أجله يقاتلون كانت تهز المروء وتزلزل كيان الملوك ولم يستطع العمد و  
الوصول إلى أى غرض من اغراضه حتى مزقت الدولة الاسلامية فاصبحت تقبل أقدام  
الاعداء وتستجد بهم جميع حوائجها وحتى حل الخصومات التي تحدث في الدول  
الاسلامية لا يتولى حلها الا أعداء الدنيا واعداء الاسلام اللهم نصرك وعفوك .

نعود إلى الموضوع فان القتال لا يشك في صعوبته على النفوس ولهذا لما  
فرض عليهم نيه المليم القدير أن فيه مشقة فقال كتب عليكم القتال وهو كره لكم  
وكذلك قال تعالى في فريق منهم .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٥٢  
(٢) تفسير القرطبي ج ٣ ص ٣٩ باختصار

انهم قالوا " ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قس  
متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا " (١)

فملى هذا فالفترة كانت تمهيدا لما يأتي من بعدها وكان الطابع عليها  
قتال المقاتل ومعاملة المسلم وكذلك كانت هذه الحقبة تقبل المصالحة والمعاهدة  
وقد وردت الايات التي تدل على هذه السياسة الحكيمة يقول الله تبارك وتعالى

" وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم " (٢)  
أى اذا طلبوا منك ومالوا الى الصلح فاقبل منهم الصلح واعتمد على الله سبحانه  
وتعالى فانه سميع لاقوالهم عليم بنياتهم ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يصلح في هذه الفترة من يريد أن يصلحه حتى لا يوجه جميع الانظار الى المسلمين  
وقدمهم بأن يصلح يوم الخندق عينيه بن حصن والحارث بن عوف قائد لقبيلة غطفان  
على ثلث ثمار المدينة حتى رفض هذا سعد بن معاذ وسعد بن عباد بمسد أن  
سألاه هل هذا أمر أمرك الله تعالى به لا بد لنا من العمل به أم شئ " ، تصنمه  
لنا قال بل شئ " أصنمه لكم ، والله ما أصنع ذلك الا من أنى رأيت العرب قدر منكم عن  
قوس واحدة " (٣)

" كما وادع بنى ضمرة في غزوة ودان أو الاء " (٤)

كما صالح في غزوة الحديبية قريشا ومن حولها من القبائل وكثر الصلح بينه  
وبين القبائل حتى أمن طريق الدعوة والدعاة وانتشر الدين الاسلامي واتصل  
المسلمين <sup>المعبرين</sup> بغيرهم كما استطاعوا دعوة الامراء والملوك الى الدخول في الاسلام  
وهذا بيان حتى يصدروا اذا غزوه بعد بلوغ الدعوة والله أعلم .

(١) النساء ٧٧

(٢) الانفال ٦١

(٣) انظر مختصر السيرة النبوية للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

(٤) انظر السيرة النبوية ج ١ ص ٩١

### المرحلة الثالثة

## فرض الجهاد لجميع الكفار

وقد سار رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه السياسة وهي مسالمة  
المعالم ومصالحة من أراد الصلح حتى نزلت سورة " التوبة " فان الله تعالى حدد  
فيها صلة المسلمين بالمشركين والعلاقة السياسية فقد حدد الله تعالى فيها  
الصهود الى أجلها ومن لم يكن له عهد فمده أربعة أشهر ثم بعد هذه الأربعة  
الاشهر لا يجوز للمسلمين تركهم بل يجب على عموم المسلمين مناجزتهم وأدخالهم  
في دين الله طوعا أو كرها أو يسلّموا الجزية عن يد وهم صاغرون قال تعالى :

" براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا فسي  
الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ، واذن من  
الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برى من المشركين ورسوله فان تبتم  
فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بمذاب اليم  
الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا  
اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين " فاذا انسلخ الاشهر الحرم  
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم أو احصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا  
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم " ( ١ )

وقد سبق أن ذكرت ما قاله الربيع بن أنس كما أخرج ذلك الامام الطبري  
في تفسيره أن أول آية نزلت " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا  
ان الله لا يحب المعتدين "

( ١ ) التوبة ١ - ٥



قال الربيع ابن أنس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله  
ويكف عن كف عنه حتى نزلت برآءة<sup>١</sup> وذكر كذلك عن ابن زيد ان سورة برآة قد  
نسخت حكم هذه الآية وقرأ سورة برآة حتى يبلغ فإله انصلح لاشهر الحرم فاقتلوا  
المشركين حيث وجدتموهم (١)

فكان الربيع بن أنس وابن زيد يشيران الى أنه حدث تفسير بعد نزول  
سورة برآة وهو كذلك فان السورة قسمتهم الى أقسام والله تعالى أعلم وهو أنسه  
يوجد من ليس له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ومن له ميثاق غير محدد  
بأمد<sup>٢</sup> من له عنده عهد الى الأمد ومن له عهد اقل من أربعة أشهر فحددت  
السورة من ليس له عهد ومن عنده أقل من أربعة أشهر ومن له عهد غير محدد بأربعة أشهر  
في الأرض ويختارون ما يريدون أما الاسلام وأما القتال وهذا ما اختاره ابن جرير  
الطبري وأما من له عهد محدد فأجله الى عدته التي حدد لها يشهد لهذا  
قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً فأتوا اليهم عهدهم الى  
مدتهم (٢)

ثم يظهر عليكم أهدأ

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى ترتيب سياق هديه مع الكفار والمنافقين  
بما يوافق ما ذكرت من تفسير سورة برآة فيقول رحمه الله تعالى : " أول ما أوحى  
اليه ربه تبارك وتعالى أن يقرأ باسم ربه الذي خلق وذلك أول نبوته فأمره  
أن يقرأ في نفسه ولم يأمره انذرا<sup>٣</sup> التبليغ ثم أنزل عليه يا أيها المدثر قم فانذر  
فنبأه باقرأ وأرسله بالمدثر ثم أمر أن ينذر عشيرته الاقربين ثم أنذر قومه ثم  
أنذر من حولهم من العرب ثم أنذر العرب قاطبة ثم أنذر العالمين فأقام بضع  
عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بخير قتال ولا جزية ويؤمر بالكف والصبر والصفح  
ثم اذن له في الهجرة وأذن له في القتال ثم أمره أن يقاتل من قاتله ويكف عن  
اعتزله ولم يقاتله ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله ثم كان الكفار  
معه بعد الامر بالجهاد ثلاثة أقسام :

(١) انظر تفسير الطبري ج ٢ ص ١١٠  
(٢) انظر الطبري ج ١٠ ص ٤٥ ، ٤٨

١ - أهل صلح وهدننه

٢ - أهل حرب

٣ - وأهل ذممة

فأمر بأن يتم لاهل العهد والصلح عهدهم وأن يؤمن لهم به ما استقاموا على العهد فان خاف منهم خيانة نبذ اليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض الهد وأمر أن يقاتل من نقض عهده \* ولما نزلت سورة "براءة" نزلت ببيان حكم هذه الاقسام كلها فأمر فيها بأن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يمتطوا الجزية أو يدخلوا في الاسلام وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والفلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان والمنافقين بالحجة واللسان وأمره فيها بالبرأة من عهد الكفار ونبذ عهدهم اليهم وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام :

قسم أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له فحاربهم وظهروا عليهم وقسم لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فأمره أن يتم اليهم عهدهم الى مدتهم وقصدا لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه أو كان لهم عهد مطلق فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر فاذا انسلخت قائلهم وهي الأشهر الأربعة المذكورة فسي قوله " فسيحوا في الأرض أربعة أشهر " وهي الحرم المذكورة في قوله " فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين " فالحرم ههنا هي أشهر التسيير أولها يوم الاذان وهو اليوم الماشر من ذى الحجة وهو يوم الحج الأكبر الذي وقع فيه التأذين بذلك وآخرها الماشر من ربيع الآخر وليست هي الأربعة المذكورة فسي قوله " ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم فان تلك واحد فرد وثلاثة سرد رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ولم يبيح المشركين في هذه الأربعة فان ذلك لا يمكن فانها غير متوالية وهو انما أجلبهم أربعة أشهر ثم أمره بعد انصلاحها أن يقاتلهم فقتل الناقض لعهدده وأجل من لا عهد له أو له عهد مطلق أربعة أشهر وأمره أن يستمر للمؤمن بمهده عهدده الى مدته فاسلم هو\* كلهم ولم يقيموا على كفرهم الى مدتهم وضرب على أهل الذمة الجزية فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول برأة على ثلاثة أقسام - مسلم مؤمن به محاربين له وأهل عهد - أهل ذمة ثم آلت حال

أهل العهد والصلح الى الاسلام فصاروا معه على قسمين محاربين وأهل ذممة  
والمحاربون له خائفون منه فصار أهل الارض معه ثلاثة أقسام :

- ١ - مسلم مؤمن به
- ٢ - مسلم له آمن
- ٣ - وخائف محارب\* (١)

هذا ما رتب به ابن القيم حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خصومه  
منذ أن أوحى الله تعالى اليه حتى لحق بالرفيق الاعلى وهذا ترتيب دقيق أثنى  
عليه كثير من نظر الى هذا الترتيب واستشهد به كثير منهم وأعجبوا به وهو في حقه  
الاعجاب والتقدير .

وقد قال مجاهد وغيره أن المراد بالتأجيل المذكور عموم المشركين من كان له  
عهدا وليس له عهد فمن كانت مدته أقل من أربعة أشهر رفع اليها ومن كانت مدته  
أكثر حط اليها ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك (٢) .

ولكن ظاهر القرآن لا يساعد على هذا لان الله تعالى يقول بعد أن ذكر  
البراءة من عموم المشركين وامهالهم أربعة أشهر .

قال \* الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم  
أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين\* (٣)

وقال في الآية الاخرى

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند  
المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين\* (٤) وقد  
قيل غير ذلك منها ان هذه الاربعة تبدأ لجميع المشركين من يوم نزلت براءة

(١) انظر زاد المماد في هدى خير العبادح ١ ص ٣٢٧

(٢) انظر تفسير الطبري ح ١٠ ص ٤٤

(٣) التوبة ٤

(٤) التوبة ٧

وانقضاءه انقضاء الأشهر الحرم وذلك بانقضاء المحرم قال بذلك الزهري .

وقال الكلبي أن الأربعة الأشهر المذكورة إنما هي أجل لمن كان له عهد  
أقل من أربعة أشهر .

وقال ابن عباس أن الأربعة الأشهر هذه إنما هي لمن كان له عهد عند رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يكن له عهد فمدته انصلاخ المحرم لأنه آخر  
الأشهر الحرم . (١)

وقد ملل إلى هذا ابن جرير في اختياره وذلك أنه قال إن انصلاخ المحرم  
أجل من لا عهد له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم محتجا بالآية الكريمة فإذا  
انصلاخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . (٢)

■ ■ ■

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري ح ١٠ ص ٤٢ - ٤٥

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري ح ١٠ ص ٤٨

### الباب الثالث

#### في حكمة مشروعية الجهاد

ان هدف الجهاد في سبيل الله قد <sup>ورد</sup> في كتاب الله وسنة رسوله موضعين فيهما  
الغاية والمقصود فقد جاء فيها <sup>فيها</sup> أنه للدفاع <sup>والكفر</sup> مما فسد ما هاجر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ونزل أول ما نزل من القرآن في الجهاد في سبيل الله علق ذلك على  
الظلم والعدوان على المؤمنين كما في قوله تعالى " أذن للذين يقاتلون بأنهم  
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بخير حق الا أن يقولوا  
ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد  
يذكر فيها اسم الله " (١) الآية .

وكذلك قوله تعالى " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا  
ان الله لا يحب الممتدين " (٢) .

وكما ورد في القرآن العظيم أنه من أجل الكفر وكذلك السنة النبوية .

نقال تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " (٣) .

وكذلك قوله تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " (٤) .

فالفتنة هنا هي الشرك وجعل الغاية من القتال محو الشرك من الارض وأن  
تكون العبادة لله سبحانه وهذا مروى عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد والحسن  
وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم .

(١) الحج ٣٩ ، ٤٠

(٢) سورة البقرة ١٩٠

(٣) سورة البقرة ١٩٣

(٤) سورة الانفال ٣٩

وقال ابن اسحاق بلغنى عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا حتى لا تكون فتنة حتى لا يفتن مسلم في دينه " (١)

وقد جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصوا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله " (٢)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصوا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله " (٣)

كما أن الحديث الاتي أوضح دلالة على المقصود من الجهاد في سبيل الله وان الفاية منه محو الكفر وهو ما رواه مسلم أيضا وغيره عن ... ببويرة بن الحبيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم " اذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه فسي خاصة نفسه بتقوى الله ومن ممة من المسلمين خيرا ثم يقول اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغفلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال " أو خلال " فأتينهم مما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا أن يتحولوا منها فاخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم في الفتيمة والنفس الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان أبوا فخلطهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان هم أبوا فاستمن بالله

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٠٩

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١١ وصحيح مسلم مع شرح النووي ج ١ ص ٢١٢

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١ ص ٢١٠

وقاتلهم \* (١)

فهذا الحديث فيه مسائل

الاولى بعمث السرايا وخرجهم في طلب الاعداء

ثانيا دعوتهم بعدما تصل السرايا والجيش اليهم .

ثالثا الباعث على قتالهم هو الكفر كما صرح به في الحديث

قاتلوا من كفر بالله ولم يقل قاتلوا من قاتلكم وكفوا عن كنف عنكم .

رابعا لا يقبل منهم سوى الاسلام أولا فان أبوا عن الاسلام طلب منهم الجزية .

خامسا لا يكف عنهم القتال الا بالاسلام أو الدخول فيه أو باعطاء الجزية .

فعلم من هذا الحديث وغيره ما سبق من الاحاديث والايات ان الهدف من قتال الكفار هو الكفر وان فريضة الجهاد من أجل الكفر أولا والدفاع عندما يمتدى على المسلمين وعلى هذا القول وهو كون القتال فرض على المسلمين من أجل الكفر علماء الاسلام وهذه أقوال بعضهم .

قال الامام أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين " ان من معتقد أهل السنة أنهم يثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى آخر عصابة تقاتل الدجال " (٢) .

وقال أبو القاسم الخرقى الخنبلى في مختصره " والجهاد فرض على الكفاية اذا قام به من يكفى سقط عن الباقيين ثم قال ويقاىل أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يمطوا الجزية عن يدهم صاغرون ويقاىل من سواهم من الكفار حتى يسلموا يقول صاحب الشرح الكبير على هذا القول " ومعنى فرض الكفاية السدى اذا قام به من يكفى سقط عن سائر الناس وان لم يقم به من يكفى اثم الناس كلهم فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع كفرض الاعيان ثم يختلفان في أن فرض

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ح ١٢ ص ٣٧ وانظر سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ح ٧ ص ٢٧١

(٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ح ١ ص ٣٢٨ الطبعة الثانية عام ١٣٨٩ هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد نشر مكتبه النهضة المصرية .

الكفاية يسقط بفعل البمض والاعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره والجهاد ممن  
فروض الكفايات في قول عوام أهل العلم وحكى عمن ابن المسيب أنه فرض عين لقوله  
وانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله " ثم قال " الا تنفروا  
يمدبكم عذابا أليما " (١)

أما حكمه عند الحنفية قال ابن عابدين " والجهاد هو فرض كفاية  
وليس بتطوع أصلا وهو الصحيح فيجب على الامام أن يبعث سرية الى دار الحرب  
كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية اعانتته الا اذا أخذ الخراج فان لم يبعث كان كل  
الائم عليه " (٢)

وقال الخطاب من المالكية قال في حكم الجهاد وقال ابن عرفة وقال أبو عمر  
في الكافي فرض على الامام اغراء طائفة للمدو في كل سنة يخرج هو بها أو ممن  
يثق به وفرض على الناس في أموالهم وأنفسهم الخروج المذكور لا خروجهم كافة والنافلة  
اخراج طائفة بعد أخرى وبعث السرايا وقت الفرقة والفرصة الى أن قال وقال  
اللخني عن الداودي يقضى فرضه بعد الفتح على من يلي المدو وسقط عمن  
بعد عنه " (٣)

وقال أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى " والجهاد فرض على المسلمين  
فاذا قام به من يدفع المدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحوي ثغور المسلمين سقط  
فرضه عن الباقيين والا فلا " (٤)

وقالت الشافعية مثل أقوال العلماء هؤلاء السابق ذكرهم فاتخذت كلمة علماء  
الاسلام على فريضة الجهاد فرضا كفاييا اذا قام به من يكفي سقط عن الباقيين  
فان لم يقم به من يكفي اثم الجميع وقد قال الامام ابن تيمية في كتابه السياسة  
الشرعية " فكل من يلفه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين الله السدي

(١) انظر المفتى والشرح الكبير ج ١٠ ص ٣٦٤ الطبعة الاولى مطبعة المنار  
بمصر سنة ١٣٤٨ هـ .

(٢) انظر حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٣٠٢

(٣) شرح مختصر خليل للخطاب ج ٣ ص ٣٤٧ الطبعة الاولى مطبعة المنار

(٤) المحلى ج ٧ ص ٤٦١ نشر مكتبة الجمهورية المصرية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ



بعثه به فلم يستجب له : فإنه يجب قتاله \* حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله \* (١) .

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب \* وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين \* (٢) .

وقال ابن رشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد .  
\* وأما حكم هذه الوظيفة فاجمع العلماء على أنها فرض على الكفاية لا فرض عين إلا عبد الله بن الحسن فإنه قال أنها تطوع \* (٣)

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب \* فأما لماذا يحاربون فاتق المسلمون على أن المقصود من المحاربة . . . . هو أحد أمرين أما الدخول في الاسلام أو إعطاء الجزية \* (٤)

هذا بعض ما ذكره العلماء من حكم الجهاد وعلى هذا سار الخلفاء الراشدون بعد الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك أن الجزيرة العربية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ماجت بردة عظيمة حتى لم يبق على الاسلام الا مكة والمدينة المنورة والطائف وبعض القرى مثل قرية جواثا بالبحرين وعند هذه الموجه التي ماجت بها هذه الجزيرة قاتل أبو بكر جميع المرتدين ولم يترك منهم أحدا مع أن فيهم من منع الزكاة فقط ومنهم من كفر بالله وأنكر الاسلام بالكلية ومنهم من اتبع المتنبين كسليمة والاسود المنسوسجاح وغيرهم فلو كان الجهاد للدفاع فقط لما سارع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتالهم وحصارهم والقضاء على الفتنة ثم أنهم لما صفت الجزيرة العربية وخدمت الفتنة ما توقعوا حتى يبدأهم بالهجوم بل سارعوا بالتوجه الى الذين يلونهم من الكفار كما أمرهم الله سبحانه وتمالى في قوله \* يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجندوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين \* (٥) .

(١) مجموع الفتاوى المجلد الثامن والعشرون ص ٣٤٩

(٢) مجموع الفتاوى المجلد الثامن والعشرون ص ٣٥٤

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ح ١ ص ٣٨٠

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ح ١ ص ٣٨٩

(٥) سورة التوبة ١٢٣

فقد أمر الله المؤمنين بقتال من يليهم من الكفرة الاقرب فالاقرب كما أمرهم بالشدّة عليهم والقسوة على كل من تنكر وتكبر عن عبادة الله وخرج عن سلطانه واتبع هواه بخير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

ولا يخفى ما قام به المستشرقون والمبشرون من الطعن على الدين الاسلامى من يوم بعث الله تعالى نبيه الى يومنا هذا فقالوا ان الدين الاسلامى دين انتشر بقوة السيف ولم ينتشر بالاقطعاع والتسليم . لمبادئه السامية ويقولون أيضا أنه يكفره الناس على الدخول فى الاسلام بالقوة المسلحة .

وعندما يسمح المسلمون الى هذه الافتراءات التى أريد من ورائها التنفير من الاسلام والمسلمين وتشوية مبادئه السامية يقومون بالدفاع عن دينهم بما فى وسعهم من قوة وقدرة فيحاولون ازالة هذه التهم والتشوية للاسلام فيجملون للجهاد مبررات وانه لم يحمل السيفالا من أجل الدفاع فقط أما أنه شرع من أجل الكفر فهذا لم يقل به من علماء عصرنا هذا الا القليل وهذا الدفاع عن الجهاد فى سبيل الله كله محاولة لاسكات المستشرقين والمبشرين ولكسبهم لا يمكن أن ايرتنهوا عن قولهم الاثم والافتراء ولو قد منا لهم من المبررات ما قدمنا حتى نترك ديننا ونتبع ملتهم كما أخبر الله تعالى عنهم يقوله \* ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله لا يضره هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير . (١)

يقول ابن جرير فى تفسير هذه الاية الكريمة \* وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا . فدع طلب ما يرضيهم ووافقهم واقبل على طلب رضا الله فى دعائهم الى ما بعثك الله به من الحق فان الذى تدعوهم اليه من ذلك لهو السبيل الى الاجتماع . (٢)

(١) سورة البقرة ١٢٠

(٢) جامع البيان ج ١ ص ١٧٥

فهما قد ونا من المبررات عن الجهاد فلن يرضوا عنا أبدا ولن يرضيهم سوى ترك الاسلام والابتعاد عن تعاليمه حتى يستطيعوا تفريقنا واصطيادنا ثم القضاء علينا كما حصل لما أهملنا كتاب ربنا وتركنا الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى وإذا اتبعنا طريقهم وقمنا في غضب الله لان الله تعالى قال لنبيه " ولئن اتبعت أهواءهم بحد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير "

وقد كثر الاخذ والرد في تقسيم الجهاد الى هجوى ودفاعى مع العلم أن هذا لم يكن في السلف الصالح فيما أعرف وانما أقوالهم كما مرت يقرون فرض الجهاد ويقولون يتمين متى دعت الحاجة اليه ويكون فرض كفاية اذا قام به من يكفى من المسلمين ولو كان السبب الذى أثار هذا الموضوع هو حملات الاستشراق والتبشير على مبادئ الاسلام ولا يخفى انهم لا يتورعون ولا ينزهون المنتهم عن قول الافك وقول الزور فهم يريدون من وراء هذه الطمئنة الموجهة ضد الجهاد في سبيل الله تشوية الدين الاسلامى وحملته ثم يأتى من وراء ذلك كراهية الجهاد في سبيل الله ثم ترك الجهاد والاستسلام لاعداء الله حتى يخلو لهم الجو <sup>في صين</sup> ~~في صين~~ فسادا لا يجدون من يوقفهم عند حدهم ولا يقف في نحورهم ولهذا فقد رى الاستعمار القديانية وأرضعها أفكاره وفذاها بلبانه حتى صارت طوع بنانه ومع هذا فهي تدعى أنها أمة مسلمة <sup>سرا</sup> تنافح عن الاسلام وهي في الحقيقة عار على الاسلام والمسلمين فأصبحت تشرع الشرائع وتقتن القوانين فكل حكم لا يرضى الاستعمار فهي قائمة على نسخه من الشريعة الاسلامية وجعلت قصدها الاول الفاء الجهاد في سبيل الله لخوف الاعداء من هذه الكلمة وتقول يجب عليكم الخضوع لهذا الاستعمار الغربى ومولاته ولا يجوز لكم الخروج عليه (١) ولقد سمعت محاضرة القاها الاستاذ محمد قطب في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة يقول فيها :

انه بمد تنبئه لخطط أهل الغرب من المستشرقين والمبشرين اتفاهم فيما بينهم على اثارة قضية من القضايا الاسلامية التي تثير شعور المسلمين فيكتب في هذه القضية أحد المتفكرين ويهاجم الاسلام والمسلمين بما يمليه عليه حقد الدفين فيصف المسلمين والرسول والقرآن بما يمليه عليه ضميره من الاباطيل والاكاذيب ثم يتصدى المسلمون لهذه الهجمات ويدافعون عنها بما في وسعهم فاذا قرر

المسلمون على هذه القضية كتب الطرف الثاني يؤيد قول المسلمين حتى يظهر وكأنه كاتب معتدل يظهر الحق الثابت ثم مثل بالجهاد في سبيل الله وقال انهم يتفقون على مثل هذه القضية فيكتب أحدهم بأن الدين الاسلامي دين قهر وظلمة يكره الناس على الدخول في الاسلام بالحديد والنار ولا يقوم على الحجة والاقناع ثم تشو شائعة المسلمين لهذا الوصف البشع الذي يوصف به دين المداللة والاقناع الذي يقسول " لا اكراه في الدين " ويقولون ان الدين الاسلامي لم يحمل السيف الا للدفاع عن النفس من الظلم والعدوان لا يعرف حمل السيف الا من أجل ما يحل به من الاعتداءات عليه وعلى أهله ومستدلون بقول الله سبحانه وتعالى " اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله "

وعمد ما يقرر المسلمون هذا يأتي الطرف الثاني من وراء الستار ويقرر بشأن القتال في الاسلام ليس الا من أجل الدفاع فقط .

وغايتهم من هذا الحوار والاخذ والرد هو تعطيل فريضة الجهاد في سبيل الله .

فأما جواب الايات التي يستدل بها من يقول بأن الجهاد للدفاع فقط فقد قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعدوا ان الله لا يحب المعتدين اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الاية فقيل بعضهم هذه الاية هي أول ما نزل في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك وقالوا أمر فيها المسلمون بقتال من قاتلهم من المشركين والكف عن كف عنهم ثم نصحت بسببها ثم ساق يسنده الى الربيع ابن أنس وابن زيد لانهما أهل هذا القول .

القول الثاني قال فيه " وقال آخرون بل ذلك أمر من الله تعالى ذكره للمسلمين بقتال الكفار لم ينسخ وانما الاعتداء الذي نهاهم الله عنه هو نهيه عن قتل النساء والذرار قالوا والنهي عن قتلهم ثابت حكمه اليوم قالوا فلا شيء نسخ من حكم هذا الاية ثم ساق يسنده الى عمر بن عبد العزيز وقد كتب اليه في ذلك يحيى بن يحيى

القماني يسأله عن هذه الآية قال فكتب الى أن ذلك في النساء والذرية ومن لم ينصب لك الحرب وساق أيضا بسنده الى مجاهد وابن عباس بأن ذلك في النساء والذرية ثم اختار هذا القول بأنه الصواب وعلل ذلك بأن دعوى المدعى نسخ آية يحتل أن تكون غير منسوخة بغير دلالة على صحة دعواه تحكّم والتحكّم لا يمجز عنه أحد (١)

أقول ان هاتين الآيتين هما آية الحج وآية البقرة التي اعتمد عليها الذين قالوا أنه للدفاع فقط هي أول ما نزل في أمر القتال فآية الحج نزلت في طريق الهجرة من مكة الى المدينة كما تقدم فيما أخرجه أحمد بن حنبل والترمذى والنسائى والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة فقال أبو بكر أخرجوني ليهلكن ، فانزل الله " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير " .

ومع هذا فقد قرأ بعضهم هذه اللفظة " يقاتلون " بكسر التاء يعنى الذين يطبقون القتال .

وأما آية البقرة فهي أول ما نزل في المدينة بأمر القتال كما صرح بذلك الربيع ابن أنس فقال " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا ان الله لا يحب المعتدين " قال هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله ويكف عن كف عنه حتى أنزلت براءة (٢)

وقد سبق أن عرفنا أن الجهاد مرت به في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أطوار ثلاثة هي :

١ - الاذن بمد الخطر .

٢ - مقاتلة المقاتل والكف عن المسالم ومصالحة من يريد الصلح والمصالحة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الخطة حتى نزلت سورة التوبة ففى

(١) جامع البيان ج ٢ ص ١٨٩

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير الطبرى ج ٢ ص ١١٠

السنة التاسعة وتأخذ هذه الخطة في تدرجها حتى قرئت عليهم سورة التوبة فسرى  
العام الذي حج فيه أبو بكر بالناس وهو السنة التاسعة من الهجرة وتمقبها الخطة  
النهائية وهو الطور الثالث .

٣ - الذي هو مقاتلة جميع الكفار بعد مضي هذه المهلة التي حددت لهم وهي كما  
قد سبق من أربعة أشهر الى نهاية عهد من له عهد موثقت ولا يشك في تنظيم الاسلام  
لاموره جسيما فانه لا يفاجى \* الناس بما دعاهم اليه مرة واحدة ومن أول وهلة بكل  
تدرج في جميع احكامه من ذلك مثلا الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام مكث في مكة  
قبل الهجرة وبعد البعثة عشر سنين لم يفرض على اتباعه صلاة ولا صوم ولا جهاد ولا  
زكاة وانما كان يطلب منهم الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وباليسوم  
الاخر وبعد أن مضي عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم وعرج به الى السماء  
فرضت عليه الصلوات الخمس فقام بما فرض الله عليه هو وأصحابه رضوان الله تعالى  
عليهم ولما هاجر الى المدينة فرضت عليهم الزكاة ذات النصب كما فرض الصوم  
على مراحل سأذكرها ان شاء الله وشرح الاذان وغير من شرائع الاسلام بعد أن أمن  
بالمسلمون على دينهم واستقرت بهم النسوة ووجدوا أنصار الله تعالى الذين  
أبوا رسول الله صلى الله عليه وأصحابه فكانت شرائع الاسلام تغرض بالتدرج حتى تكون  
النفوس قد انقادت فهذا مماذا عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن  
رتب له دعوته ولم يأمره بإبلاغها مرة واحدة بل قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث  
ابن عباس رضى الله عنهما " ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثت مماذا الى اليمن  
فقال " ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فان هم اطاعوا لذلك  
فاعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم اطاعوا لذلك  
فاعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على  
فقرائهم " (١)

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ٩٠ وانظر صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١ ص -

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث " بدأ  
بالاهم فالاهم وذلك من التلطف في الخطاب لانه لو طالبهم بالجميع في أول مرة  
لم يأمن من النفرة " (١)

فصرف من هذا أن الدين الاسلامي يتدرج من فرض الى فرض كما فسى  
الحديث بدأ بالتوحيد ثم الصلاة ثم الزكاة وكذلك صوم رمضان بدأ أولا بصيام يوم  
عاشور <sup>١١</sup> فرض صيام رمضان فكان على التدرج من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم  
مسكنا ثم رغبهم في الصوم وأنه أفضل من الاطعام حتى تنتقل النفوس من المفضل الى  
الفاضل \* وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن  
تصوموا خير لكم " (٢)

فلما استأنست النفوس به في الجملة أوجهه ايجابا عاما حازما يقول :  
" فمن شهد منكم الشهر فليصمه " (٣)

وكذلك تدرج في تحريم الخمر من بيان ما فيها من المنافع وما فيها من الاثم  
الذي هو أعظم من المنافع الى تحريمها في وقت الصلاة ثم تحريمها تحريما عاما كما  
ورد ذلك في تحريم الخمر وما حدث من عمر بن الخطاب فيما أخرجه أبو داود  
والترمذي والنسائي وغيرهم أنه قال رضى الله عنه " اللهم بين لنا في الخمر بيان  
شفا " فنزلت التي في البقرة " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير " الآية  
فدعى عمر فقرئت عليه ، قال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفا " فنزلت التي فسى  
النساء " يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى " فدعى عمر فقرئت  
عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيان شفا " فنزلت التي في المائدة " يا أيها  
الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان  
فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، أما يريد الشيطان أن يوقع بينكم المداوة والبغضاء  
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر اللهن الصلاة فهل أنتم متبهون " .

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخارى ح ٣ ص ٣٥٩

(٢) البقرة ١٨٤

(٣) انظر أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للمشيخ محمد الامين بن محمد  
المختار الشنقيطى الجز' ح ٥ ص ٧٠١

فدعى عمر فقرئت عليه فقال : انتهينا انتهينا \* (١)

هذا لفظ الترمذى فانظر كيف تدبج الدين الاسلامى فى أخذ أهله بالاحكام شيئا فشيئا حتى تمكن من نفوسهم وبالخ فى هذا التدبج حتى استحوذ على هذه القضية التى لا تعود على المسلمين الا بالعداوة والبغضاء فلم يواجهه اتباعه من أول مرة بالتحريم حتى قتل من أهميشه فى النفوس واشربت الى التحريم النهائى وهكذا تدبج الاسلام فى فرضة الجهاد من الاذن الى قتال المقاتل ومسالمة المسالم ولما تم له الامر وأصبح لا يخاف من أى عدو فى مشارق الارض ومخارجها أعلن البرأة من اليهود التى لم تحدد وحددها بأربعة أشهر وأدخل من لا عهد له فى هذا العهد ومن له عهد الى أجل مسمى ولم يخن المسلمين ولم ينقض عهدهم الى أجله ومد هذا فهو حرب على المشركين اينما وجدوا فى أى بقعة من الارض قال تعالى :  
" فاذا انسح الخرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واخذوهم واحصوهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم \* (٢)

فقد أمر الله سبحانه وتعالى فى هذه الاية الكريمة التى هى آية السيف بمد انقضاء الاجل الذى حرم قتالهم فيه بقتلهم فى أى مكان وجدوا فيه من حل أو حرم واخذهم وهو أسرهم وخصرهم وحبسهم حيث يعتمنون بمقل أو حصن بأن يحاط بهم وينموا من التصرف ومن الخرج والانفلات حتى يسلموا أو ينزلوا على حكمكم بشرط ترضونه أو بدون شرط واقعدوا لهم فى كل طريق يسلكونه والمرصد هو الموضع الذى يرقب فيه العدو .

وقتلهم يستمر حتى يسلموا وقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فاذا فعلوا هذه الاوامر كف عنهم القتال .

(١) انظر سنن الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ج ٨ ص ٤١٦

(٢) التوبة ٥



وقد قيل أن هذه الآية ناسخة لجميع ما فى القرآن الكريم من المهادنة  
والعفو والصفح وغير ذلك من الاوامر التى تدل على المسالمة والصلح .

فظهر لنا من هذا ان الاسلام يحمل السيف ومقاتل مخالفه ومغزوه فى عقر  
دارهم وأنه دين قوة لا بد من استسلام وانهازم ولكن تسميته بما اصطلح عليه اليوم  
من دفاعى وهجوى لا ينطبق على الدين الاسلامى لانه دين الله ودين البشر  
جميعا يقول أبو الاعلى المودودى .

" لا مصاغ لتقسيم الجهاد الى الهجوى والدفاعى "

هذا واذا تدبرت ما بيننا وبيننا وسيرت غوره ، ظهر لك جليا أن ما اصطالحوا  
عليه اليوم من تقسيم القتال الى الهجوى والدفاعى لا يصلح اطلاقه على الجهاد  
الاسلامى البتة وانما يصدق هذا المصطلح على الحروب القومية والوطنية فقط لان  
هاتين الكلمتين المصطلح عليهما لم ينطق بهما وما جرى استعمالها الا بالنسبة  
الى قطر مخصوص أو أمة بعينها وأما اذا قام حزب على معتد الى فكرة انقلابية  
شاملة لا تفرق بين أمة دون أمة ولا تختص قطرا دون تطر يدعو جميع الامم  
والشعوب على اختلاف أجناسها ولغاتها الى فكرته ومنهاجه مفتوحة أبوابه  
لكل من يريد المشاركة فى بث تلك الدعوة ونشر تلك الفكرة ولا يسمى الا وراء القضاء  
على الحكومات الجائرة المناقضة لمبادئ الحق الخالدة واقامة حكومة صالحه  
مؤسس بنيانها على قواعد الحق والعدالة التى يؤمن بها ويدعو اليها اما اذا كان  
الامر كذلك فلا مجال فى دائرته البتة لما اصطالحوا عليه من نوعى القتال الهجوى  
والدفاعى " (١)

ويقول الاستاذ سيد قطب

" والذى يدرك طبيعة هذا الدين . يدرك معها حتمية الانطلاق الحركى  
للاسلام فى صورة الجهاد بالسيف الى جانب الجهاد بالبيان ويدرك أن ذلك لم  
يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذى يفهم اليوم من الاصطلاح " الحسب  
الدفاعية " كما يريد المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين

(١) الجهاد فى سبيل الله لا يلى الاعلى المودودى ص ٤٥

الماكر أن يصوروا حركة الجهاد في الاسلام انما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير  
" الانسان " في " الارض " بوسائل متكافئة لكل جوانب الواقع البشرى ، وفي  
مراحل محددة لكل مرحلة منها ووسائلها المتجددة .

واذا لم يكن بد أن نسمى حركة الاسلام الجهادية حركة دفاعية فلا بد  
أن نغير مفهوم كلمة " دفاع " ونعتبره دفاعا عن الانسان " ذاته ضد جميع  
الموامل التي تقيد من حريته وتموق تحرره ...

وهذا التوسع في مفهوم كلمة " الدفاع " نستطيع أن نواجه حقيقة بواعث  
الانطلاق الاسلامي في " الارض " بالجهاد ، ونواجه طبيعة الاسلام ذاتها ، وهي  
انه اعلان عام لتحرير الانسان من العبودية للعباد ، وتقرير الوهية الله وحده  
وربوبيته للمالين وتحطيم ملكة الهوى البشرى في الارض ، واقامة ملكة الشريعة  
الالهية في عالم الانسان .

أما محاولة مبررات دفاعية للجهاد الاسلامي بالمعنى الضيق للمفهوم المصري  
للحرب الدفاعية ، ومحاولة البحث عن اسانيد لاثبات أن وقائع الجهاد الاسلامي  
كانت لمجرد صد العدوان من القوى المجاورة على " الوطن الاسلامي " وهو نفس  
عرف بمضهم جزيرة العرب - فهي محاولة تنم عن قلة ادراك لطبيعة هذا الدين  
ولطبيعة الدور الذي جاء ليقوم به في الارض كما أنها تنفي بالهزيمة امام ضغط  
الواقع الحاضر وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الاسلامي (١)

فمن هذا نعرف أن الاسلام يقاتل قوى الشر حتى يقضى عليها فاذا قضى على  
هذه القوى ترك الناس احرارا يختارون لانفسهم ما أرادوا من دين فمن رغب في  
الاسلام دخل فيه لا يمانع ولا يجد دون الدخول فيه من العقبات ما يصدده ويوقمسه  
بقوة وان اختيار غير دين الاسلام فما الاسلام لا يكره أحدا على الدخول فيه وانما  
يرضى منه بالاقامة اما باعطاء الجزية واما بالمعاهدة والاتفاق على معاهدة ومصالحة  
معلومة وله حق الاقامة والحماية من جميع الاعتداءات فان الحكومة الاسلامية تحمى  
من عاهدته على صلح أو جزية .

(١) الجهاد في سبيل الله لسيد قطب ص ١١٠

## الباب الرابع

### شبه المستشرقين والمبشرين

ان أعداء الاسلام يقولون عنه انه يضع القوة موضع الاقناع ويعتمد على السيف. في اكره الناس على الانقياد والاستسلام لدعوته وتحاول أن تستغل الايات الواردة في الجهاد في سبيل الله التي تدعو الى جهاد الكفار فيحرفون الايات القرآنية على وفق ما أملاه عليهم حقدهم على الاسلام والمسلمين • ويخضمونهم لورياتهم وما تطلبه ضمائرهم من كذب وافتراء وتشويه للاسلام وتعاليمه السمحة واحكامه المادلة فيقولون عنه كما ينقل ذلك الدكتور كامل سلامة الدقسي •

يقول انهم يقولون :

- ١ - ان الدين الاسلامي يقوم على القهر والغلبة يريد أن يفرض نفسه على مخلوقات الله من جميع الاجناس والاديان قوة واقتدارا •
- ٢ - أنه يحرم الناس من حرية والرأى والمقيدة •
- ٣ - أن الاسلام في سبيل نشر دعوته أعلن الحرب ضد جميع الشعوب من مختلف الملل والنحل •
- ٤ - ان الحرب هي أصل الصلة بين الاسلام وبين جميع الامم والدول والسلم لا يكون مؤقتا لضرورة مؤقتة •
- ٥ - زعموا أن الاسلام لا يرضى المسهد ولا يحفظ الذمة ولا يحترم المواثيق والماهدات • (١)

كما ينقل عنهم محمد حسين هيكل قولهم " هذا محمد يدعو دينه الى الحرب والى الجهاد في سبيل الله أى اكره الناس بالسيف على الدخول في الاسلام

(١) انظر آيات الجهاد للدكتور سلامة الدقسي ص ٩٨ •

أليس هذا هو التعمص بعينه ؟ وهذا حين تنكر المسيحية القتال وتمقت الحرب وتدعو الى الاسلام وتتادى بالتسامح وترتبط بين الناس برابطة الاخاء في الله \* (١)

وأيا فهم لا يتورعون عن قولهم الكذب والافتراء \* فينكرون على الاساليب السلمية التي مارسها الاسلام في الدعوة قابليتها لحرز أي نجاح فهي من وجهة نظرهم لم نستطع أن نحرز أي تقدم للدين ، لان تعاليمه ومبادئه المجردة ، لا تشجع الآخرين على الدخول فيه ، واعتناقه طواعية واختيارا \* فقد قال أحد هـم من الثابت أن الاسلام لم يكن يصادف نجاحا الا عندما كان يهدف الى الغزو \* (٢)

وأيا فهم يصورون المسلمين بأشع الصور والاصناف التي لا تليق بالهمج <sup>إلا</sup> الذين لا يدنون بدين ولا يتقيدون بقانون مع العلم أن هذه الاصناف لا تليق الا بهم ومن على شاكلتهم من الهمج الذين يميثون في الارض فسادا فانهم اذا قدروا صارت رحمتهم وحشيه فهم لا يحترمون كبير الكبره ولا صغير الصغره . يقول السيد أبو الاعلى المودودي \* لقد جرت عادة الافرنج أن يعبروا عن كلمة " الجهاد " بالحرب المقدسة اذا أرادوا ترجمتها بلغاتهم وقد فسروها تفسيراً منكراً وتغنتوا فيه وأبصوها ثوبا فضفاضا من الممانى الموهمة الملققة وقد بلغ الامر في ذلك أن أصبحت كلمة " الجهاد " عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء وقد كان من لباقتهم حجريا نهم وتشويههم لوجوه الحقائق الناصية أنه كلما قرع سمع الناس صوت هذه الكلمة تمثلت أمام أعينهم صورة مواكب من الهمج المحتشدة مصلبة سيوفها متقدمة صدورها بنار التعصب والقضب متظاهرا من عيونها شرار الفتك والنهب عالية أصواتها بهتاف \* الله أكبر \* زاحفة الى الامام ما ان رأت كافرا حتى أمسكت بخناقة وجعلته بين أمرين اما أن يقول كلمة \* لا اله الا الله \* فينجو بنفسه وأما أن يضرب عنقه فتشخب أوداجه دما \* (٣)

(١) انظر حياة محمد ص ١٥١

(٢) انظر فقه الدعوة للدكتور جمعة على الخولي ص ٩٠

(٣) انظر الجهاد في سبيل الله لابي الاعلى المودودي ص ٥٠

هذا بعض مفتريات المستشرقين والمبشرين حسب ما تمليه ضمايرهم التي تمودت  
الذجل وقلب الحقائق الثابتة التي مصادرها ونظم حياتها موجودة وموفوره لو كانوا  
من أهل البحث النزيه ومن أهل الانصاف لرجعوا الى مصادر التشريع الاسلامى  
وسير أهله وفتوحاتهم ثم حكموا على ذلك من خلال سير أهل الاسلام فى حروبهم  
وعهودهم هل كانت الحروب حروباً همجية لا نظام فيها ولا خوف من الله وخروج عن  
طاعته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما بمث مكث فى مكة ثلاثة عشر عاماً  
ما حمل سيفاً ولا أمر بجهاد وهل أسلم اتباعه من أهل مكة من أجل قهره وبطشه  
لانه وضع السيف على رقابهم وقال اما الاسلام واما السيف بل أن أصحابه لما شرح  
الله صدرهم لهذا الدين القويم تعرضوا من قبل المشركين لاشد أنواع المذاب  
والتكيل وقاسوا الذل والهوان والاحتقار على أيدي الظلمة المشركين فلم تهـنـن  
عزائمهم ولم تخرقواهم بل قابلوا هذا كله بالصبر والتحمل ومطالبتهم بالبراهين  
الساطمة حتى كثر اتباعه وأعدائه وانصاره لانهم عرفوا الحق فأمنوا به وصدقوه  
وخالطت بشاشة الايمان القلوب .

وهل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل المدينة وقاتلهم حتى  
دخلوا فى دينه خوفاً من سيفه ان هذا لم يكن ولكنهم لما عرفوا الحق اتبعوه  
وأمنوا به وصدقوه ثم طلبوا منه الهجرة اليهم حتى ينصروه على كل عدو لدين الله  
القويم كما هو معروف من تاريخ اسلام أهل مكة والمدينة .

وهل أرغم يهود المدينة على الاسلام أو السيف بل عقد معهم عهداً وأقرهم  
على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم<sup>(١)</sup> كما أنه يعيش الكثيرون من  
اليهود والنصارى والمجوس على دينهم فى أوطان الاسلام منذ أول الاسلام حتى يومنا  
هذا فلو كان الدين الاسلامى يضع السيف على الرقاب ويقهر على الدخول فى  
الاسلام أو ضرب الاعناق كما يقول المستشرقون الحاقدون الكاذبون فظهر كذبهم  
وافترائهم على الله وعلى عباده ان لو كان كما يقولون لما كان نفس هذه الديار

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ٥٠١ وقصة الحضارة ج ١٣ ص ٣٣

أحد من طوائف اليهود والنصارى وغيرهم من المجوس ومن على وتيرتهم وهذا أعلم  
 حقدهم وافترائهم الكذب على الله من كونه يحرم الناس حرية الرأي والمقيدة •

يقول ول ديورانت صاحب قصة الحضارة " ولم يكن الاعداء يخيرون بين الاسلام  
 والسيف بل كان الخيار بين الاسلام أو الجزية أو السيف " (١)

فهذا واحد منهم لم يقدر على تشوية الحقيقة كغيره من أبناء جنسه ولكنه حكى  
 الامر الواقع لانه اذا خالف ذلك كان مكابرا مخالفا وضرب بقوله عرض الحائط كما  
 فعل بأقوال غيره وكل هذه الاباطيل يراد من ورائها أن يتخلى المسلمون عن هذه  
 الوظيفة وستبرأون من الجهاد في سبيل الله حتى تكون لهم السيادة والقيادة كما  
 هو موجود اليوم بعد ما ترك الجهاد وحيل بين المؤمنين وبين دينهم وشغلوا فسى  
 أنفسهم بالترف والمضريات التي ضيعت أبناء الامة الاسلامية وشغلتهم عن دينهم  
 وعن تعاليمه ومبادئه فصاروا غثاء كثثاء السيل مع كثرتهم وقلة عدوهم ونزعت مهابتهم  
 من قلوب عدوهم وسلط عليهم الوهن وهو حب الدنيا وكراهة الموت •

مع العلم أن المسلمين لما فتحوا الذبح الاسلامية ومكثهم الله من رقاب أعدائهم  
 كانوا بهم رحما فكانوا كما هو معلوم من العنة النبوية لا يتمرضون الا لمن له فسى  
 الحرب أثر ومماونة فقد نهوا عن قتل الصبيان والنساء والشيوخ والعبيد والفلاحين  
 وغيرهم •

وعندنا شهادة بذلك من أعداء الدين الاسلامي حيث يقول صاحب قصة الحضارة  
 وهو نصراني يقول عن قصة فتح صلاح الدين لبيت المقدس بعدما استسلمت " ولما  
 استسلمت . . . فرض صلاح الدين على أهلها فدية قدرها عشر قطع من الذهب  
 عن كل رجل وخمس قطع عن كل امرأة وقطعة واحدة عن كل طفل أما فقراء أهلها  
 البالغ عددهم سبعة آلاف فقد وعد باطلاق سراحهم اذا أدوا اليه الثلاثين ألف  
 يزانة التي يمث بها هنرى الثانى ملك انجلترا الى فرسان المستشفى وقبلت هذه  
 المدينة هذه الشروط " بالشكر والنعيب " على قول أحد الاخباريين المسيحيين  
 ولعل بعض المارفين من المسيحيين قد وازنوا بين هذه الحوادث وبين حوادث

(١) انظر قصة الحضارة ج ١٣ ص ٧٢

عام ١٠٩٩ م - يعنى بذلك شكر المسيحيين عند دخولهم القدس ونحيب المسلمين في ذلك الحين -

ثم يسوق ما حدث لاسرى النصارى وما عاملهم به صلاح الدين من الرحمة والمطف فيقول : وطلب المادل أخو صلاح الدين أن يهدى اليه ألفعبد من الفقراء الذين بقوا من غير فداء فلما أوجب الي طلبه اعتقهم جميعا وطلب يليان زعيم المقاومين المسيحيين هدية مثلها وأوجب الي ما طلب واعتق ألفا آخرين وحذا حذوه المطران المسيحى وفعل ما فعل صاحبه وقال صلاح الدين أن أخاه قد أدى الصدقة عن نفسه وان المطران واليان قد تصدقا عن أنفسهما وانه يفعل فعملها ثم اعتنق كل من يستطيع أداء الفدية من كبار السن ٠٠٠ وكان ممن افتدى زوجات ونسبات النبلاء الذين قتلوا أو اسروا في واقعة حطين ورق قلب صلاح الدين لدموع أولئك النساء والبنات فاطلق سراح من كان في أسر المسلمين من أزواجهن وآبائهن أما النساء والبنات اللاتي قتل أزواجهن وآبائهن فقد وزع عليهن من ماله الخاص ما أطلق المنتهين بحمد الله والثناء على ما عاملهن به صلاح الدين من معاملة رحيمة نبيلة \* (١)

كما يذكر أيضا لنا قصة دخول عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس عند فتحها يقول \* وقابل البطريرق سفرونيوس مقابلة ملؤها اللطف والمجاملة ولم يفرض على المغلوبين الا جزية قليلة وأمن المسيحيين على كنائسهم \* (٢)

فهبل كان في هذا تعطفى للذما وقصوة على العباد وشراسة طبع وخلصق وهمجية كما يلمزون المسلمين بذلك ويرمون دينهم بالقسوة والشدة أم كانت الرحمة من طبائع الاسلام والمسلمين كما يقول الله تعالى ذلك عنهم في كتاب العزيز \* وما أرسلناك الا رحمة للمالين \* (٣)

(١) انظر كتاب قصة الحضارة لول ديورانت ح ١٥ ص ٣٧ و ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ح ١٣ ص ٧٦

(٣) الانبياء ١٠٧

ويقول المستشرقون والمبشرون ان الديانة المسيحية هي دين المسالمة وديسن  
الاخاء والمسالمة هذه الفاظهم وقولهم من ضرب خدك الايمن فادر له خدك الاخر (١)

الاخر

وهذه الاقوال على حد قول القائل

ان الافاعي وان لانت ملامسها . عند التقلب في أنيابها العطب

فهذا قول ظاهره الرحمة وباطنه فيه المذاب هل كان هذا القول مطبق فسي  
حروبهم وفتوحاتهم بل أن فعلهم مخالف لقولهم فهذه شريعة الاخاء والتسامح  
والمسالمة عندما تملطوا على القدس ودخلوه يقول القس ريمند الاجيلي شاهد العيان :

وشاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين وقتل غيرهم  
رميا بالسهام أو أرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الابراج وظل بعضهم الاخر يمدبون  
عدة أيام ثم احرقوا في النار وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والايدي والاقدام وكان  
الانسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل .

وبروى غيره من المماصرين تفاصيل أدق من هذه وأوفى . يقولون ان النساء  
كن يقتلن طمنا بالسيوف والحراپ والاطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أشدا  
أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الاسوار أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد وذبح السيمون  
ألفا من المسلمين الذين بقوا في المدينة .

أما اليهود الذين بقوا أحياء فقد سيقوا الى كنيس لهم واشملت فيهم النار وهم  
أحياء . (٢)

هذه رحمة أهل الدين الذي ينكر القتال وسقته ويدعو الى السلام والتسامح  
ويربط بين الناس برابط الاخاء فهل رحم أولئك شيئا لكبره أو طفلا لصغره أو امرأة  
لضعفها أو أعزل لمجزه عن القتال هذه من الخرافات التي تقال ولا حقيقة لها بينما

(١) انظر الجهاد في سبيل الله لرؤوف شلبي ص ١٩٥

(٢) انظر قصة الحضارة لول ديورانت ح ١٥ ص ٢٥



النساء

الدين الاسلامي يحرم قتال غير المقاتلين فلا تقتل المرأة والصبيان والشيوخ والرهبان وغيرهم كما هو معروف في تاريخ الاسلام وصيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وقد مضت قصة صلاح الدين مع الافرنج عندما فتح بيت المقدس فظهرت رحمة الاسلام وظهر عدل الاسلام فيمن فعل ما مضى من المنكرات في المسلمين فلم يتعرض لضعفائهم بالقتل بل اكرمهم وارسل من اراد الذهاب منهم الى دياره وقبل منهم الفداء فهذه مقارنه ولا سواه بين الدين الاسلامي والدين المسيحي وأين الثريا من الشركى أو بين أهل الاسلام الرحماء وبين أهل الديانة المسيحية الخبيثاء ثم ان انتشار الاسلام في البلاد التي لم يطرقها المسلمون الفاتحون اكرمته في البلاد التي دخلها الفتح الاسلامي كما هو موجود الان في الهند وأندونيسيا والصين وسواحل القارة الافريقية وما يليها من سهول الصحارى الواسعة فان عدد المسلمين فيها قريب من ثلاثمائة مليون ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وبين أبناء تلك البلاد الا القليل الذي لا يجدى في تحويل الالاف والملايين عن دينهم (١)

فلمن من جميع ما تقدم أن الاسلام يعتمد على الاقتناع والحجة والبرهان لا على الاكراه في الدخول في الاسلام فان الاسلام يقول لا تباعه \* لا اكراه في الدين \* (٢)

مع العلم أن الدين الاسلامي دين عالمي لا يخص جنساً دون جنس أو بلداً دون بلد وان الذي يقف دون وصوله من قوى الطفيا ن في الارض فالاسلام حين يغتصم مبادئه ويجد قوة من قوى الطفيا ن تحاول أن ترد المسلم عن قول دعوته وعن الدعوة الى الله فله أن يحارب هذه القوى التي تحول بين الناس وبين عقولهم ثم اذا أزاح قوى الشر من طريقه ترك الناس احرارا ليروا رأيهم بحرية ومسح اختيار فلا يفرض المقيدة الاسلامية كما مضى من ذكر الماهدات والجزية هذا نظام الدين الاسلامي مع المحاربين وقوى الشر والطفيا ن فهو يحارب القوى ويترك الحرية لاهل الاديان فمن قنع بالاسلام دخل فيه وهو راضى غير مكره ولا يجد من يصد عنه ومن أحب البقاء على دينه ترك واختياره والله اعلم \*

(١) انظر حقائق الاسلام وابطال خصومه للمقاد ص ١٩١

(٢) البقره ٢٥٦

صفريات  
من صفريات المبشرين والمعتشركين

صفريات  
ومن صفريات الاستشراق والتبشير على الدين الاسلامي في انتشاره تصويرهم  
الفتح الاسلامي بأنه حركة اقتصادية كان هدفها الاغارة والاستلاب والاستيلاء على  
الاموال وخيرات الارض ولا يشك أن هذه الاقوال والمفاهيم أملاها عليهم  
حقدهم الدين وحبهم للطمن في دين الله القوم ومددهم عن التحقيق والتدقيق  
وهذا ما يجعل كلا منهم غير مستغرب لانهم على احدى طريقتين فاما يقولون هذا  
وهم يملكون ما عليه دين الله وسيرة أصحاب رسول الله واما يقولونه تقليدا واتباعا  
لا هوا غيرهم ممن سيطروا على عقولهم ووجهوا ضائرهم على وفق ما تطلبه رغباتهم  
وتشبهه نفوسهم من الطمن في الدين الاسلامي وحملته .

يقول أحدهم وهو توماس ارنولد " وكان أقوى من ذلك جذبا الى الاسلام  
أملهم الوطيد في الحصول على غنائم كثيرة إذ يجاهدون في سبيل الدين الجديد  
ثم أملهم في أن يستبدلوا صحاريهم الصخرية الجرداء التي لم تتح لهم الا حياة  
تقوم على البؤس . تلك الاقطار ذات الترف والنميمة وهي فارس والشام ومصر (١)

كان هو لا الاعداء لم يسمعوا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما  
سأله الاعراب فقال " الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل  
ليرى مكانه فمن في سبيل الله . يقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو  
في سبيل الله . (٢)

فقد قطع هذا الحديث كل قتال لا يكون لوجه الله تعالى اذا فالديين  
هو دين الله لا يجاهد الا من أجل ما بعثه الله له فان المجاهدين في سبيل  
الله ينبغي أن يكونوا ربايين تسيطر عليهم الروح الايمانية والاخلاص لا يشوب

(١) انظر كتاب الدعوة الى الاسلام ٨٩  
(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ح ٦ ص ٢٧ وانظر صحيح مسلم مع  
شرح النووي ح ١٣ ص ٤٩ .

### أغراض

أعمالهم أى غرض من أغراض الدنيا كما فى هذا الحديث الذى ذكر فيه بـمض أغراض المقاتلين فان منهم من يقاتل من أجل حظوظ الدنيا ومنهم من يقاتل حتى يرى الناس بلاه وشجاعته فيشتهر بين الناس بالذكر والثناء عليه بما فيه من قوة وشدة فى القتال ومبارزة الاقران فيحمد بهذه الفعـال فنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال هذه الاعمال ليست من أعمال المسلمين المجاهدين فى سبيل الله عز وجل الذين يريدون أعلاء كلمة الله والقضاء على الاوثان التى يضاهئون بها خالق الارض والسـموات وما فيها وما بينهما فمن قاتل من أجل الله لزمه الوقوف عند حدود الله والامر بشرع الله وامثال احكام الله كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال فى هذا الموضع حتى يقطع على من أراد أن يقاتل باسم الجهاد فى سبيل الله وهو لا يريد الا الذكر والشهرة بين الناس ان جزاءه النار لا غير فقال فيما روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه " ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فمرفه نعمسه فمرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال جرى" فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار" (١) فعندما يسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا الوعيد ويمرّفون أن الامر أمر جد واخلاص لا مدخل لحطام الدنيا واعراضها الزائلة فيه يكون همهم الخـروج فى سبيل الله لأعلاء كلمة الله لا طمعا فى الدنيا ولا رغبة فى لذائذها كما يشمل ذلك رمسى بن عامر عندما سأله رستم قائد الفرس فى القادسية :

"ما جاء بك قال الله جاء بنا وهو بمثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فأرسل رسوله بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى نفصى الى الجنة أو الظفر" (٢) .

وأىضا فالقرآن الكريم اذا حصل أى خلل فى نفوسهم أو فعلوا أمرا من أجـل الدنيا لا يقرهم على ذلك بل يؤنبهم ويذكرهم ويحذّهم غضب الله وسخطه لانه يريد

(١) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٣ ص ٥٠

(٢) انظر اتمام الوفاء فى تاريخ الخلفاء للشيخ محمد الخضرى بك ص ٢٩

منهم أن يكونوا أسوة حسنة وقدوة يحتذى حذوها ويسير الناس على نهجها يقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا " (١)

يقول الله في هذه الآية المظيعة " يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه إذا سرتم في سبيل الله والجهاد رفعة لدين الله وأهلاً كلمته فتثبتوا وتأنوا في قتل من سمعتم منه ما يشعر بأنه من أهل دينكم وملتكم ولا تقولوا لمن قابلكم بالسلام ولم يقابلكم بالمقاتلة لست من أهل الايمان والاسلام وليس قولك بحق وإنما قلت ما قلت خوفاً من القتل فتسرعون في قتله طلباً لمتاع الدنيا وحطامها الفاني فعند الله من المغانم أكثر مما تظنون فيه من حطام الدنيا الزائل فانكم أول ما دخلتم في الاسلام حققت دماؤكم وأموالكم بسلامكم ونطقهم بالشهادتين من غير انتظار لمعرفة ما في القلوب ثم كرر التبيين والتثبيت في الامر بمبالغة وتحذيراً وهذا فيه وعيد لمن لم يثبت في أمره ثم أخبرهم أنه مطلع على سرائرهم وما في صدورهم من البواعث على القتال وفيه ايضاً وعيد شديد وتحذير من الوقوع في مثل هذا الخطأ .

فكان أصحاب رسول الله خير مثل لهذه النماذج حين خرجوا مجاهدين في سبيل الله فان أرواحهم كانت تسيطر عليها حب الدعوة الى الله واخراج المباد من الظلمات الى النور فكان خروجهم في الله وقصد هم اعلاء كلمة الله فكانت حركاتهم وسكناتهم محصورة في سبيل الله واخلاص النية وتجريد المقصد لمرضاة الله سبحانه خرجوا يطلبون الشهادة وهي أحب اليهم من البقاء والخروج أحب اليهم من القمود لما وهبهم الله من الاخلاص خرجوا لا يريدون علواً ولا فساداً وكلام رضى ابن عامر وأصحابه كالنموذج لمنهج الخروج في سبيل الله هو أنهم قالوا قولاً واحداً وهو أن الله هو الذى أخرجنا ولم يقولوا خرجنا لان أرضنا صحراء صخرية نطلب وطننا أحسن منها أو أخرجنا الجوع وحب الثراء أو أخرجنا هجومكم علينا واعتداءكم المتكررة على دولتنا " فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة

ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يخلب نفسه نوّيته أجرا عظيما \* (١)

نقد باعوا الدنيا بما فيها من رغبات ومشتبهيات وطلبوا ما عند الله فبذلوا  
الاموال جائدة بها نفوسهم غير متطلعين الى الثنائم الا اذا أتت عرضا وكانت  
قلوبهم مشغوفة بحب الله والدار الآخرة قد جعلوا عبادة الله ومرضاته غايتهم فكانوا  
ملازمين للعبادة حتى كأنهم لم يفارقوها أبدا .

يقول تعالى عنهم " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء  
بينهم تراهم سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا " (٢)

هذه أوصافهم القوة على أعداء الله والرحمة فيما بينهم لا تماظم ولا تبتكر  
وانما هدفهم وغايتهم طلب مرضاة الله قد زالت دواعي التباغض من نفوسهم وهسي  
او لا واعظمها حب الدنيا فخرجوا يقاتلون في سبيل الله وينشرون دين الله لا حبا  
للدنيا كما يلزمهم اللامزون ويفتري عليهم الظالمون فمن أراد الانصاف من أهمل  
البحث فعليه بسيرة القوم في حروبهم فانها أكبر دليل على غايتهم ومقصودهم من  
منازبتهم والحق أنه كان ينبغي لنا أن نعرض عن آراء المستشرقين لانهم كما وصف  
الله سلفهم لا يمكن أن يقرروا بفضل الا لمن سلك طريقهم ولا يرضون عنا أبدا حتى  
نتبع ملتهم وقد قال الله تعالى " ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا  
قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد  
ما جاءك من العلم أنك إذا لمن الظالمين " (٣)

فصحا جئنا به من البراهين والادلة لا يمكن أن نحصل منهم على رضا أو  
اقتناع أبدا فينبغي لنا أن نترك الضرب في الحديد البارد لان الله تعالى أخبرنا  
عنهم انهم لا يمكن أن يرضوا عنا أو يقتنموا بآرائنا مهما جئنا به من البراهين  
والدلائل فترك الخوض فيما لا ينفع أفضل من الخوض فيه بل قد يحب علينا ترك  
الخوض مع من لا ينفع فيه ابراز الادلة وتصيب البراهين والله الموفق .

(١) سورة النساء ٧٤

(٢) سورة الفتح ٢٩

(٣) سورة البقرة

## الباب الخامس

### فضل الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله من أعظم وأفضل العبادات بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون ، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض وذلك لما يحصل ويترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين ونشر العدل بين العالمين وإخراج المباد من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وإظهار محاسن الإسلام وإحكامه المادة بين الخلق أجمعين وحتى يسود العدل والرحمة والصحة واللاحوة الإيمانية وتزول العصبية وتذهب البغضاء وتذوب الفوارق بين المسلمين ولما كان فضل الجهاد عظيماً وشوابه جسيماً ورد القرآن بذكره ورفع قدره كما رفع ذكر المجاهدين وأعلى مقام الشهادة والشهادة في سبيله فعمدنا في هذا المبحث

- ١ - فضل الجهاد في سبيل الله .
- ٢ - فضل الخروج في سبيل الله .
- ٣ - فضل الشهادة في سبيل الله .
- ٤ - من هو الشهيد ولماذا سمي شهيداً .
- ٥ - فضل الرباط والامر بسبيله .

مع العلم بأن في الجهاد بعض الفضائل التي قد تتصل بمبحث غير هذا فنجمل بحث فضلها مع بحث أصلها من ذلك مثلاً فضل النفقة في سبيل <sup>الله</sup> عرض لنا في مبحث الجهاد بالمال وكذلك فضل الرضى واعداد المدة عرضت في مبحث اعداد المدة هذا وقد علم ماورد في فضل الجهاد في سبيل الله تعالى من ذلك قوله تعالى " فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيمقتل أو يفلح فسوف نؤتيه أجراً عظيماً " (١)

هنا أمر المؤمنين وعرض على من يريد أن يبيع الحياة الدنيا ويذليها ويجعل  
 الآخرة ثمنًا لها وهوضًا منها لأنه يكون قد أعز دين الله وجعل كلمة الله هي العليا  
 وكلمة الذين كفروا السفلى فإن من يتقدم إلى ميدان القتال في سبيل الله فيحظى  
 بالشهادة أو النصر فسوف يعطى ثوابًا عظيمًا وأجرًا جسيمًا وهو دخول الجنة التي  
 فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فَمَنْدَمَا يسمع المؤمن من الله هذا المرض تهون عليه  
 نفسه ويتقدم إلى ساحة القتال غير هائب ولا خائف ولا وجل يتقدم والموت أحب إليه  
 من الحياة ويجاهد في سبيل الله حتى ينال فضل الله الذي أعد للمجاهدين في  
 سبيله ولا يتخلف عن الجهاد لملحه بما أعد الله له يقول الله تعالى " لا يستوى  
 القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم  
 فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى  
 وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرًا عظيمًا درجات منه ومغفرة ورحمة وكان  
 الله غفورًا رحيمًا " (١)

فهنا نفى القرآن المظيم المساواة بين القاعدین من المؤمنين غير أصحاب  
 الماهات الذين عذرهم الله سبحانه وبين من جاهد في سبيل الله بحاله ونفسه  
 ورفع المجاهدين على القاعدین درجة لا يدرك قدرها وكتبتها وكلا وعد الله الجنة  
 من المؤمنين المجاهدين والقاعدین ورفع قدر المجاهدين بإعطائهم الاجر العظيم  
 ورفع منازلهم فوق غيرهم ممن لم يكن من المقاتلين يقول القرطبي في قوله " وفضل  
 الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة " وكذلك قوله وفضل الله  
 المجاهدين على القاعدین أجرًا عظيمًا درجات منه ومغفرة ورحمة " قال

قال قوم التفضيل بالدرجة ثم بالدرجات انما هو مبالغة وبيان وتوكيد وتيسل  
 فضل الله المجاهدين على القاعدین من أولى الضرر بدرجة واحدة ، وفضل الله  
 المجاهدين على القاعدین من غير عذر درجات قاله ابن جريج والسدي وغيرهما " (٢)

(١) سورة النساء ٩٥ ، ٩٦

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ٥ ص ٣٤٤

وكذلك من الايات التي تحت المؤمن على الجهاد وتبعت في نفسه الثقة بالله وانه قد عقد مح بره صفقة رابحه قد تمت وانتهت ولم يعد للمؤمن في نفسه ولا ماله من شيء . بعد أن باعها من الله سبحانه وتعالى حتى يصرف فضل هذه الوظيفة التي قام بها وسمى في ابلاغها الى عباد الله يقول الله تعالى :

" ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بمعهده من الله فاستبشروا ببيعتكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " (١)

فانظر الى هذا التفضل من الله سبحانه وتعالى على عباد الله كيف أنه اشترى الانفس والاموال من عباد الله مع أنه مالك الانفس والاموال ومعنى هذا أنه تفضل ممن الله على عباد الله وكرم الخالق الذي يشتري من عباد الله بعض ما خلق فلم يبق للمؤمن في نفسه وماله بعد أن باعها من الله الا أن يبذل النفس والمال لمن اشتراهما ويتصرف فيهما وفق ما أمره الله سبحانه فلا ينبغي للمسلم أن يبخل على الله بنفسه أو بماله الا اذا نكث البيع عيادا بالله ولا سبيل للمؤمن اذا كان مؤمنا أن يفسح هذا العقد المؤكد من الله سبحانه وتعالى وقد جعل الثمن هو الجنة وعرضها الانفس والاموال وذلك يبذل النفس والمال في الجهاد في سبيل الله فيقاتلون في سبيل الله بالانفس والاموال فيكونون أما قاتلين لاعدائهم وأعداء ربه الصادقين عن سبيله وأما مقتولين شهداء ولا فرق بين القاتل والمقتول في الاجر والثواب فكل منهما كان في سبيله ثم أن هذا الاجر والثواب قد التزم الله تعالى به وأوجبه على نفسه تعالى لعباده المؤمنين المقاتلين في سبيله تكريما منه وفضلا ثم أكد هذا البيع بأنه مسجل في كتب الله المفضلة وهي التوراه والانجيل والقرآن ثم زاد هذا المعنى توكيدا فقال " ومن أوفى بمعهده من الله " أي لا أحد أوفى بمعهده من الله سبحانه في انجاز ما وعده ان لا يمنعه من الوفاء عجز ولا يمرض له تردد أو رجوع عما يريد ثم بشرهم ببيعتهم وسرورهم بهذا البيع الذي بايعوا به ربه فقد رحوا رحا لم يربحه أحد غيرهم الا من عمل يمثل عملهم ثم أخبرهم أنهم قد ظفروا بمطلوبهم العظيم الذي هو الجنة .



يقول أبو السمود في تفسير هذه الآية " ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه . حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى ، وإثباته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء ، على طريق الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في المقصد ، أنفسهم المؤمنين وأموالهم والتمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال أن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصد في المقصد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأناض والأموال وسيلة إليها إذا ناسا بتملق كمال المناية بهم وأموالهم " (١) وهذه الفضائل قد كثر في كتاب الله العزيز سوى هذه الآيات التي مرت منها قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب الليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم " (٢)

وكما قد كثر الآيات فقد كثر الأحاديث الواردة في فضائل الجهاد فقد دعت إلى الجهاد وإلى الخرج في سبيل الله وكذلك الرباط وأظهرت فضائل الشهادة والشهادة كما حثت على النفقة وغير ذلك من فضائل الجهاد وفوائده منها :

ما روى البخاري عن أبي هريرة ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله قال " إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض " لفظ البخاري " (٣)

وأيضاً ما روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال :

(١) تفسير أبي السمود ج ٢ ص ٦٠٧ نشر مكتبة الرياض الحديثة .

(٢) سورة الصف ٩ - ١٢ .

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤ وانظر صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٢٨

الصلاة على ميقاتها قلت بم أي ؟ قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزدني " لفظ البخاري (١)

وكذلك ما روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قالوا ثم من ؟ قال مؤمن في شعب من الشعب يتقى الله ويدع الناس من شره " (٢) .

وفي صحيح البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يمدل الجهاد قال لا أجده قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تغتر وتصوم ولا تغطر ؟ قال ومن يستطيع ذلك قال أبو هريرة أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات " (٣) . " يستن " أي يمزج بنشاط في طوله " بكرم المهملة وفتح الواو وهو الحبل الذي يشد به الدابة ويمسك طرفه ويرسل في المرعى .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أيضا قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما يمدل الجهاد في سبيل الله عز وجل قال لا تستطيمونه قال فاعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا تستطيمونه وقال في الثالثة مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى " (٤) .

فهذا بعض ما ورد في السنة المطهرة من فضائل الجهاد في سبيل الله وهي زاخرة بذكر الجهاد وفضله ونلمس من اختلاف فضائل الاعمال اشكالا فسوى الجمع بينهم . L .

- 
- (١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٢ وانظر صحيح مسلم مع شرح النووي ج ٢ ص ٢٣  
(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٣ وانظر صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٣٣  
(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٣  
(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٢٤ .

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم :

” أما معاني الاحاديث وفقهها فقد يستشكل الجمع بينها مع ما جاء في  
معناها من حميت أنه جمل في حديث أبي هريرة أن الأفضل الايمان بالله  
ثم الجهاد في حديث أبي ذر الايمان والجهاد وفي حديث ابن مسعود الصلاة  
ثم بر الوالدين ثم الجهاد وتقدم في حديث عبد الله بن عمرو أي الاسلام خير قال  
تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف وفي حديث أبي موسى  
وعبد الله بن عمرو أي المسلمين خير قال من سلم المسلمون من لسانه ويده وصح  
في حديث عثمان خيركم من تعلم القرآن وعلمه وأمثال هذا في الصحيح كثير  
واختلف العلماء في الجمع بينها فذكر الامام الجليل أبو عبد الله الحلي الشافعي  
عن شيخه الامام الملازم المتقن أبي بكر القفال الشافعي الكبير وهو غير القفال  
الصغير المروزي المذكور في كتب متأخري أصحابنا الخراسانيين قال الحلي وكان  
القفال أعلم من لقيته من علماء عصره أنه جمع بينها بوجهين :

أحدهما أن ذلك اختلاف جواب جرى على حسب اختلاف الاحوال  
والاشخاص فانه قد يقال خير الاشياء كذا ولا يراد به خير جميع الاشياء من جميع  
الوجوه وفي جميع الاحوال والاشخاص بل في حال دون حال أو نحو ذلك  
واستشهد في ذلك باخبار منها عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال حجة لمن لم يحج أفضل من أربعين غزوة وغزوة لمن حج أفضل  
من أربعين حجة .

الوجه الثاني :

أنه يجوز أن يكون المراد من أفضل الاعمال كذا أو من خيرها أو من خيركم  
من فعل كذا فخذت ( من ) وهي مرادة كما يقال فلأعقل الناس وأفضلهم  
ومراد أنه من أعقلهم وأفضلهم ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم  
خيركم خيركم لاهله ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس مطلقا ومن ذلك قولهم  
أزهد الناس في العالم جيرانه وقد يوجد في غيرهم من هو أزهد منهم فيه هذا

كلام القفال رحمه الله وعلى هذا الوجه الثاني يكون الايمان أفضلها مطلقا والباقيات متساوية في كونها من أفضل الاعمال والاحوال ثم يعرف فضل بعضها على بعضها بدلائل تدل عليها وتختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فان قيل فقد جاء في بعض هذه الروايات أفضلها كذا ثم كذا بحرف ثم وهي موضوعة للترتيب .

فالجواب أن ثم هنا للترتيب في الذكر كما قال تعالى " وما أدرك ما المقبلة فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا " ومعلوم أنه ليس المراد هنا الترتيب في الفعل وكما قال تعالى قل تعالوا <sup>أقول</sup> الخصم ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا " الى قوله ثم آتينا موسى الكتاب وقوله تعالى " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم ونظائر ذلك كثير وانشدوا فيه :

قل لمن عاد ثم اساد أبوه . ثم قد ساد قبل ذلك جده

وذكر للقاضي عياض في الجمع بينها وجهين

أحدهما نحو الاول من الوجهين اللذين حكيناها .  
والثاني : أنه قدم الجهاد على الحج لانه كان أول الاسلام ومحاربة أعدائه والجد في اظهاره (١)

وقال ابن حجر في جمعه بين هذه الاحاديث مثل ما تقدم (٢) وقال في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام للسائل عند ما سأله عن عمل يعدل الجهاد في سبيل الله قال لا أجده قال " وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله تقتضى أن لا يعدل الجهاد شي من الاعمال .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٧

(٢) انظر فتح الباري ج ٢ ص ٩

وأما ما تقدم في كتبه للميدان من حديث ابن عباس مرفوعاً " ما الصل نفسي أيام أفضل منه في هذه - يعني أيام العشر - قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله فيحتمل أن يكون عموم حديث الباب خص بما دل عليه حديث ابن عباس ، ويحتمل أن يكون الفضل الذي في حديث الباب مخصوصاً بمن خرج قاصداً المخاطرة بنفسه وماله فأصيب كما في بقية حديث ابن عباس " خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ " فمفهومه أن من رجع بذلك لا ينال الفضيلة المذكورة ولكن يشكل عليه ما وقع في آخر حديث الباب وتوكل الله للمجاهد الخ \* ويمكن أن يجلب بأن الفضل المذكور أولاً خاص بمن لم يرجع ولا يلزم من ذلك أن لا يكون لمن يرجع أجر في الجملة \* (١) .

ويمد هذا الجمع من ابن حجر رحمه الله أورد اشكالا اشد من الاشكالات السابقة وهو قوله واشد مما تقدم في الاشكال ما أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد وصححه الحاكم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً " ألا انبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى قال : ذكر الله " (٢) لفظ الترمذي .

ثم قال الحافظ " فانه ظاهر في أن الذكر بمجرد أفضل من أبلغ ما يقسح للمجاهد وأفضل من الانفاق مع ما في الجهاد والنفقة من النفع المتمددي " (٣)

وترك الحافظ الجواب على هذا الاشكال ولم يجب عليه وانما أورده ثم مكنت عنه ولا يخفى أن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما سئل عما يمدل الجهاد قال لا أجده ثم يمد ذلك أتى بما ليس في مقدور البشر من ملازمة القيام مع عدم القصور من القيام والصيام مع عدم الافطار وقال في رواية مسلم مثل المجاهد في سبيل الله

(١) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٥  
 (٢) جامع الترمذي مع شرحه تحفة الاجودى ج ٩ ص ٣١٧ وانظر مسند أحمد ترتيب الساعاتى ج ١٤ ص ١٩٨ .  
 (٣) فتح الباري ج ٦ ص ٥

كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله " مع أن الصلاة ملازمة لذكر الله سبحانه وتعالى فأحسن ما وجدت من الاجبوبة على هذا الاشكال ما ذكره ابن القيم في شرحه على سنن ابي داود قال رحمه الله تعالى " والتحقيق في ذلك أن المراتب ثلاثة المرتبة الاولى ذكر وجهاد وهي أعلى المراتب : قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " .

المرتبة الثانية : ذكر بلا جهاد وهذه دون الاولى .

المرتبة الثالثة : جهاد بلا ذكر فهي دونها والذكر أفضل من هذا وانما وضع الجهاد لاجل ذكر الله فالمقصود من الجهاد أن يذكر الله ويمعبده وحده فتوحيده وذكره هو عبادته هو غاية الخلق التي خلقوا لها " (١) ثم قال

قال القاضي عياض : اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد لان الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الاعمال قد عد لها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة مما دلة لابر المواظب على الصلاة وغيرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " لا تستطيع ذلك " وفيه أن الفضائل لا تدرك بالقياس وانما هي احسان من الله تعالى لمن شاء واستدل به على أن الجهاد أفضل الاعمال مطلقا لما تقدم تقريره ثم ذكر عن ابن دقيق العيد أنه قال القياس يقتضى أن يكون الجهاد أفضل الاعمال التي هي وسائل لان الجهاد وسيلة الى اعلان الدين ونشره واخماد الكفر ووحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم " (٢)

وقد أجاب على حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بجواب أحسن ولعله الاقرب والمقصود وهو قوله رحمه الله " فالذى يظهر أن تقديم الصلاة على الجهاد والبر لكونها لازمة للمكلف في كل أحيانه وتقديم البر على الجهاد لتوقفه على

(١) شرح ابن القيم على سنن أبي داود مع شرح عون المعبود ج ٧ ص ١٧٦ .

(٢) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٥

اذن الابوين • (١)

أما ما يظهر لى فإن الجهاد أفضل الاعمال بعد الفرائض فالجهاد أفضل  
من صلاة التطوع ومن صدقة التطوع ومن صيام التطوع فهو يكون أفضل <sup>الاعمال</sup> الأعمال غير  
المفروضة التى يكثر الانسان بتركها أما المفروضة كالصلوات الخمس والزكاة وسر  
الوالدين وشبهها فهى أفضل منه لحديث ابن مسعود الذى قدم الصلاة وبر الوالدين  
على الجهاد مع أن الصلاة لازمة للمجاهد فى سبيل الله فهو يحمل ما يحمل المصلى  
ويتزيد عليه ما فى الجهاد من الدعوة الى الله وحماية ثغور المسلمين والصبر وتحمل  
المكاره وكذلك بر الوالدين لازم على من له أبوين ان يبرهما ولا يخن فى الجهاد  
الا اذا أذنا له الا أن يداهم العدو وبلاد المسلمين فهنا يجب أن يخن ولو لم  
يأذنا له الا أن يخاف عليهما الضياع أو أحدهما والله أعلم •

■ ■ ■

## فضل الخروج في سبيل الله

ان من ينظر في نصوص الجهاد يجب لما فيها من الفضائل والمكارم السني  
أعدّها للمجاهدين في سبيله ولم تكن هذه المكرمات في شيء من الاعمال مثلها  
في الجهاد في سبيل الله تعالى وهذا لما للجهاد في سبيل الله من الجزايا  
المعظم من نشر الدعوة الاسلامية وحماية الاوطان والدعوة ودعاتها ورفع الظلم من  
الارض ولهذا كانت حركات المجاهد وسكاته كلها له فيها أجر وفضيلة وكان كل ما  
يصيب المجاهد في سبيل الله من العطش والتعب والجوع في حسناته ومكتوبة لله  
علا صلحا وكذلك لا يمر على أرض أو يعمل عملا فيه تكايف للكفار وفيظ الا كان له عمل  
صالح فقد اثابهم الله تعالى على جميع تصرفاتهم اجزل وأعظم ثواب .

قال الله تعالى " ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا  
عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا  
مخصصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يفيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا  
الا كتب لهم به عمل صالح أن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة  
ولا كبيرة ولا يقطمون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون " (١)

وما أعظم أجر المجاهد وأكثره حتى لو على الاعمال البسيطة المادية فقد  
جعل الله جميع تصرفات المجاهد في حسناته ولهذا ورد في الحديث " أن فرس  
المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات " (٢)

(١) سورة التوبة ١٢٠ ، ١٢١

(٢) صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ج ٦ ص ٤



فهذه منحه من الله تفضل بها على المجاهد فقد جعل خطى فرسه وشره وروثه واستنانه ولو بخير رضا حسنة له .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لخدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها " (١)

وقال عليه الصلاة والسلام " لقصاب قوسى في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب وقال لخدوة أو روحه في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب " (٢)

وقال " الروحة والخدوة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها " (٣)  
قال ابن حجر في شرحه لهذه الأحاديث " والخدوة بالفتح المرة الواحدة من الخدو وهو الخروج في أى وقت كان من أول النهار الى انتصافه والروحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أى وقت كان من زوال الشمس الى غروبها " (٤)

وهذه فضائل تتيح فضائل خير الله تعالى بها المجاهد في سبيله وفي هذا تشجيع وتحريض على الجهاد وعدم التأخر عنه لما ينال المجاهد من الفضائل فلا ينبغي أن يترك المسلم الشئ العظيم الذي لا يساوية فضل في الدنيا بل صارت الخدوة أفضل وأعظم عند الله من الدنيا وما فيها من <sup>ملذات</sup> وملذات ومشتبهات وشواغسل تشغل المسلم من طلب الاجر العظيم والثواب الجسيم فوردت الاحاديث تخبر عن فضائل الخدوة والروحة في سبيل الله حتى تنزل من نفوس المؤمنين حب الدنيا وانها وان عظمت وكثرت خيراتها وملذاتها لا تساوى خدوة أو روحه ينفذها المجاهد في سبيل الله تعالى فهانت على المسلمين هذه الدنيا الدنيئة وشمرت نفوس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه الى هذا الثواب العظيم والاجر الجسيم

(١) انظر صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ج ٦ ص ١٢ ومسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٢٦ .

(٢) انظر صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ج ٦ ص ١٣ .

(٣) البخارى مع شرحه فتح البارى ج ٦ ص ١٤ والنسائى ج ٦ ص ١٥ .

(٤) انظر فتح البارى ج ٦ ص ١٤ .

وعرفوا الدنيا وحقارتها فباعوها ولم تشغلهم عن تحمل المشاق وخوض المصـارك وقطع أقطار الأرض حتى كانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا مانال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك والذي نفسى محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما تعدت خلاف سرية تغلرو في سبيل الله أبدا لكن " لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني " (١)

قال النووي في شرح الحديث " تضمن الله وفي الرواية الأخرى تكفـل ومعناها أوجب الله تعالى له الجنة بذله وكرمه سبحانه وتعالى وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة • وقوله لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي " معناه لا يخرجه إلا محض الايمان والاخلاص لله تعالى " (٢)

وهذا الحديث فيه كفاية من الله سبحانه وتعالى للمجاهد المخلص نفسى جهاده المصدق بالله والتابع لرسله والمصدق برسالتهم بأن يدخله الجنة ان مات أو قتل أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما حصل له من الاجر والغنيمة اذا جعلنا أو بمعنى الواو كما في الرواية الثانية وهو الصحيح لان الله يجمع للمجاهدين الاجر والغنيمة ثم يقسم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بالذى نفسه في يده وتحت تصرفه ما من جرح يجرح في سبيل الله الا جاء يوم القيامة مثل حالته حسين طمن اللون لون الدم والريح ريح المسك •

(١) انظر صحيح مسلم مع شرح النووي ح ١٣ ص ١٩ •

(٢) انظر شرح النووي ح ١٣ ص ٢٠ •

ثم يكرر القسم عليه أفضل الصلاة والتسليم انه لولا خوفه من احراج المؤمنين وشفقته عليهم لما قعد خلف سرية تفزرو في سبيل الله سبحانه وتعالى ولكن خوفه من المشقة على المؤمنين جملة لا يخرج في كل كتيبه تخنق في سبيل الله سبحانه وتعالى وقد عيّل عليه الصلاة والسلام أنه لا يجد ما يحطمهم عليه وهم كذلك فقرا لا يستطيعون الخروج في سبيل الله واعداد العدة في سبيله وهم مع هذا لا يجهون أن يتخلفوا عنه عليه الصلاة والسلام وهذا يدل على شفقته على أمته ورحمته بهم ان كان بالمؤمنين <sup>رفقا</sup> رحيمًا عليه من الله أزكى سلام وأشرف تحية .

ثم تأتي فضائل من تحمل المشقة في سبيل الله سبحانه وتعالى وتحمل الفبرة والكدر في سبيل مرضات الله جل وعلا فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام " من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار " (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام " ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتممه النار " (٢) قال ابن حجر رحمه الله تعالى " المعنى المس - أي من النار للقدمين - ينتفى بوجود الخبر المذكور ، وفي ذلك اشارة الى عظيم قدر التصرف في سبيل الله فاذا كان مجرد من الخبر للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسمه " (٣) .

وهذه فضائل جهه لا تحصي للمجاهد ولا تعد بل الفضل فيها غير مقدر بقدر والله أعلم وصلى الله على محمد .

(١) انظر البخارى مع شرحه فتح البارى ح ٢ ص ٣٩ والترمذى مع شرحه تحفة

الاجودى ح ٥ ص ٢٥٨ .

(٢) انظر البخارى مع شرحه فتح البارى ح ٦ ص ٢٩ .

(٣) فتح البارى ح ٦ ص ٣٠ .

### فضل الشهادة والشهادة

ان من تتبع ما أعدّه الله تعالى للشهادة من الفضل والكرامة وسمع ما أخبر الله تعالى عن حالهم في مفارقة الدنيا تهون عليه الحياة الدنيا وما فيها من مشتهيات ومستلذات فزهّد فيها وسمّى جاهداً في طلب الشهادة لعله ينال هذه الفضيلة والمخصوصة التي لم تكن لاحد سوى القتلى في سبيل الله قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِن لا تَشعرون ﴾ (١).

يعنى بذلك التحدث في شأن حياة الشهداء فلا تقولوا انهم أموات فانهم أحياء حياة أفضل وأحسن من حياتكم أيها المتحدثون في شأنهم مسرورين بما هم فيه من النعيم المقيم الذي حصلوا عليه بسبب القتل في سبيل الله فلا تزهدوا في طلب الشهادة حتى ينالكم ما نالهم من الفضل والكرامة ثم زاد الله تعالى توضيحاً فقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ (٢)

أما حياتهم فقد ورد في الحديث الشريف وهو ما رواه معلم وغيره عن مسروق قال سألتنا عبد الله - يعنى ابن سمعود - عن هذه الآية ﴿ لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ قال اما انا قد سألتنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير لها قناديل معلقة بالمرش شرح من الجلف حيث

(١) سورة البقرة ١٥٤

(٢) سورة آل عمران ١٦٩ - ١٧١

شأت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أى شىء نشتهى ونحن نخرج من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أنهم ليس لهم حاجة تركوا \* (١)

وهذه ميزة عظيمة ميز الله بها الشهداء فى سبيله حيث جعل أرواحهم نفس جوف هذه الطيور .

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى قال أبو جعفر فان قال لنا قائل وما فى قوله : ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمراً بل أحياء \* من خصوصية الخبر عن المقتول فى سبيل الله الذى لم يمم به غيره ؟ وقد علمت تظافر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم فاخبر عن المؤمنين انهم يفتح لهم من قبورهم أبواب الى الجنة يشمون منها روحها ويستمجلون الله قيام الساعة ليصيروا الى مساكنهم منها وجميع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم = وعن الكافرين انهم يفتح لهم من قبورهم أبواب الى النار ينظرون اليها ويصيبهم من نتنها ومكروها ويسلط عليهم فيها الى قيام الساعة من يقمهم فيها وسألون الله فيها تأخير قيام الساعة حذاراً من المصير الى ما أعد الله لهم فيها مع أشباه ذلك من الاخبار واذا كانت الاخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فما الذى خص به القليل فى سبيل الله ، مما لم يمم به سائر البشر غيره من الحياة وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء فى البرزخ ، أما الكفار فيمذبسون فيه بالمعيشة الضنك وأما المؤمنون فينعمون بالروح والريحان ونسيم الجنان ؟

قيل ان الذى خص الله به الشهداء فى ذلك واقاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره اعلامه اياهم انهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها فى برزخهم قبيل بعثهم ومنعمون بالذى ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر من لذائذ

(١) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٣ ص ٣١ .

مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحدا غيرهم في برزخة قبل بعثه فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم " (١)

وقد سبق الحديث الذي أفاد أن أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديس معلقة بالمرش تصرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل "

هذه بعض ماورد في فضائل الشهادة والشهيد في سبيل الله وذلك كثير \*

— منها ما رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه واللفظ للبخارى قال قال النبي صلى الله عليه وسلم " ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شىء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات " لما يرى من الكرامة " (٢) .

— وروى البخارى والترمذى واللفظ للترمذى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما من عبد يموت له عند الله خير يحب أن يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يحب أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى " قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح " (٣)

وهذه فضيلة عظيمة تظهر للشهيد يتمنى المستحيل لما يرى من كرم الله وفضله على من بذل نفسه وماله في سبيل الله فباع نفسه من خالقه فأكرمه أعز الأكرام وقد نقل ابن حجر رحمه الله عن ابن بطال في شرح الحديث قال " هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة وقال : وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب " (٤) .

(١) جامع البيان ج ٢ ص ٣٩ ط الثالثة عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

(٢) البخارى مع شرحه فتح البارى ج ٦ ص ٣٢ .

(٣) الترمذى مع تحفة الاحوذى ج ٥ ص ٢٧٣ البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ١٥ .

(٤) فتح البارى ج ٦ ص ٣٣ .

وهذا فضل عظيم من الله سبحانه وتعالى وكذلك روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثه بن سراقه أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبى الله ألا تحدثنى عن حارثة - وكان قد قتل يوم بدر اصابه سهم غرب فان كان فى الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت عليه نفسى البكاء . قال : يا أم حارثة انها جنان فى الجنة وان ابنك اصاب الفسوس والاعلى . (١) .

وهذه فضيلة أورثت الشهيد على منازل الجنة التى هى الفردوس الاعلى .  
وورد أيضا أن الملائكة تظلل الشهيد بأجنحتها من حين يسقط حتى يرفع كما جاء فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : " جى " بأبى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد مثل به ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهانى قوص فسمع صوت نائحة فقيل ابنه عمرو أو اخت عمرو - فقال لم تبكى أولا تبكى ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها قلت لصدقه : أنه حتى رفع قال ربما قاله " (٢) .

ولشرف الشهيد والشهادة فى سبيل الله يتمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل فى سبيل الله ثم يحيى بعد القتل حتى ينال الشهادة فى سبيل الله ويعلم أصحابه فضل هذه المهمة وانها لا تكون كغيرها من الميات .

فقد روى البخارى وغيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " والذى نفسى بيده لولا أن رجلا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا بأجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تنزرو

(١) البخارى مع شرح فتح البارى ح ٦ ص ٢٦ .

(٢) البخارى مع شرح فتح البارى ح ٦ ص ٣٢ .

فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم احيا ثم أقتل  
ثم احيا ثم أقتل \* (١)

وهذا تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقسم بالله الذى بيده تصريف  
الامور لو حصل له القتل فى سبيل الله ثم الحياة ثم القتل ثم الحياة يقول ذلك عليه  
الصلاة والسلام ثلاث مرات وهذا دليل على فضل الشهادة فى سبيل الله <sup>شرف</sup>  
الحديث الذى يتمنى الشهيد فيه أن يموت فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة  
والكرامة التى أولاها الله لعباده الذين بذلوا نفوسهم فى سبيل مرضاته وطاعته واعلاء  
كلمته ومن فضلها <sup>انها</sup> تكفر الخطايا جميعا الا الدين فقد روى مسلم وغيره عن النبى  
صلى الله عليه وسلم عن أبى قتادة قال قام فيهم النبى صلى الله عليه وسلم فذكر لهم  
أن الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال فقام رجل فقال : يا رسول الله  
أرأيت أن قتلت فى سبيل الله أنكفرت عني خطاياى فقال له رسول الله صلى الله عليه  
وسلم نعم أن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال له رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكيف قلت قال أرأيت أن أقتلت فى سبيل الله أنكفرت عني  
خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر  
الا الدين فان جبريل قال لى ذلك \* (٢)

وهذا الحديث أفاد أن الاخلاص شرط فى تكفير الذنوب وان الصبر كذلك  
وعدم الفرار كما أفاد أن حقوق الادميين لا يسقطها شىء من أعمال البر وأعظم  
أعمال البر الشهادة فى سبيل الله وذلك لانها حق للغير أما الحقوق المتعلقة  
بالله فالله يغفرها .

\* \* \*

- 
- (١) البخارى مع فتح البارى ج ٦ ص ١٦ .
  - (٢) مسلم مع شرح النووى ج ١٣ ص ٢٨ .



## من هو الشهيد ولماذا سمي شهيدا

الشهيد في الاصل من قتل مجاهدا في سبيل الله وجمع على شهداء . ثم اتسع فيه فاطلق على من ساء النبي صلى الله عليه وسلم من المبطون والفرق والحرق صاحب الهدم وذات الجنب وغيرهم .

وفي أسماء الله الشهيد وهو الذي لا يخيب عنه شيء والشاهد الحاضر . (١)

وقد اختلف في سبب تسمية الشهيد شهيدا وقد نقل ابن منظور في اللسان أقوالا ومنها أنه سمي الشهيد شهيدا لانه حتى عند ربه وتجب هذا القول الى انضر ابن شميل ثم أورد توجيهها لهذا القول وهو ما نقله عن أبي منصور قال : " أراه تأويل قول الله عز وجل " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم " كأن أرواحهم أحضرت دار السلام أحياء وأرواح غيرهم أخرجت الى البعث قال وهذا قول حسن .

ونقل عن ابن الانباري

قال سمي الشهيد شهيدا لان الله وملائكته شهود له بالجنة

ثم أورد أقوالا غير منصوبة لاحد منها .

وقيل سمو شهداء لانهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبي صلى الله عليه وسلم على

الام الخالية .

وقيل لانه حتى لم يميت كأنه حاضر .

وقيل لان ملائكة الرحمة تشهده .

وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل .

(١) انظر النهاية لابن الاثيرج ٢ ص ٢٦٣ المطبعة الخيرية بصرعام ١٣٠٦ .

وقيل لانه يشهد ما أعذ الله من الكرامات بالقتل وقيل غير ذلك \* (١)  
وقد عدد ابن حجر ذلك وزاد عليه .

ولعل أقرب هذه الأقوال للصواب ما قاله النضيم شميل للاية الكريمة  
والاحاديث الواردة في حياة الشهداء المتقدمة في أول البحث ، أما الشهداء  
نقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدد هم أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري  
ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والشهداء  
خمسة المطعمون والمبطون والخرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله \* وقد  
يؤب لهذا الحديث بقوله رحمه الله " باب الشهادة سبع سوى القتل " (٢) .

وقد روى مالك في الموطأ وأبو داود والنسائي هذا الحديث الذي جملته  
البخاري رحمه الله عنوانا لهذا الباب ولم يخرج حديثه .

فاخرجوا جميعا عن جابر بن عتيك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء  
يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب عليه فصاح به فلم يجبه فاسترجع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وقال : " غلبنا عليك ، يا أبا الربيع فصاح النسوة وكسبن  
فجمل جابر يسكنهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعهن فإذا وجب  
فلا تبيكين باكية " قالوا : يا رسول الله وما الوجوب ؟ قال : " إذا ماتت فقالت  
ابنته : والله ان كنت لارجو أن تكون شهيدا ، فانك كنت قضيت جهازك : فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته وما تعسدون  
الشهادة " ؟ قالوا القتل في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
والشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله : المطعمون شهيد والخرق شهيد  
وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد والخرق شهيد والذي يموت تحت

(١) انظر لسان المصباح ٣ ص ٢٤٢ طبع دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت

للطباعة والنشر عام ١٣٧٤ هـ الموافق ١٩٥٥ م .

(٢) البخاري مع الفتح ح ٦ ص ٤٢ ومسلم مع شرح النووي ح ١٣ ص ٦٢ .

الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة " لفظ الموطأ (١)

وقد انتقدوا هذا الحديث لان البخارى ومسلما لم يخرجاه مع أن البخارى قد جعله عنوان باب فى كتابه الصحيح ونقل ابن حجر عن ابن بطلال " أن البخارى مات قبل أن يهذب كتابه ونقل عن ابن المنير شرح هذه الاجابه فقال ظاهر كلام ابن بطلال أن البخارى أراد أن يدخل حديث جابر بن عتيك فاعجلته المنية عن ذلك قال ابن حجر وفيه نظر .

قال ويحتمل أن يكون أراد التنبيه على أن الشهادة لا تنحصر فى القتل بسبل لها أسباب آخر وتلك الاسباب اختلفت الاحاديث فى عددها ففى بعضها خمسة وفى بعضها سبعة والذى وافق شرط البخارى الخمسة فنبه بالترجمة على أن المراد بالمراد ليس على معنى التحديد انتهى .

ثم قال ابن حجر والذى يظهر أنه صلى الله عليه وسلم أعلم بالاقل ثم أعلم زيادة على ذلك فذكرها فى وقت آخر ولم يقصد الحصر فى شىء من ذلك " (٢) .

أما النووى فقد قال " وهذا الحديث الذى رواه مالك صحيح بلا خلاف وان كان البخارى ومسلم لم يخرجاه " (٣) .

وسنده يقبل لان مالكا رواه عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك وعبد الله بن عبد الله قال فيه ابن حجر ثقة من الرابعة " (٤) .

---

(١) موطأ مالك ح ١ ص ٢٣٣ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي والنسائي ح ٤ ص ١٣ ط دار احياء التراث العربى بيروت ج ١ ص ١٣٣ مع شرحه عون المعبرود ح ٨ ص ٣٧٦ طبع محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .  
(٢) فتح البارى ح ٦ ص ٤٣ .  
(٣) شرح النووى على مسلم ح ١٣ ص ٦٢ .  
(٤) التقريب ح ١ ص ٤٢٦ .

وقال عن عتيك بن الحارث مقبول من الرابعة \* (١)  
وقال في التهذيب \* ذكره ابن حبان في الثقات \* (٢)

فلعل الشيخين تركاه لهذه العلة والله أعلم وهي كونه غير مقبول عند هصا

أبي ليس على شرطهما •

والمطمون هو الذي يموت في الطاعون •

أما المبطون فهو صاحب داء البطن وهو الاسهال قال النووي قال القاضي قيل هو

الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن وقيل هو الذي اشتكى بطنه وقيل هو الذي يموت

بداء بطنه مطلقا \* (٣)

ولعل هذا هو الصواب لان الحديث لم يخص مرضا دون آخر •

والفرق بين يموت غريفا في الماء وصاحب الهدم من يموت تحته •

وصاحب نوات الجنب مرض معروف وهي قرحة تكون في الجنب باطنا

قال ابن حجر يقال له الشوصه •

وأما المرأة تموت بجمع فهو بضم الجيم وسكون الميم وقد تفتح الجيم وتكسر أيضا وهي

النفساء وقيل التي يموت ولدها في بطنها ثم تموت بسبب ذلك وقيل التي تموت

بمزدلفة وهو خطأ ظاهر وقيل التي تموت عذراء والاشهر الاول \* (٤)

وورد غير هو\* لاء السبعة كثير منهم من مات في سبيل الله فهو شهيد كما رواه

مسلم وغيره وزاد أبو داود وأبي حنيفة حاتف شاه الله \* (٥)

ومنها من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل

دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد •

(١) التقريب ج ٤ ص ٦

(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٠٥

(٣) النووي على مسلم ج ١٣ ص ٦٢ •

(٤) انظر فتح الباري ج ٦ ص ٤٣ •

(٥) انظر سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ج ٧ ص ١٧٦ •

كما روى ذلك أصحاب السنن عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد " قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح (١) لفظ الترمذى .

فلحق السبعة السابقين خمسة نصار الشهداء المذكورون <sup>(١)</sup> عشر مع أن ابن حجر رحمه الله تعالى يقول انه " قد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة " (٢) وليس قصدى تتبع جميع من قيل فيه أنه يلحق بالشهداء في الاجر لانه خارج عن الموضوع وانما أردت الإشارة الى بعض ماورد لان البحث في شهداء المعركة واما كونهم شهداء فذلك لانهم يعطون ثواب الشهداء واما في الدنيا فيقتلون ويصلى عليهم قال ابن حجر بعد ذكر الاحاديث في عدد الشهداء " ويتحصل مما ذكر في هذه الاحاديث أن الشهداء قسما شهداء الدنيا وشهداء الآخرة وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلا غير مدبر مخلصا وشهيد الآخرة هو من ذكسر بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ولا تجرى عليهم احكامهم في الدنيا " (٣) يعني أنهم يقتلون ويصلى عليهم والله أعلم وصلى الله على محمد .

■ ■ ■

(١) انظر سنن الترمذى مع شرح ابن العربي المالكي ج ٦ ص ١٩٠ الطبعة الاولى سنة ١٣٥٠ المطبعة المصرية بالازهر وسنن أبي داود ج ١٣ ص ١٢١ مع

شرحه عون المعبود .

(٢) فتح البارى ج ٦ ص ٤٣ .

(٣) فتح البارى ج ٦ ص ٤٤ .

## فضل الرباط "والامر به"

الرباط في اللغة قال في تهذيب الصحاح: الرباط ما يشد به الشيء \* والرباط أيضا ملازمة ثفر العدو \* (١)

وقال ابن الاثير في نهاية غريب الحديث "الرباط في الاصل : الاقامة على جهاد العدو والحرب ورباط الخيل واعدادها. ثم نقل عن القيتبي قوله " أصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهم في ثفر كل منهما معند لصاحبه فسمى المقام في الثفور رباطا ومنه قوله " فذلكم الرباط " أي أن المواظبة على الطهارة والصلاة والمعبادة كالجهاد في سبيل الله فيكون الرباط مصدر رابطت أي لازمت وقيل الرباط هاهنا اسم لما يربط به الشيء \* أي يشد يمتني أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم \* (٢)

فظهر من هذه التعاريف أن الرباط هو ملازمة الثفور وحماية المسلمين من العدو وحراستهم لثلاثياتهم على غرة فيستحل يبيضهم وقد حث القرآن العظيم على ملازمة الثفور كما بهنت السنة المطهرة فضل الرباط ورجبت فيه وجعلته من أفضل الاعمال بل انه أصح أفضل عمل في الجهاد لانه لا ينقطع ثوابه عن صاحبه حتى يوم القيامة كما سيأتي ان شاء الله في الاحاديث التي وردت في الرباط والحث عليه .

فمن الايات التي وردت في الامر بالمرابطة قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون \* (٣)

(١) تهذيب الصحاح ج ٢ ص ٤٥٣ تحقيق عبد السلام محمد هارون وأحمد عبد الخفور

عطار طبع دار المعارف بمصر .

(٢) النهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ١٨٥ طبعة احياء الكتب العربية عيسى الباي

الحلي وشركاه .

(٣) آل عمران ٢٠٠ .

ففي هذه الآية الكريمة أمر بحبس النفوس عن الجزع والهلع ومصايرة الأعداء صبرا أكثر من صبرهم إذا اشتدت الحروب وتطاوت الأزمان على أهل الثغور فينبغي أن تقوموا مرابطين في الثغور معدين لها الخيول مترصدين للغزو ومستمدين لسه في كل لحظة بالشميين في ذلك المبلغ الأوفى أكثر من أعدائكم المترصين بكم الدوائر الذين لا يغفلون عنكم ومراقبون حركاتكم وسكناتكم فالواجب وأنتم المؤمنون المصدقون لله ورسوله أن تكونوا أحرص منهم على انتهاز غفلاتهم ومراقبة حركاتهم لأنكم ترجون من الله إحدى الحسنين أما النصر وأما الشهادة فتفوزون بالحياة الأبدية والنعيم المقيم الذي لا ينقطع .

وقد قال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية اختلف أهل التأويل في

- ١ - تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأصبروا على دينكم وصابروا الكفار وربطوهم وذكر أنه قول الحسن البصري وقتادة وابن جريج والضحاك .
- ٢ - وقال آخرون معنى ذلك : " أصبروا على دينكم وصابروا وعدى أياكم على طاعتكم لي وربطوا أعداءكم " وذكر أنه قول محمد بن كعب القرظي .
- ٣ - وقال آخرون معنى ذلك أصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوكم ، وربطوهم ونسبه إلى عمر بن الخطاب وزيد بن أسلم .
- ٤ - وقال آخرون : معنى " رابطوا " أي رابطوا على الصلوات انتظروها واحدة بعد واحدة وذكر أنه قول أبي هريرة وأبي سلمة بن عبد الرحمن وذكر أن سبب نزول الآية في ذلك .

ثم قال وأولى التأويلات بتأويل الآية قول من قال في ذلك " يا أيها الذين آمنوا " : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أصبروا على دينكم وطاعة ربكم ، وذلك أن الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيئا فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل فلذلك قلنا انه عنى بقوله أصبروا الامر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر أو نهى ، صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها ( وصابروا ) يمسني :

صابروا أعدائكم من المشركين •

وانما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لان المصروف من كلام العرب في المفاعلة ، أن تكون من فريقين أو اثنين فصاعدا ولا تكون من واحد الا قليلا في أحرف معدودة ، واذ كان ذلك كذلك ، فانما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم حتى يظفرهم الله بهم ، وعلى كلمته ويخزي أعدائهم ، ألا يكون عدوهم أصبر منهم وكذلك قولهم " وربطوا " معناه رابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك في سبيل الله " (١)

ولعل اختياره هو الصواب لانه كما قال لم يخص نوع من أنواع الصبر واما كون المراد بقوله " وربطوا " الرباط في سبيل الله فلانه كما علل له " ان ذلك هو المعنى المصروف من معاني الرباط وانما توجه الكلام الى الاغلب المصروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفي ، حتى تأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه الى الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول ، أو اجماع من أهمل التأويل " (٢)

وقد وردت الاحاديث كثيرة تفيدنا عن فضل الرباط من ذلك ما رواه البخاري عن سهيل بن سعد الساعدي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها " (٣)

وروى مسلم في صحيحه عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان " (٤)

(١) تفسير الطبري ج ٤ ص ٢٢٠ - الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ مطبعة الحلبي بمصر

(٢) الطبري ج ٤ ص ٢٢٣ •

(٣) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ج ٦ ص ٨٥ •

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٦١ •



ففى هذين الحديثين ما يشبه التمازض لان حديث سهل يقول " رباط يوم  
فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها .

وحديث سلمان رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه " قال ابن حجر  
فى التوفيق بينهما لا تمازض بينهما لان صيام شهر وقيامه خير من الدنيا وما  
عليها " (١)

وهو كذلك لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة لا تساوى شيئاً فهى زهيدة جداً  
وقد قال القرطبى رحمه الله تعالى بعد ما ساق الحديثين فى هذين الحديثين  
دليل على أن الرباط أفضل الاعمال التى يبقى ثوابها بعد الموت ، كما جاء فى  
حديث الملا بن عبد الرحمن عن أبيه عن أى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الا من صدقة جارية أو علم  
ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، وهو حديث صحيح انفرد باخراجه مسلم ، فان  
الصدقة الجارية والعلم المنتفع به والولد الصالح الذى يدعو لآبويه ينقطع بنفسه  
الصدقات وذهب العلم وموت الولد والرباط يضاعف أجره الى يوم القيامة لانه لا معنى  
للنماء الا بالمضاعفة وهى غير موقوفة على سبب فتقطع بانقطاعه ، بل هى فضل  
دائم من الله تعالى الى يوم القيامة وهذا لان أعمال البر كلها لا يتمكن منها  
الا بالسلامة من المدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين واقامة شعائر الاسلام  
وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمل من الاعمال الصالحة كما أخرج  
ذلك ابن ماجه فى سننه عن أى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال " من مات مرابطاً فى سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل ،  
وأجرى عليه رزقه وأمين من الفتن وسعته الله يوم القيامة آمناً من الفزع " (٢) .

وقد روى الترمذى وأبو داود وأحمد عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه عن  
النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " كل ميت يختم على عمله الا من مات مرابطاً

(١) فتح البارى ج ٦ ص ٨٦ .

(٢) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٢٤ كتاب الجهاد تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر " (١) لفظ الترمذى .

فهذه فوائد عظيمة تحصل لمن اشتغل بحراسة ثغور المسلمين والذب عن حوزتهم وهى أن عمله يتمى له ولا ينقطع بموته ويجرى عليه رزقه ويؤمن من الفتان وببمشة الله يوم القيامة وهو آمن من الفزع الاكبر وكذلك يموت شهيدا .

وقد ضبط أمن من الفتان بوجهين احدهما بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو والثانى أو من بضم الهمزة وبواو واما الفتان فقال القاضى رواية الاكثرين بضم الفاء جمع فاتن قال ورواية الطبرى بالفتح ورواية أبى داود فى سننه أو من من فتانى القبر " (٢)

ونقل صاحب عون المعبود عن المزرى أى فتانيه وهما منكر ونكسير وقال الملقى : يحتمل أن يكون المراد أن الملكين لا يجيئان اليه ولا يختبراناه بل يكفى موته مرابطا فى سبيل الله شاهد اعلى صحة ايمانه ويحتمل أنهما يجيئان اليه لكن لا يخسرانه ولا يحصل بسبب مجيئهما فتنة " (٣) .

ولعل هذا الصواب لان سؤال منكر ونكير قد ورد انهما يسألان كل من مات فيبقى على عمومته ما لم يأت نص مخصص لذلك ويكون المعنى بالنسبة للمرابط أنه لا تقع له فتنة عند سؤال الملكين له بل يشهته الله بسبب موته مرابطا والله أعلم وصلى الله على محمد .

(١) الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ح ٥ ص ٢٤٩ .

(٢) انظر شرح النووى على مسلم ح ١٣ ص ٦١ .

(٣) انظر عون المعبود ح ٧ ص ١٧٨ .

## الباب السادس

### سواقب ترك الجهاد

الجهاد في سبيل الله فرض فرضه الله على الامة المحمدية كما فرضه على غيرها من سائر الامم السابقة للمسلمين وجعله مصدر عزها وعنوانا على تضحيتها في سبيل الحق تبارك وتعالى فاذا قام به المسلمون نالوا السيادة والقيادة ومكثهم الله تعالى في أرضه وانقادت اليهم الدنيا وهي صاغرة ذليلة ومن تركه وابتمد عن مسئولية الله التي حملة وجب عن القيام بما فرض الله تعالى عليه من الجهاد في سبيل الله فان على الله واستعمل لخصومه وذهبت هيئته من قلوب أعدائه وبسبب بعد المرذلا وبعد السيادة والقيادة استعبادا وخضوعا لأعدائه وقد قص الله علينا قصة موسى مع بني اسرائيل عندما خافوا من مقابلة أعدائهم وجبنوا عن لقاءهم

فقال الله تعالى ° يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتقلبوا خاطرين ° قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ° قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ° قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ° قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخسى فافترق بيننا وبين القوم الفاسقين ° قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأمن على القوم الفاسقين (١) ° فتمكن الضمف والخور من نفوسهم جعلهم يقولون لا ندخلها أبدا ما داموا فيها فافصل لنا ذلك أنت يا موسى وربك لانهم لا يريدون أن يصنموا لانفسهم مجد بل يريدون أن يمشوا

على خوارق العادات لا على القوة الايمانية التي آمنت بالله ورسوله صدقت وعنده  
فهذا موسى يقول لهم ادخلوا الارض غير مباليين بما فيها لانكم بصفتكم اتباع رسول  
الله وكليمه وتشاهدون آيات صدقه ودلائل نبوته فلا يمكن أن يكذبتم من تعرفون  
أمانته وقوته ولا يلزمكم الا أن تسيروا على نهجه وخطته التي رسم لكم فيكون جواب  
الجبناء هو أنهم لا يدخلون هذه القرية حتى يخرج سكانها منها وتبقى خالية  
من المقاتلين فلما أعجزت موسى عليه السلام الحيل وعرف من هؤلاء الخوف وعدم  
الطاعة لله ورسوله سأل الله تعالى أن يفصل بينه وبين القوم الذين خرجوا عن طاعة  
الله ورسوله وتمردوا على شرعه فكان جزاؤهم أن حرمت عليهم هذه الارض المقدسة  
أربعين سنة يتهمون في الارض غير مأسوف عليهم لخروجهم عن طاعة الله ورسوله  
فكانت هذه عبرة لنا نحن المسلمين حتى نتبعد عن هذه الرذيلة التي وقع فيها  
أولئك فان ترك الجهاد في سبيل الله وعدم الاهتمام بأمور المسلمين التي قال فيها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتماطفهم  
كمثل الجسد اذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالصبر والحس " (١) .

فاذا تخلى المسلمون قادة ودعاة عن هذا الواجب الذي فرضه الله عليهم  
وانشغلوا بجمع حطام الدنيا وهالوا الى الدعة وعدم الحالة بأمتهم وما أوجبه الله  
عليهم نحو دينهم ودينتهم فان هذا ايدان بذل وهوان وخور عزيمة ولقد كان  
للمسلمين اسوة حسنة في نبيهم واصحابه وقاتلوا به نحو دينهم وأمتهم الاسلامية .

كما أن القرآن الكريم قد وضح وتوعد الذين يؤثرون حب الاباء والابنساء  
والازواج والمشيرة على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فقال تعالى " قل  
ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجسرة  
تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله  
فتمصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " (٢) .

(١) صحيح البخارى ج ٨ ص ٩ .

(٢) سورة التوبة ٢٤ .

فإذا كان حب الآباء والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة والتجارة والمساكن أولى عندكم من طاعة الله ورسوله ومن المجاهدة في سبيله فانتظروا ما يحل بكم من عذاب الله العاجل والآجل ولا يخفى ما في هذا التهديد والوعيد لمن كان حب هذه الثمانية الأنواع عنده أولى وأفضل من حب الله ورسوله والجهاد في سبيله مع أن الله هو المتفضل عليكم بهذه النعم والجهاد إنما شرع لحمايتها والذب عن الآباء والأبناء والأخوان والعشيرة والتجارة والمساكن فإن كان الآباء وسائر من ذكر من المسلمين، فإن الجهاد لاجل أن يمشوا في ظل نظام يحفظهم ويحفظ مالهم وتجارتهم ومساكنهم غير مهضومين ولا مظلومين في حقوقهم، وإذا لم يكونوا من المسلمين كان الجهاد لكف شرهم أو لإظهار عظمة الإسلام وقوته فيرفعوا في دين يستوى فيه الكبير والصغير والحر والمبد والقريب والبعيد فيدخلون في دين الله رغبة لا كرها يقول الزمخشري في هذه الآية :

” وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنمى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب جبل اليقين ، فليُنصف أوج الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والأخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا وتتجرد منها لاجله ، أم يزوى الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يرى أي طرفيه أطول ويقويه الشيطان من أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأننا وقع على أنفسه ذهاب قطيره ” (١)

وكما توعدهم في هذه الآية بهذا الوعيد الشديد فقد استنكر على المؤمنين التثاقل وعدم المبادرة إلى الجهاد في سبيل الله فقال تعالى ” يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم اتفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يمدبكم عذابا اليسا

(١) الكشاف ج ٢ ص ١٨١ .

مستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير \* (١) .

قال ابن الجوزي \* قال المفسرون : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بغزوة تبوك ، وكان في زمن عصاة وجدب وحر شديد وقد طابت الثمار عظم ذلك على  
الناس وأحبوا المقام ، فنزلت هذه الآية \* (٢)

يقول الله جل وعلا \* يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أي شيء \* أمركم اذا  
طلب منكم الخروج والجهاد في سبيل الله ملتم الى الراحة والدعة ولتروم أرضكم ومساكنكم  
والجلوس فيها أهذا رضا منكم بالدنيا الفانية عوضا من نعيم الآخرة الباقية فما هذا  
المتاع الذي أنتم فيه ورضيتم به بالنسبة الى ما في الآخرة من اللذة والنعيم المقسم  
والكرامة التي أعدّها الله تعالى لاوليائه وأهل طاعته ومحبيه الا شيء \* يعير قليلا  
لا ينبغي أن يشغل قلبه عن نعيم الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت  
ولا خطر على قلب بشر فاطلبوا هذا الفضل العظيم والكرامة الدائمة التي لا تقطع  
بزمان ولا تمنع بشئ فصارعوا الى طاعة الله ورسوله وجاهدوا أعداء الله وأعداء رسوله  
فإن لم تراعوا الى طاعة الله وطاعة رسوله وتجاهدوا أعداء الله وأعداء رسوله غلبكم  
الله عذابا عاجلا في الدنيا بترككم الخروج في سبيل الله واستبدالكم غيركم  
قوما يطمعون ولا يمحسون اذا طلب منهم النفي وجاهدوا أعداءهم ولا تضرّوا الله شيئا  
بترككم أنفسكم ومصيبتكم لانه لا حاجة به اليكم بل أنتم أهل الحاجة اليه وهو  
الغني عنكم والله تعالى قادر على اهلاككم واستبدالكم بخيركم .

وقد وردت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى وخطورته  
المظيمة التي تخبر بأن تركه فيه هلاك المسلمين وذلكم وقد عزم حتى يراجعوا  
دينهم فقد روى مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال \* من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزوات على شعبة  
من نفاق \* (٣)

(١) سورة التوبة ٣٨ ، ٣٩ .  
(٢) زاد المسير في علم التفسير ج ٣ ص ٤٣٦ طبعة المكتب الاسلامي للطباعة والنشر  
(٣) انظر سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ج ٧ ص ١٨١ والنسائي ج ٦ ص ٨  
ومسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٥٦ .

وهذا ايدان بأن الذي لا يهتم بأمر المسلمين وحمايتهم والذب عن حوزتهم ولو بحديث النفس يكون فيه خصلة من النفاق قال النووي في شرح هذا الحديث: والمراد أن من فعل هذا فقد اشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فان ترك الجهاد أحد شعب النفاق \* (١)

وروي أبو داود أيضا وابن ماجه عن أبي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من لم يفتز أو يجهز غزاه أو يخلف غزاه في أهله بخير أصابه الله بقارعة قال يزيد بن عبد ربه قبل يوم القيامة • أخرجه ابن ماجه بهسند الزيادة \* (٢)

وهذا الحديث يشير الى العقوبة المأجلة التي تصيب من لم يكن عنده همة لحماية المسلمين ومساعدتهم ومعاونتهم في دفع الضر عنهم وحماية دولتهم فقد رتب هذه المسؤولية عليه وهي إما أن يفتز بنفسه أو بجاله أو يخلف المجاهدين في أهله بخير فمن لم تكن فيه خصلة من هذه الخصال فقد أوجب هلاك نفسه واستمجال الداهية المهلكة قبل يوم القيامة فما أكثر الداهي التي أصابت المسلمين من حين مالوا الى الدعة والراحة وحب المال وكراهية الموت ورضوا بالقمود وتخلوا عن هذا الواجب العظيم الذي شرعه الله لحمايتهم وعزهم وقوتهم فذهبت معظم بلاد الاسلام فسي مشارق الارض ومفارسها وطورد أهلها وشرذوا عن أوطانهم فصاروا لقمة سائفة فسي أفواه الظلمة يطاردونهم ويحكمون فيهم كيف يريدون وسلط عليهم الذل والخوف بسبب ميلهم الى الدنيا وتخاذلهم وتركهم الجهاد في سبيل الله ولهذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه ابن عمر " قال اذا تبايعتم بالصينة وأخذتم بأذنان البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى تراجعسوا دينكم " لفظ البيهقي \* (٣)

(١) شرح مسلم ج ١٣ ص ٥٦ •

(٢) انظر سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ج ٧ ص ١٨١ و سنن ابن ماجه

ج ٢ ص ٩٢٣ •

(٣) انظر السنن الكبرى للبيهقي وذي له لابن التركمانى ج ٥ ص ٣١٦ الطبعة الاولى

مطبوعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن سنة ١٣٥٢ هـ وانظر

سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ج ٩ ص ٣٣٥ •

وقد قال البيهقي في هذا الحديث " روى " ذلك من وجهين ضعيفين عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر والمسيبة هي بيع سلمة بثمن نعيثة ثم يشترها البائع بأقل منه نقد وقال الشيخ ناصر الدين الالباني في الحكم على هذا الحديث " وهو حديث صحيح لمجموع طرقه وقد وقعت على ثلاث منها كلها عن ابن عمر رضسي الله عنه مرفوعا : "

فقال رواه أبو داود رضي في سننه وأحمد في مسنده وغيرهما \* (١)  
وقال ابن القيم في شرحه على سنن أبي داود بعد ما ساق اسناد الامام أحمد وسند أبي داود " وهذان اسنادان حسنان يشد أحدهما الآخر فأما رجال الاول - يعني رجال أحمد - فأئمة مشاهير وانما يخاف أن لا يكون الاعشى سمعة من عطاء أو أن عطاء لم يسمعه من ابن عمر .

والاسناد الثاني يبين أن للحديث أصلا محفوظا عن ابن عمر فان عطاء الخراساني ثقة مشهور وحيوة كذلك .

وأما اسحاق أبو عبد الرحمن نسيخ روى عنه أئمة النصريين مثل حيوة والليث وحي بن أيوب وغيرهم وله طريق  
ثالثة : رواه العمري بن سهل - ثم - ساق اسناده ثم قال " وهذا يبين أن للحديث أصلا وانه محفوظ . \* (٢)

وقال أحمد محمد شاكر وقد روى هذا الحديث أحمد من طريقين صحيحين \* (٣)  
ومعنى الذل في هذا الحديث " أي صفارا ومسكنة ومن أنواع الذل الخراج الذي

(١) سلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني ح ١ ص ١٥ منشورات المكتب الاسلامي

(٢) شرح ابن القيم لسنن أبي داود مع عون المصنوع ح ٩ ص ٣٤١ .

(٣) انظر مسند أحمد تحقيق وترتيب أحمد محمد شاكر ح ٢ ص ٣٣ ، ١٠٤ .



يسلمونه كل سنة لملاك الارض وسبب هذا الذل والله أعلم انهم لما تركوا الجهاد  
فص سبيل الله الذى فيه عز الاسلام واطهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه وهو  
انزال الذلة بهم فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد ان كانوا يركبون على ظهور  
الخيال التى هى أعز مكان \* (١) .

وقد قال الله تعالى فى هذا " وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم  
الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين " (٢)

فقد روى الترمذى وأبو داود والنسائى وغيرهم عن أسلم أبى عيسى أن النجيبى  
قال : " كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم مسـ  
المسلمين مثلهم أو أكثر ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد  
فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم فصاح الناس وقالوا سبحان  
الله يلقى بيديه الى التهلكة ، فقام أبو أيوب الانصارى فقال : يا أيها الناس انكم  
لتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما أعز  
الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضهم سرّاً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
ان أموالنا قد ضاعت وان الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو قسمنا فى أموالنا  
فاصلحنا ربما ضاع منها فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم  
يرد علينا ما قلنا وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان  
الله يحب المحسنين \* .

فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركها الفزوة . فما زال أبو  
أيوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم \* (٣) لفظ الترمذى .

(١) نيسل الاوطار شرح منتقى الاخبار للشروكانى ح ٥ ص ٢٣٥ .

(٢) سورة البقرة ١٩٥ .

(٣) جامع الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ح ٨ ص ٣١١ وانظر سنن أبى داود

مع شرحه عون المعبود ح ٧ ص ١٨٨ .

وقال هذا حديث حسن غريب صحيح .

وعلى هذا كان الانشغال بالحرث والزرع يمد تهلكة فيجب على المعلم أن لا  
ينشغل عن الجهاد في سبيل الله لان في الاشتغال عنه هلاك الامة المسلمة  
وذلهما كما في هذا الخبر عن أبي أيوب رض الله عنه .

■ ■ ■

## نتائج ترك الجهاد في سبيل الله

ظهر لنا من أوامر الجهاد في سبيل الله ومن واقع الامة الاسلامية بصد  
أن تركت هذا الواجب العظيم الذي أوجبه الله تعالى على المسلمين أمور منها :

١ - وقوع المسلمين في مشارق الارض ومفارسها تحت سيطرة الكفر واذلالهم  
واهانتهم في حرياتهم وكراماتهم وطردهم من أوطانهم وتحكم الكفرة في شئون  
المسلمين الدينية والدنيوية .

٢ - اشغال المسلمين عن دينهم وبعدهم عن تعاليمهم السامية .

٣ - تخلى المسلمون عن المسئولية التي حملهم الله تعالى " بقوله " كنتم خير أمة  
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (١) .

٤ - ابتعادهم عن الاهداف السامية التي بعثت الرسل لتحقيقها .

٥ - عودة المسلمين الى الجاهلية الاولى وظهور القومية والوطنية .

٦ - سقوط هبة المسلمين من قلوب أعدائهم التي قد قال فيها رسول الله صلى  
الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر " (٢) .

وكثرة الفساد الذي عم أقطار الدنيا وتسلط على المسلمين من لا  
يرقب في مؤمن الا ولاذمة وهذا بسبب حبهم للدنيا وكراهية الموت كما قال  
الرسول عليه الصلاة والسلام ما رواه أبو داود يوشك الاثم أن تداعى عليكم  
كما تداعى الاكلة الى قصمتها فقال قائل أو من قلة نحن يومئذ قال بل أنتم  
كثير ولكنكم غناه كغنا السيل ولينزعن الله من صدوركم والمهابة منكم

(١) سورة آل عمران ١١٠ .

(٢) انظر صحيح البخارى ج ٤ ص ٤٣ .

وليقذفن في قلوبكم الوهن قال قائل وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت\* (١)  
ومنى هذا أن الأكلة يدعو بعضهم بعضا لياكلوا ما في قصمتهم من الطمسام  
من غير مانع ولا منازع فيأكلون عسوا صفوا كذلك يأخذون ما في أيديكم بسلا  
تمب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس ينمهم ويحصل هذا مع كثرة المسلمين  
وقلة أنفسهم فقد شبههم بما يحمل السيل من الوح الذي لا ينفع\* فاما الزهد  
فيذهب جدا\* ولقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم وليخرجن الله من صدور عدوكم  
الخوف والرعب الذي كان في قلوبهم عندما كان المسلمون كالأسود الضاربة  
كل يخافهم ويطلب ودهم وليجملسن الضعف في قلوبكم وهو حب الدنيا وكراهية  
الموت \*

٧ - ويترتب على هذا الضعف الذي يحصل للمسلمين عندما يكونون كفتاة السبيل  
ذهاب قوتهم وعزهم الذي جمعه الله في جهادهم وبه أظهر عظمتهم وسيادتهم  
لان الاسلام كان ضاربا بيد من حديد على كل من تمول له نفسه النيل من  
الاسلام والمسلمين \*

٨ - وأيضا طمع نفس المسلمين من لا يدفع عن نفسه نفعا ولا ضرا ولا أدل على  
ذلك من حالة المسلمين اليوم الذي تسلط عليهم أذل وأرذل من نفس  
الارض كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله الحق " ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا  
الا بحبل من الله وحبل من الناس وما" وبغضب من الله وضربت عليهم المسكنة  
ذلك بأنهم كانوا يكفرون بالله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا  
يمتدون\* (٢) \*

فهذه دولة اليهود قد تمكنت من تكوين دولة في قلب البلاد الاسلامية  
وهي قبلة المسلمين الاولى الارض المقدسة وهذا بسبب بحدنا عن ديننا وتركنا

(١) سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ج ١١ ص ٤٠٤ \*

(٢) سورة آل عمران ١١٢ \*

هذا الواجب العظيم ولاننا جملنا جهادنا لغير وجه الله هدى الله  
المسلمين الى الطريق المستقيم انه ولى ذلك القادر عليه .

٩ - فتح الطريق أمام الاعداء واخلاء الثغور وعند ذلك يفعل ما يشاء ويحكم مسن  
يريد وتصبح يده مطلقه يتصرف فى أموال المسلمين ورقابهم وهم قد غلبت  
أيديهم وضرب عليها بيد من حديد ثم يجعل لنفسه السيادة والقيادة وحسب  
المشاكل التى تحدث حتى ولو بين المسلمين أنفسهم فهو الملجأ فى الملتمات  
والناس جميعهم عالة عليهم يطلبون قوته ومدده والاحتما بحماه فى مواقع الخطر  
وتركوا الاحتما بحما الله وهانوا عليه فوكلهم الى من لجأوا اليه فى الكربات  
لان الله لا صلة بينه وبين خلقه الا بطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

١٠ - ونشأ عن هذا بعد المسلمين عن دينهم والحيلولة بينهم وبين ارشاداته  
وتوجيهاته حتى لا يأخذوا منها عبرة أو فكرة تنقذ مجتمعهم مما هم فيه  
واشغالهم عنه بالمعصيات التى تحلل أخلاقهم وعاداتهم وتجعلهم كالانعام  
بل هم أضل من الانعام .

١١ - عدم التوكل على الله والاعتماد عليه والاحتما بحماه لضعف ثقتهم وبقينهم  
بالله وسوءه الذى وعد من استقام على نهجه ومارسه لهم من سبل النجاح  
فلما فعلوا هذا وكلمهم الله الى أعدائهم الذين اعتمدوا على قواهم واحتسبوا  
بحماهم ولانوا بجنابهم .

١٢ - انحلال جماعة المسلمين وتركهم التماون وشرق كلمتهم وشرق قوى الجسم الواحد  
الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد  
بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه " (١)

ومعد هذا ذهب إلى الأخوة الإسلامية وتمزيق الجسم الإسلامي فلا يجد المسلم من يأخذ بيده إلى طريق الخير ومساعدته على القيام بأمر الله وحمل عقيدته ويرعى شئونه ويخضع لغضب الله ويمرض لما يصيب الأمة الإسلامية من الهزات والمحن ويسهر لمصالح المسلمين كما يسهر إذا أوجع أحد أعضائه بدنه .

١٣- إثارة المداوة والبغضاء بين المؤمنين وتمزيق دولتهم على حد قول القائل فرق تسد حتى يتمكن من السيطرة على الجميع ولا يفلت أحد من قبضته .

١٤- ضعف المزيمة وعدم الثقة بالنفس وظهور الجبن والخور أمام الأعداء .

١٥- ظهور الفساد في الأخلاق والطبائع والانحطاط إلى مستوى البهائم فلا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً .

١٦- جهل المسلمون بأحوالهم الماضية وتاريخهم العريق الذي ساد الأمم وسكنى مجتمعاتها مثاليًا في أخلاقه ومعاملاته وعبادته وتمسكه بتعاليم دينه وسيادة الدنيا به .

١٧- رضا المسلمين بحياة يأكلون وشربون غير منافسين في فضائل الأعمال وجيل الفعّال تقسمهم الأهواء والنزعات والمذاهب الهدامة وأشغالهم بها عن دينهم وعزيمهم ومجدهم حتى يرضخوا تحت قيود الكفر وإذا أردنا أن نبحث في عواقب ترك الجهاد في سبيل الله فهى لا تحصى فالذى يجب على المسلمين دراسة دينهم وتعاليمه والاعتماد على الله لا على قوى الكفر فانهم يكونون عند الحاجة مثل الشيطان حين ساق المشركين إلى بدر وزين لهم طريقهم كما يقول الله تعالى عنه " وإن زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برى منكم انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب " (١)

فان قوى الكفر تحرض الدولة التابعة لها على القتال ثم اذا نشب القتال تركتهم فى المعركة ومقبت تنظر لمن تكون الغلبة فاذا كانت هذه حالهم فالذى يجب على المسلمين الاعتماد على الله لا على غيره ثم الاخذ بالاسباب مصدر المستطاع وحسب الطاقة لان الله لا يكلف نفسا الاوصمها ثم مكافحة قوى الشر والاستعداد لها فى كل لحظة من لحظاتهم حتى يكونوا أنفسهم ويتوكلوا على الله والله اعلم .

■ ■ ■

## فوائد الجهاد وآثاره

ان آثار الجهاد في سبيل الله تعالى أكثر من أن تحصر وفوائده وشماره لا تحصى لمواقبه حميدة وآثاره جميلة ونتائجه لأحدى الحسنين النصر على الأعداء واذلالهم وانتقاذ العالم من ظلم الظلمة أو الشهادة في سبيل الله والظفر بالجنة التي أعدت للمتقين الذين بذلوا الأنفس والأموال في سبيل الله جائدين بها غير مباليين بما ينالهم من العقبات في سبيل ذلك قال تعالى " يؤعد الله الذين آمنوا صابرين وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " (١)

فقد وعد الله تعالى أهل القيام بأوامره سبحانه وتعالى بالاستخلاف في الأرض والتمكين لدين الإسلام حتى يعبدوا ويتشرفوا فلا يبقى خافياً على أحد كما حدث للإسلام عندما قام به المسلمون ودعوا إليه وجاهدوا في سبيل الله حتى أظهره الله على جميع الأديان .

وكذلك الأمن بعد الخوف كما أن الله تكفل بالنصر لمن قاتل في سبيله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقال تعالى " ولينصرن الله ممن ينصرونه ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور " (٢)

(١) النور ٥٥ .

(٢) سورة الحج ٤٠ ، ٤١ .



فظهر لنا من آثار الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى أمور منها :

- ١ - الاستخلاف في الأرض حتى يصيروا ملوكها وقادتها وسادتها متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم لا يخافون جور جائر ولا ظلم ظالم وإنما هم حكامها وملوكها قد رخصها الله تعالى في أيديهم .
- ٢ - التمكن من الدين الإسلامي الذي رضى الله تعالى للبشر ورضى به المؤمنون وخضعوا لأحكامه وطبقوا تعاليمه في أممهم ومجتمعاتهم .
- ٣ - الأمن بعد الخوف وهذا بسبب قوتهم وعظمتهم وعد لهم الذي حققه جهادهم وأنزلهم هذه المنزلة الأمن بعد الخوف الذي كان مصعبهم قبل أن تظهر قوتهم وبقدرتهم على قتال أعدائهم .
- ٤ - التمكن من القيام بالواجبات الدينية التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين وجعلها شمائل لدينهم فمن قام بها فهو أحق أن يقوم بغيرها كالصلاة التي هي عمود الإسلام والزكاة التي هي مواصلة للفقراء والمحتاجين .
- ٥ - تكافل الأمة الإسلامية وقيامها بأوامر الله التي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا لأن المجتمع المسلم لا بد أن يكون فيه من لا يعرف أحكامه وحكمه وأسراره فجمال الله تعالى الأمر بالمعروف وهو ما كان مطابقاً لشرع الله والنهي عن المنكر لمن خالف وأمر الله لأن الناس ليسوا في مستوى واحد فلا بد من وجود من يقوم بهذه الأوامر عندما يتمكن المظلومون من دولتهم ويكون لهم وجود وكان يطبقون الأحكام والأوامر على مجتمعاتهم الذي ظهرت قوته وعزته بنضاله .
- ٦ - إعلاء كلمة الله ونشر دينه بين المباد حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

٧ - إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى لأنه لا يتقدم للقتال إلا من يرغب نسي الشهادة ومطلب الأجر والمثوبة وحتى يظهر المنافق كما حصل من المنافقين يوم أحد عندما رجعوا كما قال الله تعالى عنهم " ما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين " وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لا تبمناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون " (١) .

٨ - سيادة الإسلام والمسلمين وظهور عظمته وإهانت الكفرة وإذلالهم وحماية المسلمين وحكم الأمم وخضوعها لدين الله وتوحيده .

٩ - استتارة المسلمين بنور دينهم وأخذهم تعاليمه السامية وسياسة الدنيا به حتى يخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله سبحانه وتعالى .

١٠ - تحمل المسؤولية التي حملها الله تعالى عباده بقوله تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (٢) .

فإن هذه الخيرية تريد من المسلم أن يكون هو القائم على شؤون العباد وهو الموجه لهم بوحى الله لأنه أفضل من على الأرض وهو الذى كلفه الله بهذه الوظيفة المظنية التي هي القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيادة الدنيا بدين الله وإخضاع الأمم لحكم الله وهذا لا يحصل إلا بالجهاد في سبيل الله الذى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بعد قيام المسلمين به وقاتل أعداء الله كما كان عليه أصحاب رسول الله من هذه الوظيفة التي طبقوها قولاً وعملاً .

(١) آل عمران ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) ١١٠ .

١١- ظهور الدين الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها ونشره حتى لا يبقى قطر من أقطار العالم يخفى عليه دين الاسلام والمسلمين .

١٢- مطردة الكفر وابماده ومضايقته في أقطار الارض .

١٣- تقديم المال والنفس في سبيل الله وطلب مرضاته وعدم الحرص على الدنيا كما يروى لنا ابن المبارك في قصة رجل وولده عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر يقول: " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى بدر أراد سعد بن خيصة وأبوه أن يخرجوا جميعا فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأمرهما ان يخرج أحدهما فاستهما فخرج سهم سعد فقال أبوه : آثرني بها يا بني فقال : يا أبتانها الجنة ، لو كان غيرها آثرتك به . فخرج سعد مع النبي صلى الله عليه وسلم فقتل يوم بدر ثم قتل خيصة من العام المقبل يوم أحد " (١) .

فهذه هي التضحية التي جعلت الابن يساهم أباه في الخسوف ولا يؤثره على نفسه لحب الجهاد والشهادة في سبيل الله ثم الجنة التي أعدت للمتقين .

١٤- ابراز عدالة الاسلام ومحاسنه التي تنظم حياة الراعي والرعية وصلة القسود بالجماعة وتنظيم شئون المجتمع على أكمل صورة من صور العدالة السنتي أرادها الله سبحانه وتعالى فعندما يتمكن المؤمنون من ابراز دينهم ونشر محاسن قسودهم عدالة الاسلام فلا حكم الا لله ولا خضوع الا لله ولا عبادة الا لله ولا معاملة الا من أجل الله وتحصل مراقبته في السر والعلانية فجميع أعمالهم قد نظمها دينهم فلا يقدر أحد يتمدى عليه فسي ماله أو نفسه أو عرضه الا بالحقوق الشرعية كما قال عليه الصلاة والسلام " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصوا مني فمأههم وأموالهم

الا بحق الاسلام وحسابهم على الله " (١) .

فقد ظهر من هذا الحديث أنه لا يجوز للامام أن يتعدى على أحد من رعيته الا بحق شرعى فرضه الله عليه فى نفسه أو ماله أو عرضه فالاسلام دين ودولة عامل لجميع النواحي الدينية والخلقية والاجتماعية لا يترك مجالاً من مجالات الحياة الا حل مشاكله ونظم معاملاته وفصل خصوماته وفرق بين الجسد والهتل والحسن والقبیح .

١٥- ومن آثاره تحرير البشرية من عبادة العباد الى عبادة الله ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فان الجهاد فى سبيل الله يريد أن يخضع الكون لله وبذله ويراقبه لا يخضع لسواه ولا يراقب غيره ولا يذل الا له .  
" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " (٢) .

١٦- ومن ذلك حماية الاوطان من غزوات المعتدين وصد هجوم أعداء الدين فقد أمر الله تعالى بتحسين الثغور وحمايتها والوقوف فى وجوه الأعداء حتى لا يجدوا منفذاً ينفذوا منه ولا طريقاً يصلوا منه الى أوطان المسلمين قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " (٣) .

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام من حرصه على ثغور المسلمين وأمن أوطانهم رغب فى الرباط فى سبيل الله فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى رحمه الله عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها" (٤)

وفى صحيح مسلم عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١١ وغيره كما تقدم .  
(٢) سورة الانفال ٣٩ .  
(٣) سورة آل عمران ٢٠٠ .  
(٤) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى ج ٦ ص ٨٥ .

الذى كان يحملته وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان" (١) .

١٧- ثم يترتب على ذلك أيضا يأمن الاعداء من أوطان المسلمين فلا يطمعون نفس  
شبر من أرضهم عند ما يرون قوتهم وعظمتهم وجهادهم فى سبيل الله .

١٨- وكذلك يظهر قوة يقين المؤمن وتوكله على ربه واعتماده عليه واعتصامه  
به، لأنه صدق وعده وآمن برسله واستقام على نهجه ومارس له ربه من طرق  
النجاح التى اذا سلكها كان حقا على الله أن يأخذ بيده لان الله يقول  
" ومن يتوكل على الله فهو حسبه " (٢) .

١٩- ظهور الروح الايمانية الاخوية التى تربط بين المؤمنين وهى تظهر نفس  
تعاونهم على البر والتقوى وأخذهم بالتعاليم الاسلامية التى رباهم عليها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم كما وصفهم الله تعالى بقوله الحق محمد  
رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحما بينهم تراهم ركعا سجدا  
يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك  
مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل" (٣) . وكما وصفهم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بقوله " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك  
بين اصابعه " (٤) .

ومسألوه

فهم متعاونون على الخير ومتناصحون عن الشر متواضعون بمضهم  
لبعض قد أخذوا بطريق المقبول والتسامح لا فخر بينهم ولا عصبية جاهلية  
ولا كبرياء ولا عنجهية قد رباهم الاسلام تربية روحية دينية كما ورد عن النبى  
صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول

(١) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٣ ص ٦١ .

(٢) سورة الطلاق ٣ .

(٣) سورة الفتح ٢٩ .

(٤) صحيح البخارى ج ٨ ص ١١ .

الله صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا  
ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم  
أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره  
ثلاث مرات بحسب امرى من الشران يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم  
حرام دمه وماله وعرضه " . (١)

هذه صياغة القرآن الكريم لهذا المجتمع الذى جعله الله تعالى مثالا  
فى الاخلاق والمعاملات فهو مجتمع أسس على التقوى التى لا يرى أحد من  
أفرادها على غيره فضل بل كلهم يشد عضد الآخر حتى يكونوا كأسنان المشط  
أخوة متحابون متعاونون .

فهذه من آثار هذا المبدأ العظيم الذى جعل صلتهم أقوى من صلة  
النسب بل ربطهم برابطة الاخوة الاسلامية التى لا يبنى فيها أحد على  
أحد فى نفس أو مال أو عرض له بالأخيه وعليه ما عليه كما أنه حرم على المسلم  
أن يترك أخاه اذا طلب منه الاعانة والنصر فى دفع ظلم أو رده عنه .

٢٠- تماسك الجماعة الاسلامية وعدم تفرق أجزائها وتفكك أوصالها وإبعاد أهل  
الاغراض السيئة والنوايا الخبيثة من الدخول فى صفوفها وبث السموم نفسى  
نفوسها حتى يفرقوا بين المسلمين ويتمكنوا من التنفيس عما تغلى به  
قلوبهم من الحقد والنفور بالمؤمنين ومحاولة الإيقاع بهم متى سنحت لهم  
الفرصة كما قص الله تعالى علينا ما كان يجيش فى نفوس المنافقين من الكيد  
والمكر واظهار النفاق بإضرار الكفر. يقول الله تعالى " لقد ابتغوا الفتنة  
من قبل وقلبوا<sup>لك</sup> الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون " . (٢)

(١) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٦ ص ١٢٠ .

(٢) سورة التوبة ٤٨

يقول الرازي \* والمعنى أن هؤلاء المنافقين كانوا مواظبين على وجه الكيد والمكر واثارة الفتنة وتغيير الناس عن قبول الدين حتى جاء الحق . . . . المراد منه القرآن ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

فمثل هؤلاء الأديان لا طاقة لهم بمجتمع قد تماسك بنيانه وشأده التماون والاخلاص والشمور بالمسئولية التي يعتبر الواحد منهم نفسه هو المسئول الاول عن دينه وتعاليمه وما يحاك ضده من الأباطيل والمؤامرات والمكائد التي لا تزيد المؤمنين الا ايماننا وقوة الى قوتهم لانهم إخوة أصوا دلتهم على التقوى فلا يضرهم كيد ضعيف الارادة دني النفس والهمة .

٢١- غيظ الكفرة وكبتهم والحيلولة بينهم <sup>بين</sup> ما يريدون من النوايا السيئة ومطاردتهم والجاهم الى الايمان بالله والدخول في الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وذهب غطرستهم وكبرياتهم كما حدث لابي جهل يوم بسدر عندما صمد عبد الله بن مسعود على صدره فقال \* لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارحمى الفسنىم \* (٢) .

وكما وضع الاسلام من غطرسة وكبرياء الهرمزان ومن على شاكلته من أهل الكبرياء والعظمة التي لا تكون الا على الباطل لا على الحق فقد خضع العظماء لمظمة الاسلام واستسلموا له وأنابوا لاحكامه العادلة التي تجمل البشر سوا\* لا فضل لمعربى على عجمى الا بالتقوى \* يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شمويا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير \* (٣) .

(١) التفسير الكبير ج ١٦ ص ٨٣ ط الاولى المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٥٧ هـ  
 (٢) انظر السيرة النبوية ج ١ ص ٦٣٦ .  
 (٣) سورة الحجرات ١٣ .

٢٢- القضاء على الفساد بين الامم والشعوب وتقويم أخلاقها وفق ما شرعه الله سبحانه وتعالى وطلب منها فلا يتجرأ صاحب الفساد من كشفه للناس وأظهاره لانه يعلم أن المجتمع لا يرضى الفساد في الاخلاق والاعراض فمن أظهر أدنى ريبة كانت الامة في وجه المرئى حتى يموت الى صوابه فان أبى أخذوا على يده وبعد فهذا طرف من آثار الجهاد في سبيل الله الممنومة والحسنة فان آثاره قل من يستطيع حصرها أو عدّها؛ لانها قد ملئ بها القرآن العظيم وسنة النبى الكريم فوائده جمة وآثاره كثيرة قل أن يحيط بها علم عالم أو حصيها قلم كاتب وحسبنا من ذلك الاشارة والتنبية الى بعض هذه الآثار التى يعرف المسلم من خلالها مدى أثر الجهاد الاسلامى فى حياة الامة الاسلامية وتاريخها المجدد وما فى هذا المبدأ من الحكم الدينية والدنيوية حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم وما فيه من الفوائد المظيمة التى لا توجد فى غيره من الاديان والمبادئ وان الله لم يفرض على المسلمين الجهاد عبثا بل فرضه كما صرح بذلك بقوله: " اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بخير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " (١)

فقد علم أن الله تعالى جعل الجهاد حتى يذكر اسم الله فى أرضه وفى مواضع العبادة وان الله يدفع الناس بعضهم ببعض حتى يزول الظلم والظفیان ولولا ذلك لفضى على مواضع العبادة فى الارض يقول القرطبي- رحمه الله تعالى: " أى ولولا ما شرعه الله تعالى للانبيا والمؤمنين من قتال الاعداء ، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بنته أرباب الديانات من مواضع العبادة ، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة فالجهاد أمر متقدم فى الامم وهه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات فكأنه قال اذن فى القتال فليقاتل المؤمنون " (٢) .

والله أعلم صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٧٠ .



## الباب السابع

### فى عوامل النصر فى الاسلام

#### مقدمة

عوامل النصر فى الاسلام لها أسس تتركز عليها وتقوم بوجودها نمتى وجدت هذه العناصر والاسباب أنزل الله تعالى نصره على عباده المؤمنين ورفع شأنهم وأعلى مكانهم وأخذ بأيديهم وايدهم على عدوه وعدوهم ما هى هذه العوامل الاسلاميـة التى رتب الله تعالى عليها النصر وجعل وجودها يوجب نصره سبحانه وتعالى ان هذه العوامل التى أوجب الله تعالى النصر لاهلها هى اقامة دولة الله فى الارض واطهار سلطانه وعظمته وان لا يصبد غيره ولا يطاع سواه وتكون القوانين التشريعية هسى قوانينه وشريعته هى الحاكمة التى تحكم الناس وتعامل بها وتقام حدوده فى الارض ويظهر العدل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وتكون الحاكمة لله وحده لا ينازعه قانون بشرى ولا يخالطه حكم عرفى ولهذا يقول الله فى هذا المبنى " ولينصروا الله من ينصره ان الللقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور " (١) .

هذه الاية تشير الى ما ينبى أن يكون عليه من مكنه الله تعالى من الحكم والسلطان وانه يجب أن يكون جنديا لله يظهر العدل والانصاف ويدعوا الى الله ينشر دينه واطهار محاسنه وجماله فى عقائده وأخلاقه وآدابه وتماليه العالبيـة الراقية فان هذا يظهر من قوى المسلمين الممنوية لانهم اذا عرفوا دينهم وما يحتوى عليه من المحاسن التى تفوق الحد والاحصاء ازدادوا ايمانا وبقينا واندفعت عنهم شبه الملحدين وعظم تمسكهم بدينهم القويم فهذه الاية المظيمة تصور الحالة التى

ينبغي أن تكون بعد نصر الله والتمكين في الأرض لهذا عددت المزايا التي يجب أن تكون في جند الله المنتصرين وهي اقام الصلاة فيها عسى الله سبحانه وتعالى وثقوا صلتهم به . واتجهوا اليه طائعين خاضعين مستسلمين غير متكبرين ولا معاندين لاوامر الله سبحانه وتعالى .

ثم أشارت الى مواساة الفقراء والمحتاجين فأدوا حق المال وانتصروا على شح النفس وتطهروا من الحرص وطلبوا وسوسة الشيطان وسدوا خلة الجماعة وكفلوا الضمفاء والمهاوج وحققوا لها صفسة المدالة الروحية التي تقوم على الاخلاق وتميش في العدل والانصاف ثم هي مع هذا تأمر بالمعروف فتدعوا الى الخير والصلاح وما فيه خير البشرية من العدل والانصاف ونصر المظلوم والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه وتقاوم كل رذيلة ومنكر وفحش فعمد ذلك يشمر المسلم أنه يعيش في وسط مجتمع كالجسم الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وعرف أنه فرد ومسئول عن هذه الرعاية وأنه واحد من حماة هذا المجتمع البشري الذي يصور حالة اجتماعية تحوطها المدالة والانصاف فيبذل نفسه لله وفي سبيل حفظ هذا الصنف الذين عرفوا الحق وعملوا به فانما أصبحت دولة الاسلام بهذه الصفة صار ما تريده هو نشر العدل وكانوا جنود الله مخلصين له الدين عند ذلك يكفل الله تعالى لهم النصر المبين وحقق أمنهم وبيد لهم بعد خوفهم أمنا يقول الله سبحانه وتعالى " وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضا لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " (١) .

وهذه الاية الكريمة فيها وعد وعدة الله عباده المؤمنين الصادقين الذين أخلصوا دينهم لله وعبدوه وحده لا شريك له وعملوا الاعمال الصالحة الطاهرة الزكية التي فرضها الله عليهم أو سنها رسوله صلى الله عليه وسلم فوعدهم الخلافة في الأرض والامن بعد الخوف ثم قال يعبدونني لا يشركون بي شيئا " يقول سيد قطب في هذه

الاية الكريمة " ان حقيقة الاستخلاف في الارض ليست مجرد الملك والقهرة والغلبة والحكم : انما هي هذا كله على شرط استخدامه في الاصلاح والتعمير والبنناء وتحقيق المنهج الذى رسمه الله للبشرية كي تسير عليه وتصل عن طريقه الى مستوى الكمال المقدر لها في الارض اللائق بخليقه اكرمها الله " ان الاستخلاف في الارض قدره على العمارة والاصلاح لا على الهدم والافساد وقدره على تحقيق المنسادل والطمانية لا على الظلم والقهر وقدره على الارتفاع بالنفس البشرية والنظمام البشرى لا على الانحدار بالفرد والجماعة الى مدارج الحيوان وهذا الاستخلاف هو الذى وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهدهم أن يستخلفهم كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم ليحققوا النهج الذى اراده اللينيين لئنه ويثيبقروا المدل الذى اراده الله ويسيروا بالبشرية خطوات فى طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله " (١) .

فاذا كانت الامة أو الدولة تسمى الى تحقيق المدل ونشر الفضيلة وتحارب من أجلها ومن أجل الامن والطمانية فهى جند من جنود الله تقاتل لاعلاء كلمة الله وحق على الله أن ينصر جنده متى كانوا جنودا له يسمون لنشر دينه واعلاء كلمته لهذا يقول الله سبحانه وتعالى : " ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانفقنا من الذين أجمروا وكان حقا علينا نصر المؤمنين " (٢) .

فقد أوجب الله تعالى على نفسه نصر عباده المؤمنين بشروطه التى ذكرها فى سورة الحج وكذلك فى سورة النور فى آية الحج قال الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمصروف ونهوا عن المنكر .

(١) انظر فى ظلال القرآن ح ٤ ص ٢٥٢٩ طبعة دار الشروق .

(٢) الروم ٤٧ .

وقال في آية النور وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الاستخلاف  
في الأرض والامن بعد الخوف •

فهذه الاسم التي يقوم عليها نصر الله لعباده المؤمنين الايمان والعمل  
الصالح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسفقتكم على مقومات النصير فيما  
بعد ان شاء الله وهي كثيرة ونعد لها مسائل نبحت كل مسألة على  
حدة والله اعلم •



## المبحث الأول

### اعداد المقاتلين

ان اعداد جيل مثالي في عقيدته وايمانه وقوته اخلاقه واخلاصه هو الركيزة التي تبنى عليها دول وتقوم عليها فان وجود طائفة مؤمنة بالله علمه بشرائعه تسمى لانقاذ البشرية من ظلمات الشرك والجهل الى نور الايمان ومن لجة البحر الى شاطئ السلامة والامان ومن الخمول والكمل الى الجهد والعمل ومن الجهل الى العلم بالله هو وحدانته هو الاصل الذي تبنى عليه دول وتحيى عليه شموخ " قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين " (١) .

وهذا لان طريق الرسول واتباعه هو الدعوة الى الله على يقين وعلم وحق وذلك أن المجاهد في سبيل الله الذي قد علم أنه لم يحمل السيف ويبدل النفس والنفس في سبيل ابلاغ دين الله الى عباد الله انما هو داع الى الله والى دينه فلم يأخذ السيف ويتحمل المخاطر الا لعلنه أن هذه سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وسنة من اتبعه وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة طويلة من الزمن بعد ما بعثه الله تعالى وهو يعد المقاتل المخلص المؤمن الذي سوف يقوم بهذه الوظيفة العظيمة ولهذا لما خطب أصحابه وأخذ رأيهم في خوض معركة بدر الكبرى ظهرت آثار هذه التربية العظيمة " فسمند ما أتاه خبر قريش واستشار الناس واخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله أض لما أراك الله فنحن معك والله

لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : " اذهب أنت وريك فقاتلا انا ههنا قاعدون " ولكن اذهب أنت وريك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بيمتك بالحق لو سرت بنا الى بئر السبع لجالدنا معك من دونه حتى تبخلنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له ربه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالمعقبة قالوا : يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نعمك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة ممن عدوه وان ليس عليهم أن يصير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل قال قد أمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بيمتك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه (١) .

فهذه من ثمرات واعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الجنود المقاتلة التي ضحت بالاموال والانفس في سبيل الله تعالى وقد عبر عن معرفتهم باللحمة وايمانهم بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الزعيم العظيم سعد بن معاذ رضى الله عنه بقوله أمننا بك وصدقناك وعرفنا انما جئت به هو الحق فايما المقاتلين الايمان الصادق هو الذي يجعلهم يبذلون الاموال والانفس في سبيل الله طلبا لمرضاته واعلاء لكلمته ولا يخفى ما حدث من الاسى والندم لمن فاتته هذه الفرقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قد أعدوا أنفسهم وعاهدوا الله على الصدق والاخلاص في دينهم ونصرة يقول الله تعالى عنهم " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا

(١) الصيرة النبوية ج ١ ص ٦١٤ ، ٦١٥

تبدلاً (١)

فقد روى البخارى وغيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه " قال غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه وأبوا اليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة رب النضر انى أجد ربحها من دون أحد قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضاً وثمانين ضربه بالسيف أو طمئة برمح أو رميسة بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا اخته بينانه قال أنس : كما ترى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية ) (٢)

فمثل هؤلاء نصر الله تعالى دينه وأعلا كلمته فاذا اعتنى قادة المسلمين ومفكرهم بأنفسهم وبدنهم على أساليب القتال وفسروا في نفوسهم تعاليم دينهم السامية سميت نفوسهم وبذلوا كل ما فيهم وطاقاتهم لحماية دينهم وأمتهم كما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجههم الوجهة السليمة وفسر عقائد الاسلام في نفوسهم حتى تمكنت من قلوبهم فظهر أثرها في قيادة العالم فالواجب على المسلمين أن ينهجوا نهجه ويسلكوا سبيله حتى يستحقوا نصر الله ومعونته ودفاعه عنهم " ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور " (٣)

فاذا علم الجندى المسلم أن الله هو الذى يدافع عنه ويحس عقيدته لم يتسرب الضرور الى نفسه اذا أخذ الله تعالى بيده ونصره على عدوه ولم تأخذه نشوة النصر وعزته ثم يأخذ المصعب بيده مأخذه ولهذا لما كان يوم بدر ونصر الله تعالى المؤمنين القليل الاذلة على الكثرة الاعزة أهل القوة والمنمة ما ترك الله تعالى

(١) سورة الاحزاب ٢٣ .

(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٦ .

(٣) سورة الحج ٢٨ .

لنشوة الانتصار في نفوسهم سبيلا بل قال الله تعالى لهم حتى يعلموا أن هذا من عند الله وليس لقوتهم ولا لشجاعتهم ولا لصبرهم وجلدهم " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله شديد العقاب " (١) .

وأيا لا يترك اليأس والقنوط من روح الله يتمكن من نفوس المؤمنين إذا ما أصيبوا وحصل لهم هزيمة أو ضعف من مقاومة أعدائهم كما حصل يوم أحد فقد رفع الله من معنوياتهم وأخبرهم بأنه لا بد من نصره لعباده المؤمنين وإنما جعل هذا القتال حتى يعلم المخلص في دينه من المناق المراتب يقول الله تعالى " ولا تهنسوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " ان يمسكم فرج فقد مس القوم فرج مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين " (٢) .

هذه تربية القرآن الكريم لجنود الله المقاتلين وهذه صفة أولياء الله ينصرون دينه ويطلبون أعلاء كلمته يقول الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي " ومن أعظم أصول الجهاد والتربية الاعتناء والاهتمام التام بشبان الأمة فإنهم محل رجائهم وموضع أملها ومادة قوتها وهزتها وبصلاح تربيتهم تصلح الأحوال كلها فعليهم أن يمتنوا بتربيتهم التربية المالية وان يبتو فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة والحزم والعزم وجميع مبادئ الرجولة وتدريهم على المصائب والمشاق والصبر على الأمور الناقمة والثبات عليها وتحذيرهم من الجبن والخور والميروراء المادة والطمع والانطلاق في المجون والهزل والدعة فان ذلك مدعاة للتأخر العظيم وشباب الحاضر هم رجال المستقبل وسهم تمقده الامال وتدرك الامور المهمة فاجتهدوا أن يكونوا في خصال الخير والفضائل المثل الاعلى وأوصاف الحزم والمروءة والكمال القدوة المثلى " (٣) .

(١) سورة الانفال ١٧

(٢) سورة آل عمران ١٣٩ ، ١٤٠

(٣) رسالة الجهاد في سبيل الله ص ٢٥



فمتى اعتنى بشباب المسلمين وربوا على أحسن الاخلاق واكرم العادات ووجهوا  
وجهة سليمة وشفل فراغهم وطاقتهم التي يحاولون أن يشغلوها بأى شىء من أنواع  
الملهيات أو غيرها من الامور حصل للامة قوة عظيمة واندفع عنهم الكسل والخمول  
وتقدموا فى صفوف المقاتلين وهرفوا الواجب عليهم وعلى أمتهم ثم أخذوا بهم الى طريق  
السلامة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريهم ويعلمهم فكان الشباب نفسى  
مقدمة المقاتلين والشباب أسرع اجابة وألين عريكة وأقرب الى الطاعة والتنفيذ من  
الشيخ الذين تخمرت العادات فى نفوسهم فيصعب ازالتها من قلوبهم هذا ما يجب  
أن يعامل به جنود المسلمين العلم والمعرفة بأمر دينهم وحقوق مجتمعهم  
والله الموفق .

## المبحث الثاني

### ومن أسباب النصر الاخوة

من أسباب النصر المحبة الايمانية والاخوة الاسلامية المبنية على أساس المقيدة الاسلامية التي روي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله " لا تحاسدوا ولا تتاجسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب أمرى من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " (١).

على مثل هذه الاسس أسس نصر الله سبحانه وتعالى لاوليائه على الامور التي تجعل المسلم يشعر بصلته بالمسلم وهي الاخوة الاسلامية التي نص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تحريم التمدي على أخيه المسلم وترك اعانته اذا استعان به في دفع ظلم ظالم اذا امكته ذلك كما حرم على المسلم احتقار أخيه المسلم واستنصاره وأيضا عالج ما يثير المداوة والبغضا بين المسلمين جميعا حتى يكونوا كما قال الله تعالى عنهم " انما المؤمنون أخوة " (٢).

فرابطة الاسلام هي الصلة الوثيقة بين الاخوة المؤمنين ولا شك في قوة الصلة الايمانية الاخوية الروحية التي بنيت على أساس التقوى وقد عرف ما كان عليه سلف هذه الامة من تقديم الاخوة الايمانية على أخوة القرابة والنسب فقد قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يوم بدر في الاسرى عندما استشاره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وأبا بكر فقال عمر رضى الله عنه عندما قال له الرسول ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت " لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكنى أرى أن

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٦ ص ١٢٠

(٢) الحجرات ١٠

تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه <sup>وعلى</sup> وتمكن من فلان \* نسيما  
لممر \* فأضرب عنقه فان هولا \* أئمة الكفر وضاد يدها \* (١)

وقد نفى القرآن الكرم وجود الايمان بالله واليوم الآخر مع مادة المماندين للشرع  
المضادين له يقول الله تعالى \* لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من  
حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب نفي  
قلوبهم الايمان وأيدهم بروج منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين  
فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب <sup>الصلح</sup> الا أن حزب الله هم المفلحون \* (٢)

قيل نزلت هذه الآية في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح قتل أباه يوم بدر  
ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين جعل الامر شورى بعده في أولئك  
الستة رضى الله عنهم لو كان أبو عبيدة حيا.. لا ستخلفته وقوله \* أو أبناءهم \* نفي  
الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن وقوله \* أو إخوانهم \* في مصعب بن عمير  
قتل أخاه يوم بدر وعبيد بن عمير \* أو عشيرتهم \* في عمر قتل قريبا له يومئذ وأيضا نفي  
حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ \* (٣)

فهذه أوصاف الاخوة الايمانية منابذة ومباغضة من حاد الله وضاده في حكمه ولو  
كان أقرب قريب ثم تثبت وتقرير الايمان في قلوبهم وكذلك تقويتهم ونصرهم بروج منه  
يعنى بنصر منه \*

ثم بعد ذلك يدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار مع البقاء الدائم ورضوان  
الله وهذا من فضل <sup>الله</sup> على هؤلاء الذين باعوا الدنيا بما فيها وآثروا طاعة الله ومرضاته  
على رضى الاب والابن والاخوة والمشيئة يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في هذا  
\* وفي قوله تعالى \* رضى الله عنهم ورضوا عنه \* سر بديع وهو أنه لما سخطوا على

(١) انظر صحيح مسلم مع شرح النووي ح ١٢ ص ٨٦

(٢) سورة المجادلة ٢٢

(٣) انظر تفسير ابن كثير ح ٤ ص ٣٢٩ والقرطبي في تفسيره ح ١٧ ص ٣٠٧

## الأقارب

القرائب والمشائير في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وارضاهم عنه بما اعطاهم من النعيم المقيم والغور العظيم والفضل العميم \* (١)

ثم ان الله ضمهم الى جنده وأهل كرامته وطاعته فحزب الله هم الفائزون بالصمادة والنصر في الدنيا والاخرة .

كما أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال من حديث منه هذا فليس بينه وبين ربه من صله يقول تبارك وتعالى \* لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة وحذركم الله نفسه والى الله المصير \* (٢)

وقد كثرت الايات الواردة في نهى المؤمنين عن موالاته المشركين وجعلهم أصفيا من دون المؤمنين وقد هددهم على اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين بقوله \* ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء \* أي فقد برى من الله \* الا أن تتقوا منهم تقاة \* يعني الا من خاف منهم في بعض الاوقات أو في بعض البلدان لعدم قدرته على اظهار العداوة والبغضاء لهم فانه يدارهم ولا يظهر لهم ما يضره \* ثم قال في زيادة الوعيد الشديد لمن خالف أمره واتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين \* وحذركم الله نفسه والى الله المصير \* .

ومعنى هذا وحذركم الله تعالى بطشه ونقمته وسطوته وعذابه الاليم لمن والى أعداءه ولجأ الى أولياءه فان المرجع والمنقلب الى الله فيحاسب المباد على أعمالهم الحسنة والقيحة ثم كل يجد بما عمل من خير أو شر فالواجب على المؤمنين الا يوالوا الكافرين ويتركوا موالاته المؤمنين لان المؤمن ولي المؤمنين والكافر ولي الكافر وعد المؤمن كما يقول الله تعالى في ولاية المؤمنين \* والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم \* (٣)

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٩

(٢) سورة آل عمران ٢٨

(٣) سورة التوبة ٧١

فالمؤمنون بعضهم يلى بعضاً بالنصر والمحبة والاخوة والمودة ومع هذا فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمعروف ما كان موافقا لشرع الله والمنكر ما كان مخالفا لامر الله وشرع صريح أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فهم يقومون بما فرضه الله عليهم من الصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله ثم عقب هذا بأن الله سوف يرحمهم ويدخلهم الجنة وكما أن الله سبحانه وتعالى قد وصفهم بهذا الوصف فقد وصفهم بالشدة على الكفار مع رحمة بعضهم بعضا فقال تعالى " محمد رسول الله والذين هم أشداء على الكفار رحما بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوا تاسيما هم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة والانجيل كسرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار " (١)

هذه صفات أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من الشدة والغلظة والميوس فى وجوه الكفرة والبشاشة والرحمة والرأفة بالمؤمنين ومع هذا فهم لا ينظر اليهم الناظر الا وهم فى عبادة الله من الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والخضوع التى تشير الى عدم التكبر والتعاطف ويريدون من هذه العبادة والمحبة والتعاطف والرحمة فضلا من الله ورضوانا وكما أن هذه صفاتهم فهم كذلك فى الكتب السابقة للقرآن الكريم من التوراة والانجيل ومع هذا المتواضع والمباداة المتواصلة مثل الزرع حين تخرج أفراخه وتزده قوة وينظرا حمنا اذا نظر اليه الزارع أعجبه منظره بمكس ما يحدث فى نفوس الحساد فانهم حينما يرون محمودهم فى حالة حسنة من القوة والرزق الجميل والمنظر الحسن فان نفوس تكاد تخرج من أبدانهم وكاد الحسد يفطر أكبادهم فيزيدهم هذا المنظر غيظا وحنقا وتضييق بهم الارض بما رحبت اذا رأوا هذا المنظر الحسن والقوة والمنمة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليفيظ بهم الكفار " ولما كان الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ينمون هذا الزرع ويسقونه ويحافظون على تمهده كل يوم فانما يعد وشهم لآظهار الحقيق والمدل وطرد الظلم والباطل فواجب على هؤلاء أن يكونوا على أكمل وجه حتى ينصروا الله ويجاهدوا فى سبيله لا يخانون لومة لائم كما أنه حذرهم عن التأخر بالقيام بالواجب فقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف

يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه انزلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (١).

فى هذه الآية وعيد شديد لمن تخلى عن نصرته دينه واقامة شريعته بأنه يستبدل به من هو أقدر على القيام بها منه وأشد قوة ومحبة لله ولرسوله ويسمى لنشر دينه ومع هذا فهم " أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " هذه أوصاف القوم الذين ينصر الله تعالى بهم دينه وعلى بهم كلمته وينشر عدله فقد وصفهم الله تعالى بأنهم يحبون الله تعالى كما أنه يحبهم مع ذلهم وتواضعهم لآخوانهم المؤمنين الذين شاركوهم فى المقيدة والاتجاه والفاية والمقصد والهدف التى بنيت على هذه المحبة والاخوة الايمانية فلم يكن هنالك محلا للتماظم والتجبر والاستعلاء فيما بينهم ولكنهم " أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " مع أنه لا يكون فى الذل للمؤمنين ذللة ولا هوانا انما هى الرحمة والحب والوفاء والبر والاخلاص والتحمل والمغفرة والتسامح والاخوة والمودة التى تزيل العقبات وترفع الحواجز وتمنع ثورة جاهلية للنفس أو المشيرة وتجعلهم كما وصفهم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله " ترى المؤمنين فى رحمتهم وتوادهم وتماظفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحصي " (٢).

هكذا كانت أوصاف المسلمين الذين تكفل الله بنصرهم وحمايتهم وتمكينهم فى الارض الذلة على المؤمنين والرحمة والقوة والشدة على أعداء الله وأعداء البشرية لانهم لا يرون لقوة الكفرة ولو كثرت وعظمت أثرا كما أن كبرياء الكفرة وعظمتهم تصغر فى عيونهم ويستملون عليهم غير مهالين لهم بقوة أو عظمة فهم كالجبال الشامخ لا يباليون بهم لان عزتهم مستمدة من الله سبحانه وتعالى وهم الاعلون لا يخافون ولا يباليون بمن حاد الله ورسوله ولو كان أعظم عظيم فى الارض فهو عندهم صغير لانهم حزب الله وقد كتب الله تعالى بأن حزبه هو الغالب مهما عظمت القوى وكثرت " أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون " (٣).

(١) سورة المائدة ٥٤

(٢) صحيح البخارى ج ٨ ص ٩ وصحيح مسلم ج ١٦ ص ١٤٠

(٣) سورة المجادلة ٢٢

فهم جنود الله في الميدان يقاتلون من أمرهم الله تعالى بقتاله لا لحمية ولا  
عصبية غير مباليين بالمقبات والموائق التي تمرقل سيرهم في دعوتهم فهم  
متعاونون متكاتفون يشد بعضهم أزر بعض كما قال عليه الصلاة والسلام " المؤمن  
للمؤمن من كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أوصاله " (١) .

فقد مثلهم الرسول وشبههم بالبناة المتماصك المتعاون الذي يكون مسكنا  
ومأوى يأوى إليه أهله الذين بنوه وتعاونوا على بناءه فتعاون المؤمنون مثل البناة  
الذي يكون مسكنا وحائلا يحول دون من ورائه فاذا تعاونوا كونوا مجتمعا قويا  
لا ينال منه واذ غرقوا وتركوا التعاون والاخذ بتعاليم دينهم أصبحوا مثل اللبن  
المنشور الذي لا فائدة فيه حتى يبني ويماسك بينه ولهذا يقول الله تعالى فسى  
هذا " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تعملون كبر مقتا عند الله أن تقولوا  
مالا تعملون فان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص " (٢)  
فقد مثلهم في صفوة القتال بالبنيان المرصوص كما تقدم في الحديث والله أعلم وصلى  
الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

\*\*\*

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١١ صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٦ ص ١٣٩  
(٢) سورة الصف ٢ - ٤

### المبحث الثالث

#### ومن أسباب النصر اعداد المسعدة

لقد وجه القرآن الكريم العناية الى السلاح ودعا المسلمين الى الاهتمام به والمحافظة عليه والمعمل على توفيره ليكون رهبة في صدور أعداء الله أو خوفاً في قلوبهم فقال تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون " (١).

فقد أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة باعداد وتهيئة ما في وسع المسلمين من القوة مهما كانت اشكالها وصفاتها لان القوة قد وردت في الآية تكسره فشملت القوس والصاروخ والقنبلة الذرية وكل قوة من يوم نزلت حتى يرث الله الارض ومن عليها وتشمل المدافع والطائرة المقاتلة والدبابة والخواصة وكل القوى دقيقتها وجليلها صغيرها وكبيرها وهذه عناية عظيمة عنى القرآن بها حيث أوجب على المسلمين اعداد المدة والقوة الحربية بكل اشكالها وألوانها حتى يكونوا على استعداد لخوض الممارك وفتح البلاد ونشر دعوة الله في أرجاء المعمورة ولهذا لما عمل المسلمون بهذه الآية وأخذوا بتعاليم الاسلام وطبقوها قولاً وعملاً فتح اللعتمالى عليهم الفتح ونشروا الاسلام لواء سلطته على الارض وقبض على ناصية الاقطار والامصار وزحزح الظلم والاستعباد وعاش أهله ازماناً متتالية وهم سادة الامم وقادة الشعوب وزمام القبوة بأيديهم وكذلك المنز والمجد لا يخضعون لقوة ولا يخافون <sup>طوبه</sup> صطوة وقد نصر النسبى صلى الله عليه وسلم القوة في هذه الآية بأن القوة هي الرسمى كما روى ذلك مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن عقبه بن عامر أنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله



عليه وسلم وهو على المنبر يقول " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة " الا ان القوة الرمي قالها ثلاث مرات " (١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما القوة هاهنا السلاح والقسي " (٢) وكون الرمي هو القوة لان جميع القوى تمتد عليه واستعمال جميع الاسلحة الحد يشتهر يعتمد على الرمي واصابة الهدف ولكن ينبغي أن يعد المسلمون عددهم بأنفسهم ويفتحوا لها المصانع الحربية ويفتنون فيها أكثر من غيرهم ويعرفوها معرفة تفوق معرفة غيرهم لها أما اذا بقى المسلمون عالة في آلتهم الحربية على غيرهم وهم أعداؤهم فان هذا أثم وقموا فيه وعدم اهتمام المسلمين ومصالحهم وغير مبالاة بأحوال المسلمين الذين طاردهم الاستعمار وقتلهم وأخرجهم من ديارهم ومع هذا فان المدد اذا عرف ما عندنا من القوة وأصبحت مكشوفة لديه لم تمتد عنده هيبة من المسلمين ورهبة لانه أصبح هو رب الدار الذي يعلم ما فيه والله قد جعل النهاية من اعداد القوة هو ارباب المدد فالله كما لا يأتيها قوة الا عن طريقه فانه يتحكم في رقابنا ويتحكم في أموالنا ونصير تحت قهره وتصرفه وقد حث القرآن الكريم على الاعداد وذكر أن رهبة المؤمنين في قلوب الكافرين أعظم عليهم من رهبة الله يقول تعالى " لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون " (٣) .

فقد أكدت الايات بأنهم لا يخافون من الله وانما يخافون من القوى القسي تواجههم وتتقف في نحورهم فاذا ترك ذلك فان هذا سبب في ذل المسلمين وخوفهم وطردهم من أرضهم وديارهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على تعلم الرمي وركوب الخيل فقال فيما رواه أصحاب السنن وأحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الله عز وجل

---

(١) انظر صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٦٤ وأبا داود مع عون المعبود ج ٧ ص ١٩١ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٧ ومسند أحمد الفتح الريانسي ترتيب المسند ج ١٤ ص ١٢٩ .  
(٢) انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٣٥ .  
(٣) سورة الحشر ١٣ .

يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعة يحتسب في صنته الخير والرامسى به ونبله وارموا واركبوا وان ترموا أحب الى من أن تركبوا ليس من اللهم الا ثلاث تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه ونبله ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبته عنه فانها نعمة تركها أو قال كفرها \* (١) لفظ أبي داود .

ومن تشجعه عليه الصلاة والسلام على الرمي وحته عليه ما رواه الامام البخارى رحمه الله عن سلمه بن الاكوع رضى الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتظرون ، فقال : " ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان قال فأمنك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون ؟ قالوا كيف نرى وأنت معهم قال النبي صلى الله عليه وسلم : ارموا فأنا معكم كلكم \* (٢)

وقال عليه الصلاة والسلام لعبد بن أبى وقاص \* ارم محمد فداك أبى وأبى \* (٣) .

وروى مسلم رحمه الله تعالى عن عقبه بن عامر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يمجز أحدكم أن يلهو باسمه \* (٤) .

كما روى أيضا عنه أن فقيما اللخى قال العقبة بن عامر تختلف بين هذين الفرضين وأنت كبير يشق عليك قال عقبه لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال الحارث فقلت لابن شماسه وما ذلك قال انه قال من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى \* (٥) .

- 
- (١) سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ج ٢ ص ١٨٩ والترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ج ٥ ص ٢٦٥ والنصائى ج ٦ ص ٢٢٣ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٧ والفتح الربانى ترتيب مسند أحمد ج ١٤ ص ١٢٩ .
- (٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ٣١
- (٣) صحيح البخارى ج ٤ ص ٣١
- (٤) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٣ ص ٦٤
- (٥) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٣ ص ٦٥

قال النووي في شرحه " وفيه وفي الاحاديث فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء  
بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال  
السلاح وكذا المسابقة على الخيل وغيرها . . .

والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدريب والتحدث فيه ورياضة الاعضاء  
بذلك . (١) .

يقول القرطبي رحمه الله تعالى " فان قيل أن قوله تعالى " واعدوا لهم  
ما استطعتم من قوة كان يكفي فلم خص الرمي والخيل بالذكر ؟ قيل له أن الخيل لما  
كانت أصل الحرب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها ، وهي أقوى القوة وأشد  
المدد وحصون الفرسان وسها يجال في الميدان ، خصها بالذكر تشريفاً وأقسم  
بغبارها تكريماً فقال " والماديات ضحاً " الآية ولما كانت السهام من أنجع  
ما يتماطى في الحرب والنكاية في المدد وأقربها تناولاً للارواح خصها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بالذكر والتبنيح عليها " (٢)

ومن مجموع هذه الاحاديث يظهر لنا مدى حرص الرسول عليه الصلاة والسلام  
على استخدام وسائل القتال مهما اختلفت أنواعها وأشكالها في عصره وعمله بكل ما  
جد واستحدث في عهده وكذلك الخلفاء من بعده فانهم عندما وصلوا الى سواحل  
البحار عملوا على انشاء الاساطيل التي تقاتل في البحر كما فعل معاوية بن أبي  
سفيان في فتح جزيرة قبرص ورودس وكما أنشأوا اسطولا في مصر وقد بذلوا كل  
ما في وسعهم من اعداد المدد وتطويرها حسب الظروف والملابسات فواجب على  
المسلمين الاخذ بتعاليم دينهم واعداد عدتهم بأنفسهم حتى يتمكنوا من انقاذ  
الامة المسلمة الحائرة التي وقعت في قبضة عدوها جمع كلمة المسلمين على الحق  
انه على ما يشاء قدير .

هذا ومن حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعداد المدد ، وتوفيرها

(١) شرح النووي على مسلم ج ١٣ ص ٦٤

(٢) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٣٧ .

ذكر فضائل اعداد المدة والعمل بها في سبيل الله :

### فضل اعداد المدة في سبيل الله

فقد ذكر في الحديث الذي رواه أهل السنن وأحمد كما تقدم " ان الله يدخل بالمسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صائمة واعمد به والرامي به وقد شرط في الصانع أن يكون محتسبا في صنعه الخير وكذلك الممد والرامي لا بد من الاخلاص والاحتساب وكل هذا يراد منه اخلاص العمل والنية والمراد في جميع أعمال المسلم حتى يكون على نهج ربه الذي طلب منه الاخلاص في جميع حركاته وسكناته حتى ينال الثواب الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى لمبادء المخلصين في أقوالهم وأفعالهم واعتقادهم وقد روى الترمذى وغيره عن أبي نجيع السلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من روى بحسبهم في سبيل الله فهو لسه عدل محرر " (١) قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وروى النسائى عن عمرو بن عيسى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من شأب شيبه في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ومن روى بحسبهم في سبيل الله تعالى بلغ المد و أولم يبلغ كان له كمتق رقبة " .

وروى عنه أيضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بحسبهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ ستة عشر سهما .

وروى أيضا عن كعب بن مرة قال له شرحبيل بن السمطى يا كعب حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر قال سمعته يقول من شأب شيبة في الاسلام نفسى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة قال له حدثنا عن النبى صلى الله عليه وسلم واحذر قال سمعته يقول " ارموا من بلغ العدو بحسبهم رخصه الله به درجة قال ابن النحاس يارسول الله وما الدرجة قال اما انها ليست بمعتبة أمك ولكن ما بين الدرجتين مائة

(١) جامع الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ج ٥ ص ٢٦٢ وانظر سنن النسائى

ج ٦ ص ٢٧ وانظر سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٤٠ .

عام<sup>(١)</sup> فاعمال المجاهد في سبيل الله سبحانه قد فاقت الحصر فان جميع حركاته وسكناته له فيها أجر ولذا كان يحرض رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>عليه</sup> مواصلة الاعمال في سبيل الله فيقول من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ثم مع هذا اذا اطلق المجاهد سهمه في سبيل الله رفعه الله تعالى به درجة وهذه الدرجة لها مكانة عظيمة ما يبين كل درجة والاخرى معير مائة عام ثم يحرض الرسول على مواصلة ما علم الذي يعد نفسه في سبيل الله من ممارسة أعمال الحرب والقتال حتى يكون اذا طلب منه القتال فاذا هو على أتم استعداد فيقول من تعلم الرمي ثم تركه رغبة عنه فقد عصاني والرواية الاخرى فانها نعمة تركها أو كفرها ولهذا لما اظلمه الله تعالى على أن الله سيفتح على أمته وكفيهم القتال قال فلا يمجز أحدكم أن يلهو بأسهمه وقال أيضا عليه الصلاة والسلام في حديث عقبته الذي رواه مسلم كما تقدم من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى وهذا تشديد عظيم فيمن علم الرمي ثم تركه حتى ينساه وكما خض الرسول على الرمي وبين فضله فقد حض على الخيل والعناية بها وربطها في سبيل الله لانها عدة المجاهد بين ومركوبهم وعليها يكر ويفر في ميدان القتال فقد روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة " (٢) .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم " من احتبس فرسا في سبيل الله لئمانا وتصديقا بوعده فان شميته ورشه وروشه ووله في ميزانه يوم القيامة " (٣) <sup>اعمال</sup>

في هذا الحديث العظيم من الثواب الذي تفضل الله تعالى به على من كان همه مصالح المسلمين والعناية بهم واعداد المدة لهم في وقت ما يحتاجون الى عدة الجهاد فاذا هو في أتم استعداد فمن ربط فرسه في سبيل الله وهو مؤمن

(١) سنن الصالح ج ٦ ص ٢٦ ، ٢٧

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٣ وانظر صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٢ ص ١٧٥١

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٣

مصدق بوعد الله وشوابه الذي أخبر به أهل طاعته والاعتماد للجهاد في سبيل الله فان شبعه وربه وروثه وبوله في حسناته يوم القيامة وفي ميزانه وهذا لانسه قد أعد نفسه وأحضر وسائل الكر والفر في ميدان القتال وكما في الحديث الاخر الذي رواه البخارى عن أبي هريرة أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل متر على رجل وزر فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال في منج أرووضه فما أصابت في طيلها ذلك من المرح. أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطمت طيلها فاسننت شرفا أو شرفين كانت أرواشها وآثارها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فحسرت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له " (١).

وهذه الفضائل لا تقتصر على أهل الخير وأهل النبال والسهام وانما هسى تعم من عمل للاسلام والمسلمين واستمدد بالاسلحة لحماية المسلمين والذب عن اوطانهم ومطاردت أهل الكفر والنفاق فمن أعد المدة واتحسب نفسه وسهر على مصالح المسلمين نال من الاجر مانال صاحب الفرس وأعظم والله تعالى أعلم .

## المبحث الرابع

## ( أ ) ومن أسباب النصر اختيار القواد الأكفاء

يجب على ولي أمر المسلمين إذا أرسل سوية أو جيشا للجهاد في سبيل الله أن ينصب قائدا مثاليا في أخلاقه وديانته وأمانته وصلاحه ومعاملاته وأن يكون صاحب علم ومعرفه في دينه حسن التدبير وعلى حزم وعزم وجرأة واقدام وجلد وتحمل للمشقة وشعور بالمسئولية الملقاة على عاتقه وإخلاص في العمل الذي انيط به غير متكامل ولا مائل الى الاخلاص والدعة والراحة وكذلك على حذر تام ومقظة واستعداد للقتال في كل لحظة وعلى علم بأحوال أعدائه ييمت الميون الاستطلاعية لاخذ أخبار عدوه حتى لا يفوته حركة من حركاتهم ينظر الفرص التي تمكنه من القضاء على عدوه كما كان يفعل القائد العظيم خالد بن الوليد رضي الله عنه فإنه دائم حريص على الفرص السانحة التي يتمكن من خلالها القضاء على أعدائه ولهذا عندما كان في حصار دمشق كان ينظر الى الففلات ويلاحظ الحركات \* ولما كان ليلة سمع عندهم جيلة<sup>جيلة</sup> فأرسل من يستلم الخبر لانه كان يتجسس أحوالهم فلا يخفى عليه منها شي \* لينتهاز الفرصة فلم أن ولد لبطريق المدينة ولد فصنع وليمة سكر فيها الجند سكر شديدا \* فاتخذ خالد حبالا على هيئة السلالم وأهاقا - والوهق الحبل يربى في أنشودة فتؤخذ به الدابة والانسان - (١) ثم نهض هو ومن معه من أرباب النجدة وهو أمامهم ومعه القمقاع بن عمرو \* قبل أن يتوجه للمعراق \* وأماليه وقال خالد لمن معه اذا سمعتم تكبيرنا على السور فاقصدوا الابواب ولما وصل خالد ومن معه الى السور رموا الحبال فعلق منها حبلان فصعدوا عليها وتبهمهم كثير ولما صاروا فوق السور قصدوا الباب ففتحوه وكبروا فدخل الجيش مكبرا حتى ارتج تكبيره أهل المدينة فصحوا من سكرتهم مذعورين لا يقدرن على شي \* ففكروا في حيلة تنجيهم من هذا الفاتح العظيم فلم يجدوا الا أن يذهب وفد الى

(١) القاموس المحيط ٣ ص ٢٠٠

أبى عبده يطلبون منه الامان فأمنهم ودخل معهم المدينة ليؤمن الناس فالتقى  
بخالد وسط البلد فأخبره أبو عبدة رضى الله عنهم بالصلح فكف عن القتال وأجروا  
ما فتح عنوة مجرى ما فتح صلحا " (١) .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى " والقوة فى كل ولاية بحسبها : فالقوة  
فى اشارة الحرب ترجع الى شجاعة القلب والى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها فان  
الحرب خدعة ، والى القدرة على أنواع القتال من رى وطعن وضرب وركوب ، وكر  
وفر ونحو ذلك " (٢) .

فهذه الاوصاف ينبغي أن لا يألوها ولى أمر المسلمين جهدا فى التبيه لمن  
تكون فيه لقيادة الامة الى معارك الصير التى تحقق آمالهم وتظهر عزهم وقدرتهم  
لان المدد ولا يحسب حسابا لاحد أكثر من رئيس الجند فإذا سمع المدد وأن رئيس  
الجند شجاع غير خامل ولا جبان ولا فرار غير لين ، لا يطمع فى خداع مثله صلح  
فى الدين شديد البأس كان ذلك أهيب للمدد وأياس من مقاومته ولا يجسر على  
استقباله ، وادعى الى احجائه ولذا يجب أن يكون رئيس الجند جامعا لاسباب  
كل صلاح وثناء وكفاية " (٣) .

وينبى أن يكون القائد صابرا عند حدوث الملمات ثابتا عند مواجهتها  
المقاتل لان هذا شأن القائد الصبر على المصائب والثبات عند الشدائد صبرا  
مقرونا بالامل والثقة بوجه الله ونصره كما ينبى أن يكون القائد صاحب شجاعة فائقة  
غير مهال بالحياة الدنيا ولا حرصا على حطامها مؤمنا بأن الموت لا يقدمه خسوس  
المبارك وأن الحياة لا تطول بالبعد والفرار من الممارك " فإذا جاء أجلهم لا  
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (٤) .

- 
- (١) البداية والنهاية لابن كثير تصرف ج ٨ ص ٢٠ مطبعة السمادة بمصر .  
(٢) مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٢٥٣ الطبعة الاولى .  
(٣) انظر غاية الارشاد الى احكام الجهاد للشيخ فرج محمد غيث ص ٩٩ .  
(٤) سورة الاعراف ٣٣ .



فاذا شعر القائد والمسلمون جميعا بهذا تقدموا الى الحرب يطلبون اعلاء كلمة الله وان اصابوا صبروا فلا هلع ولا جزع يتلقون الضرب بنحورهم لا يصرفون الفرار لانه عار وكبيرة من كبائر الذنوب وتذكر القادة ما قاله عبد الله ابن رواحه في غزوة مؤتة عندما تردد أصحابه \* وقالوا : نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بمدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره فنمضى له قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحه \* وقال : يا قوم والله ان السرى تكروهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بمدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فائما هي احدى الحسينيين اما ظهور واما شهادة قال فقال الناس : قد صدق والله ابن رواحه فمضى الناس \* (١)

فايمان القائد بالله وباليوم الاخر يجعله يتقدم الى الممارك ولا يبالي بالموت ولا طريق لتمكن الخوف من قلبه كما أنه يجب أن يكون القائد قوى الشخصية لان قوة الشخصية ابرز صفات القائد لما يترتب عليها من تدبير القيادة والقدرة على تنظيم الجنود وادارتهم وكانت القوة والمعرفة اعظم ما خصم به نبي بنى اسرائيل قومه لما عارضوا في تحريك طالوت عليهم فقال \* ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يوتى ملكه من يشاء \* والله واسع عليم \* (٢)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الاية \* ان الله اصطفاه أى اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم يقول لسرت أنا الذى عينته من تلقا \* نفسى بل الله أمرنى به لما طلبتم منى ذلك ( وزادة بسطة في العلم والجسم ) أى هو مع هذا أعلم منكم وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصيرا فى الحرب ومعرفته بها أى أتم علما وقامة منكم ومن ههنا ينبى أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة نفسى بدنه ونفسه (٣)

(١) الميرة النبوية ج ٢ ص ٣٧٥

(٢) سورة البقرة ٢٤٧

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٠١

وقد ظهرت هذه القوة الشخصية في تصرفه مع جنوده وذلك في اختباره جنوده عند مجاوزة النهر حتى يصل من شر أهل الخوف والجبن والذين لا يمثلون للقيادة أمرا ولا يزيدون الجيش الا خبالا وشقاقا وعنادا فقد تخلص من الذين لا اخلاص عندهم ولا يقين بما وعدهم به نبيهم من النصر ولا صبر لهم على المكاره والمضاق فان الذى لا يصبر عن الشىء الصبر لا يقدر على مصارعة الابطال ومقارعة السيوف فى موقعة المعركة بل ان الذى لا يملك نفسه ويصبر لا يزيد الجيش الا وهنا وخورا وهلما وجزعا فبعد من صفوف المسلمين خيرا من وقوفه فيها لانه يكون مميئا للمعدو وخاذلا للمؤمنين المقاتلين فى سبيل الله وقوة ايمانه وارادته خالص من هؤلاء الذين بعدهم من ساحة القتال خيرا من دخولهم فيها بقوة القائد ومصرفته لادارة الحروب وتدبير الجنود هو المحور المحرك للمعركة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعمل الاقوياء فى قيادة الجيوش ولو كان عليهم بعض المآخذ التى تبرا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد استعمل خالد بن الوليد وأمره على الجيوش مع وجود من هو أفضل منه فى الجيش وهذا بسبب قوته وحزمه ومصرفته لتدبير الجنود وتصريف الامور فقد روى البخارى وغيره عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : " بمث النسبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى بنى جذيمة فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع الى كل رجل منا أسيره حتى اذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل رجل من أصحابى أسيره حتى قدمنا على النسبى صلى الله عليه وسلم فذكرناه فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يده فقال اللهم انسى أبرأ اليك ما صنع خالد مرتين " (١)

وهكذا مشى على هذه السياسة الخليفة الاول فكان يسند اليه قيادة الجيوش وكان أعظم القواد فى حروب الردة وهو أكثر من قضى عليها واعتمد عليه أبوبكر فيها مع أن غلبة بعض المآخذ التى أنكرها عليه عمر \* مثل قتل مالك بن نويرة وتزوجه امرأته

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ١٣١

وقد طلب من أبي بكر أن يقتصر منه فقال أبو بكر تأول فأخطأ فأرفع لسانك عن خالد  
وطلب عمر بن الخطاب من أبي بكر أن يمزله فقال أبو بكر ما كنت لاشيم شأى أغمد -  
سيفا سلمه الله عليهم أبدا" (١) يقول ابن تيمية رحمه الله " واجتماع القوة والامانة  
فى الناس قليل ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : اللهم اشكو اليك  
جلد الفاجر وعجز الثقة فالنواجب فى كل ولاية الاصلح بحسبها فاذا تميم رجلا  
أحد هما أعظم أمانة والاخر أعظم قوة قدم أنفسهما لتلك الولاية وأقلهما ضررا فيهما  
فيقدم فى اشارة الحروب الرجل القوى الشجاع وان كان فيه فجور على الرجل الضعيف  
الماجز ، وان كان أمينا كما سئل الامام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين فى الفزو  
وأحدهما قوى فاجر والاخر صالح ضعيف ، مع أيهما يفزى؟ فقال أما الفاجر القسوى ،  
فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على  
المسلمين ، فيفزى مع القوى الفاجر" (٢) .

ولا يخفى أن قوة القادة لها أثر فى كل زمان ومكان فقد كان لها أثرها  
المعظم فى نفوس المسلمين وكذلك لها الهيبة فى نفوس المتمردين كما حدث فى  
جيش عبد الملك بن مروان فقد شكى عبد الملك الى روج بن زنباع ان الجيش لا  
ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحيله فقال روج أن فى جيشه رجل لو وليته أمرهم لاستقاموا  
فقال من هو الرجل يقال له الحجاج بن يوسف قال قد وليته أمر الجيش فكان لا يتأخر  
أحد فى النزول والرحيل ، حتى اجتاز الى فسطاط روج بن زنباع وهم يأكلون فصرهم  
وطرف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روج ذلك الى عبد الملك ، فقال للحجاج لم  
صنمت هذا ؟ فقال لم أقمه انما فعله أنت فان يدى يدك وسوطى سوطك ،  
وما ضرك لو أعطيت روحا فسطاطين بدل فسطاط وبدل الفلام غلامين ، ولا تكمرنسى  
فى الذى وليتنى ففعل ذلك" (٣) .

- 
- (١) انظر مذرات الذهب ج ١ ص ١٥ وانظر تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٧٦ وكذلك  
الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣٥٨ طبع بيروت ١٣٨٥ هـ .  
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٢٥٤ الطبعة الاولى .  
(٣) البداية والنهاية لابن كثير بتصرف ج ١ ص ١١٨ .

فلهذا يجب أن يكون القائد حازما قويا في شئونه وتدبير أموره \* والحنن  
جودة النظر في الامور وتنقيحه والحذر من الخطأ فيه \* (١) فملى هذا فالحنن  
هو احكام الامر وتنقيته وملاحظته عواقبه حتى يسلم من توابعه ويحمده نتائجها فيجب  
أن يكون القائد على يقظة وقوة حكيمة في قيادة جنوده وكما أنه يجب أن يكون  
القائد على عزم واخاء ، لمزيمته لما في ذلك من نجاح الفكرة وتنفيذ للرأى بعد  
تداوله ولهذا قال الله تعالى \* فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب  
المثوليين \* (٢) .

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الاية \* انه يعنى : فاذا صح  
عزمك بتثبيتنا اياك وتسد يدنا لك فيما نأبىك وحزبك من أمر دينك ودينناك فامض  
لما أمرناك به وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها \* (٣) .

قال ابن فارس ( عزم ) الميم والزاي والميم أصل صحيح يدل على الصرمة  
والقطع يقال عزمتم أعزم عزمًا . ويقولون : عزمتم عليكم الا فعلت كذا أى جعلته أمرا  
عزمًا أى لا مشيئة فيه وقال كانوا يرون لمزومة الخلفاء طاعة ونقل عن الخليل المزم  
ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله \* (٤) .

فكل هذه المعاني تدل على القوة والصلابة والامضاء فوجب على كل قائد  
للمسلمين أن يكون صاحب قوة نافذة بعد أن تأخذ الشورى مكانها ويظهر التصميم  
كما حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما شاور أصحابه قبل معركة أحد  
فلما رأى جلهم يحبون الخروج الى العدو ودخل منزله ولم يمس لامته فلما خرج  
عليهم قالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك فان شئت فاقم صلى الله

(١) انظر تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٥٢ ومجمع مقاييس اللغة لابن فارس ج ١ ص ٥٣

ج ٢ ص ٥٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٣) تفسير ابن جرير ج ٤ ص ١٥٣ .

(٤) مجمع مقاييس اللغة لابن فارس ج ٤ ص ٣٠٨ .

عليك وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينهض لثبي اذا لمس لامته ان  
يضمها حتى يقاتل \* (١)

فلم يصح النبي صلى الله عليه وسلم الى قول الذين اشاروا عليه بالقمسود  
حين ارادوا الرجوع عن رأيهم فعلمهم ان وقت المشاورة قد انشبه فلم يبق سوى  
التنفيذ الذى هو ثمة المشورة وتبادل الرأى وان القائد اذا شرع فى العمل تنفيذاً  
للمشورى لا يجوز له ان ينقض عزمته ويهطل عمله مهما كانت قال القرطبي " ليس له  
اذا عزم أن ينصرف لانه نقض للتوكل الذى شرطه الله عز وجل مع العزيمة \* (٢)  
هذه الاوصاف التى لا ينهض ان يقصر أمام المسلمين فى طلبها فيمن يقود الجيوش  
ويخوض الممارك التى يوجب من ورائها نصر دين الله واعلاء كلمته .

■ ■ ■

(١) انظر الميرة النبوية ج ٢ ص ٦٣ .  
(٢) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٥٢ .

## (ب) ماملسة القائد لجنوده

أما ماملسة القائد لجنوده فقد جمع الله تعالى منها في الآية الاتيصة صفات ينهض أن يتحلى بها كل مسلم وخصوصا قادة المسلمين وزعمائهم لانهم القدوة والاسوة لغيرهم بقول الله تعالى " فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين " (١).

يقول الله تعالى فيصيب رحمة من الله تعالى كنت لين الجانب لهم فلم تماجبهم على ما حصل منهم من الفرار ولو كنت خشن الجانب جافيا شرس الاخلاق في المباشرة في القول والعمل قاسى القلب لم تلن لهم ولما اجتمعوا عليك ولم يأووا اليك ويخضوا الى صفك بل غرقوا ونفروا عنك ولكن ماملتك الحسنه وعفوك الشامل هو الذي يجمعهم عليك فاعفر لهم وتجاوز عن زلاتهم ما كان يتصل بهم من حقوقك واطلب من الله المغفرة لذنوبهم فيما يتعلق بحقوقه واخذ رأيهم في الحرب واستظهر قدراتهم في جميع احوال المؤمنين التي لم يكن ورد فيها من الله نصوص تقطع المشورة وطلب الافادة لانه لا يشاور الا فيما ليس فيه نص صريح فهذه آداب عظيمة للقيادة ويجب أن تكون فيهم لما فيها من تطيب النفوس وتنشيط لاراء أهل الحل والمقد وقد قال الالمسي في هذه الاداب الواردة في الآية " وقد روى في الآية حسن الترتيب وذلك لانه صلى الله عليه وسلم أمر أولا بالمغفرة عنهم فيما يتعلق بخاصة نفعه فاذا انتهوا الى هذا المقام أمر أن يستغفر لهم ما بينهم وسين الله تعالى لتزاج عنهم التبعثان فلما صاروا الى هنا أمر بأن يشاورهم في الامر ان صاروا خالصين من التبعثين مصفين منهما ثم أمر صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالتوكل على الله تعالى والانقطاع اليه لانه سبحانه السند الاقوم والمجا الاعظم

الذى لا تؤثر الاسباب الا به " (١) .

فقد وردت في هذه الآية الكريمة الآداب العظيمة التي لا يوجد أفضل منها في القادة وهي لين الجانب والرحمة الحكيمة والرفق والتلطف بهم وقد قال الله تعالى عن نبيه وأخلاقه الحميدة التي خصه الله تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " (٢) .

يقول تعالى ستناب على المؤمنين بهذا النبي الرحيم الذي رحمته بهم أعظم من رحمة الأم بولدها لقد جاءكم أيها العرب رسول تعرفون لفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وهو من جنسكم كما قال الله تعالى " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين " (٣) .

وهو يعز عليه ما يشق عليكم ويتمبكم وما تلقونه من المكارة لان هذا الرسول منكم وهو أولى بكم من أنفسكم كما قال تعالى " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم " (٤) .

فرحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين كبيرة وعظيمة ولهذا كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكان حريصا على إيمانهم وهدايتهم وصلاحهم وفلاحهم وما يقرهم من الله ويبعدهم من غضبه وأليم عقابه كما أنه يحب وصول الخير العاجل والاجسل اليهم فهو شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين فكل ما دعا اليه فهو يريد أن ينجيهم به من عذاب الله وغضبه فهو حريص على اسلامهم واخراجهم من الظلمات الى النور حتى يبعدهم عن أسباب غضب الله تعالى وعند ما عرف المسلمون حريص رسول الله عليهم

(١) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للالموج ٤ ص ١٠٨ طبع دار

أحياء التراث العربي بيروت .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٦٤ .

(٤) سورة الاحزاب ٦ .

ورحمة بهم قدموا له كلمنا في وسمهم من الانفس والاموال وقد موا محبته على الابناء  
والابناء والاخوان والمشيرة وعلى الانفس أيضا وكانوا يقدونه حتى يتلقى الضرب  
والطمع كما حدث يوم أحد من أبي طلحة رضى الله عنه فقد روى البخارى عن أنس  
ابن مالك رضى الله عنه قال : ( لما كان يوم أحد انتهزم الناس عن النبي صلى الله  
عليه وسلم وأبو طلحة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم محبوب عليه بحجته له  
وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزح كسريومث قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر  
معه بجمعة من النبل فيقول انثرها لابي طلحة قال وشرف النبي صلى الله عليه  
وسلم ينظر الى القوم فيقول : أبو طلحة يا بى أنت وأبى لا تشرف يصيبك سهم من سهام  
القوم نخري دون نحرك \* (١) . قوله ( محبوب ) يعنى مترسو ( حجة ) هسى  
الترسو فى هذا الحديث الشريف بيان لما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من التفانى فى طاعته والذب عنه وبذل النفوس دونه حتى لا يمسه أذى أو يلحقه  
ضرر فهذا طلحة رضى الله عنه يحول بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الضرب  
والطمع حتى لقد شلت يده عندما كان يقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ويحول بينه وبين السهام كما روى ذلك البخارى رحمه الله عن قيس - بن حازم -  
قال \* رأيت يد طلحة شلاء\* وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد \* (٢) .

فهذه صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه يعدونه بكل ما فى  
وسمهم فلم يتركوا شيئا يرضيه عنهم الا قدموه وبذلوا فيه الانفس والاموال وهذا من  
عظم محبتهم له لانهم عرفوا منه الحب والاخلاص لهم والرأفة والرحمة بهم وحرصه  
الشديد عليهم كما تقدم فى الايات القرآنية وكان من حرصه أيضا على أمته أنه  
\* اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أو صاه فى خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من  
المسلمين خيرا ثم يقول اغزوا باسم الله وفى سبيل الله \* (٣)

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ٨٢ .

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ص ٨٢ .

(٣) انظر صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٢ ص ٣٧ وسنن أبى داود مع شرحه

عنهون المعبود ج ٧ ص ٢٧١ .



فقد بين هذا الحديث حرص الرسول عليه الصلاة والسلام ورأفته بالمسلمين  
إذا همسوا الامراء بمراقبة الله وتقواه لان من راقب الله واتقاه لا يمكن أن يحصل منه  
مشقة على المسلمين بل يحاسب نفسه ويجتهد فيما يصلح أحوال أتباعه وجنوده  
ويوفر لهم أسباب الراحة واليهد عن المشقة وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
على من ولي أمر المسلمين فحملهم فوق طاقتهم وكلفهم ما لا يستطيعون بتفريق أمره  
وتكليفه فوق طاقته كما أنه دعا لمن ولي أمر المسلمين فرفق بهم بالترفق فقال عليه  
الصلاة والسلام فيما رواه الامام مسلم في صحيحه عن عائشة رضی الله عنها قالت :  
" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيته هذا اللهم من ولي من أمر  
أمتي شيئاً فاشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق  
بهم " (١) .

وقد قال عليه الصلاة والسلام " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " (٢)  
قال النووي " قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام  
عليه وما هو تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالمسئول  
فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه وممتلكاته " (٣) وهذا هو الواجب على ولاية أمور  
المسلمين اصلاح ما تحت أيديهم ورعايته والله أعلم .

■ ■ ■

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٢ ص ٢١٢ .  
(٢) المرجع السابق نفسه ج ١٢ ص ٢١٣ .  
(٣) شرح النووي على مسلم ج ١٢ ص ٢١٣ .

## ( ج ) المشاورة

ومن أسباب تعاون المسلمين وقوتهم تبادل الآراء والأفكار والنظر فسي المشاكل الممارسة وطلب الحلول لها وعندما يستشير القائد أهل الحل والعقد والآراء والأفكار تظهر كوا من الآراء ودقائق الأفكار ويستعين بالرأي والمشورة على تدبير قوته وجهته وتطيب نفوس أهل الرأي والمشورة ويشمرون بالمسئولية فيتفانسون في بذل ما في وسعهم وطاقاتهم في النصح والمشورة ويستغفرون مجهودهم في ما يصلح أحوال المسلمين وقد قال الله تعالى في صفة المؤمنين " والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما رزقناهم ينفقون " (١) .

قال ابن العربي في تفسير هذه الآية " والشورى ألفة للجماعة ومسار للمقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم إلا هدا وقد قال حكيم :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستمن ••• برأى لبيب أو مشورة حاتم  
ولا تجمل الشورى عليك غضاضة ••• فان الخواقي نافع للقوادم

ومدح الله المشاور في الأمور ومدح القوم الذين يمثلون ذلك " (٢)

وذكر القرطبي عن بعض العقلاء قال " ما أخطأت قط ! إذا حزبتني  
أمر شاورت قومي ففعلت الذي يرون ؟ فان أصبت فهم المصيبون ، وإذا أخطأت  
فهم المخطئون " (٣) .

(١) سورة الشورى ٣٨ •

(٢) أحكام القرآن لابن العربي القم الرابع ص ١٦٥٦ - الطبعة الأولى

عام ١٣٧٨ هـ •

(٣) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٣٧ •

وقد كان سيد البشر صلى الله عليه وسلم يشارر أصحابه فى أمور المسلمين كما شاررهم فى يوم بدر فقد روى مسلم فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شارر حين بلغه اقبال أبى سفيان قال فتكلم أبو بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال : ايأنا تريد يا رسول الله والذي نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لاخضناها ولو أمرتنا أن نضسرب أكبادها الى برك الشامد لفعلنا قال فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا " (١) .

فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه حتى عرف عزمهم ومضيهم وقوتهم وصبرهم وأظهر الله تعالى ما فى قلوبهم فمضى الى القتال ولم يتردد لمسا عرف من أصحابه بعد المشاورة التى شاررهم بها كما أنه صلى الله عليه وسلم قبل مشورة الحبلى بن المنذر حين قال له رأيت هذا المنزل أمثلا انزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فانهبى بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نضور ماورا ، من القلب ، ثم نبى عليه حوضا فنملوه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فصار حتى اذا أتى أدنى ماء من القوم نزل علينا ثم أمر بالقلب فنصرت وبنى حوضا على القلب الذى نزل عليه فملى ماء " (٢) .

فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشورته ولم يتكبر عليه لما علم صواب رأيه مع أنه رسول الله الذى ينزل عليه الوحى فهو أعظم قائد وأصوب فى الرأى والمشورة ولم يستغن برأيه دون أصحابه وأيضا " فقد شارر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الخروج الى أحد أو البقاء فى المدينة وكان يحب هو البقاء فاشار

(١) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٢ ص ١٢٤ .

(٢) السيرة النبوية ج ١ ص ٦٢٠ .

عليه معظم أصحابه بالخروج الى المدون فخرج عملا بمشورتهم ونزولا الى رغبتهم \* (١) .

كما أنه \* شا ور أصحابه عليه الصلاة والسلام في غزوة الاحزاب عندما هم بمصالحة عيينه بن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان على أن يعطيهم ما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمن معهم عنه وعن أصحابه فلما هم بتنفيذ ذلك واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عباد فقالا له يا رسول الله أمرت حبه فنضمه أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا قال : بل شئ \* أصنعه لكم . . . . فقالا مالنا بهذا من حاجه والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهم وذاك \* (٢) .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك المشاورة في أمور المسلمين وتبادل الآراء حولها والنظر في الحلول لها كما أمره الله تعالى بذلك في قوله ( وشاورهم في الامر ) (٣) .

وقد عقد البخارى بابا في صحيحه ذكر فيه ما كان عليه رسول الله من مشاورة لأصحابه فذكر فيه بعض المواطنين التي شاور فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه منها غزوة أحد ومنها مشاورته عليا وأسامه بن زيد رضى الله عنهما في أمر أهله عندما رميت عائشة بالافتك كما ذكر بعض مشاورات أئمة الاسلام كما فعل أبو بكر وعمر في حروب الردة فلما كان الدليل مع أبي بكر وعند نصوح الكتاب والسنة لم يلتفت الى مشورة عمر وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولا كانوا أو شبانا \* (٤) .

فيجب على قادة المسلمين التزام هذه السنة حتى يعملوا على هدى ومصيرهم فان الشورى هي خلاصة أفكار المفكرين وشخالة آرائهم فمن عمل بها فقد عمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين كما تقدم ومن استشار لم يعدم رشداً ومن ترك الشورى لم يعدم غياً والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد .

(١) انظر السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٣ وانظر صحيح البخارى ج ١ ص ٩١

(٢) انظر السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٤) انظر صحيح البخارى ج ١ ص ٩١ .

## المبحث الخامس

### وجوب الطاعة

لزوم الطاعة ضرورة من ضرورات النصر وعنصر من عناصره الأساسية التي لا يتحقق النصر الا بوجودها وملازماتها وهي كما رتبها القرآن الكريم بقوله " يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتن في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً " (١).

يقول الله تعالى يا من آمن بالله وصدق رسوله اطيعوا الله واعملوا بما أمركم به ونزله عليكم في كتابه واطيعوا رسوله لانه الواسطة بينكم وبين الله وهو المبلغ لكم دينكم عن بهكم فتلتزمكم طاعته والانقياد لاوامره لان أوامره من أوامر الله سبحانه وتعالى واطيعوا أولى أمركم وهم الامراء والحكام وكل من له ولايه على المسلمين فوجب عليه أن يطيعه فسي طاعة الله فعلم من ترتيب الآية لوجوب الطاعة ان طاعة الله أولا هي أوجب الواجبات ثم بمدى طاعة رسوله لان طاعته طاعة لله ثم طاعة قادة المسلمين وقد قال الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى " (٢).

وقد قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم " (٣) فاذا علمنا بأن تقوى الله وطاعته بامثال أوامره واجتناب نواهيه تجعل لنا فصلاً وتفريقاً بين الحق والباطل ووجب علينا العمل على طاعته فطاعة الله ورسوله وأولى أمر المسلمين لها أثر عظيم في نفوس القادة والجنود والمسلمين عموماً سواء من كان في المعركة أو خارج المعركة لان القتال لا يمثل الطائفة المقاتلة بل يمثل المجتمع الذي يكون وراء الطائفة المقاتلة وكذلك أهل

(١) سورة النساء ٥٩ .

(٢) صحيح البخارى ج ١ ص ٥١ وصحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٢ ص ٢٢٣ .

(٣) الانفال ٢٩ .

القتال فاذا تجلت فيهم تقوى <sup>الله</sup> وطاعته ترتب عليها الشهور بالمسئولية التي تربط بين الله تعالى وبين عباده وبين أفراد المجتمع بعضهم لبعض فيصيرون أمة واحدة متماسكة ومتعاونة يشد بعضهم أزر بعض وينصر بعضهم بعضا ويتماثلون على كل خير وأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيقومون لله بطاعته وبإعلاء كلمته وبالجهاد في سبيله ويتفانون في ذلك ويظهرون العدل والانصاف في هذا المجتمع الذي عرف به إطاعه فاذا علم المقاتل في سبيل الله أنه جندي من جنود الله لا يقاتل الا من أمره الله بقتاله بذل كل ما في وسعه وطاقته لنشر دين الله وحماية العدل والانصاف ولزم طاعة الله ورسوله ثم ولي أمره ما لم يأمره بمصيبة الله لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاذا لم تكن في معصية الله نفذ أوامر قيادته وقام بالامانة التي هي في عنقه قدر ما يستطيع الى ذلك سبيلا ولقد أعطت معصية الرماة في أحد درسا عظيما عرفوا بها أثر معصية القائد وأن وراءه أوامر القيادة حكمة عظيمة لما له من الخبرة في الحروب والدراسة بالمنافذ التي يأتي معها المدد فاذا رتب القائد جيشه في مواقع القتال وألزم كل طائفة ثغرا وجب عليهم أن لا يفارقوا هذه الثغور الا بعد صدور أمر القائد بذلك لهذا يقص علينا ربنا تبارك وتعالى ما حدث في أحد من أمر المخالفة " ولقد صدقكم الله وعده اذ تحصونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في <sup>في الأمر</sup> معصيتكم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم " (١) .

وقد أورد ابن جرير في تفسيره على هذه الآية عن السدي قال : لما بسرز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين بأحد أمر الرماة فقاموا بأصل الجبسل في وجوه خيل المشركين وقال " لا تبرحوا ما كنتم وان رأيتمونا قد هزمنا فاننا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بين جبير ثم أن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال : يا ممشر أصحاب محمد انكم تزعمون أن الله يمجنا بسيوفكم الى النار ومجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم

أحد يجعله الله <sup>بصيفك</sup> إلى الجنة أو يجعلني بصيفه إلى النار فقام إليه علي ابن أبي طالب فقال : والذي نفس بيده لا أفارقك حتى يجعلك الله بصيفي إلى النار أو يجعلني بصيفك إلى الجنة فضربه على فم قطع رجله ، فسقط ، فانكشفت عورته فقال أنشدك والرحم ابن عم فتركة فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال ثم شد الزنبر ابن الصوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفیان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيـل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع ، فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه باد روا الشنمية فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالمسكر فلما رأى خالد قلعة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تنادوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوههم . (١) .

كما يروى لنا الامام البخارى نفس القصة عن البراء رضى الله عنه قال " لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جهشا من الرماة وأمر عليهم عبد الله وقال لا تبرحوا ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تميمونا فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتكن في الجبل فمن عن سوقهن قد يدت خلاخلهن فاخذوا يقولون الشنمية الشنمية فقال عبد الله عهد السي النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب منهم قتلا . (٢) .

فهذه مصيبة لاوامر القيادة وتعاهل قلب وجه المعركة بعد ما كانت راجحة فسي كفة المسلمين ووجلوا إلى وسط عسكر المشركين يقول الزبير بن الصوام والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشيرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير

(١) تفسير ابن جرير ج ٤ ص ١٢٥ .

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ص ٢٩ .

اذ: مالت الرماة الى المعسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأوثقنا من خلفنا وصرح صارح الا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللوا حتى ما يدنونه أحد من القوم \* (١).

قال ابن اسحاق وانكشف المسلمون فاصاب فيهم المدوي وكان يوم بلا \* وتمحيص \* اكرم الله فيه من اكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلى المدو الى رسول الله فذت بالحجارة حتى وقع لشقة فاصيبت راعيته وشبه وجهه وكلمت شدته \* (٢) ومعنى هذا أن المشركين كادوا يقضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقضون على دعوته وأتمه لولا لطف الله سبحانه وتعالى وكل ما حدث هو بسبب معصية أمر قائدهم ومخالفة أمره فيجب على المسلمين التماسك والتعاون والقيام بتنفيذ أوامر قيادتهم باكمل وجه وأتمه حتى لا يقسموا فيما وقع فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن هذه المخالفة التي حصلت من الرماة هي بسبب اجتهاد منهم لانهم ظنوا أن المعركة قد انتهت ولم يعد لبقائهم في محل الرماة فائدة فاسرعوا الى النزول وجمع الفنائم فصجلت لهم العقوبة وحرموا الفئمة وكاد المشركون يقضون عليهم ولا يخفى ما في الطاعة وامثال أوامر قادة المسلمين من القوائد من ذلك المشهور بالمسؤولية والاهتمام برعاية المسلمين وتعاون جميع أفرادهم وتماسك الجماعة واحترام القيادة والثقة بها والاخلاص في العمل والقيام بأوامر الله ورسوله اذا أمرهم بطاعة الله ورسوله وطاعة ولي أمر المسلمين كما أن معصية ولي أمر المؤمنين تشمر بمسدم المبالاة بالمسؤولية وعدم الاهتمام بمصالح المسلمين وتفكك أعضاء المجتمع وعدم تعاونهم وتماسكهم وعدم المبالاة بأوامر القيادة وعند هذا يحصل النفور من القادة والجنسود وتمسكهم ثقة بعضهم ببعض فيكونون خلاف ما أراد الله تعالى منهم من التعاون الذي أمر الله تعالى به بقوله سبحانه وتعالى \* وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب \* (٣).

(١) السيرة النبوية ج ٢ ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٧٩ .

(٣) سورة المائدة ٢ .



ولما كان لزوم الطاعة يمثل مجتمعا واحدا يعلم أن في الاجتماع والطاعة القوة والمنعة والتعاون وردت الاحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم حرصا منه على توحيد الصف والاجتماع وعدم الفرقة بين المسلمين فقد روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة " (١) .

كما روى البخارى ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " (٢) .

وفي صحيح مسلم أيضا عن أبي ذر رضى الله عنه قال ان خليلي - صلى الله عليه وسلم - أوصاني أن أسمع وأطيع وان كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف " (٣) .

وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عليك السمع والطاعة في عسرك ومسرك ومنشطك ومكرك وأثرة عليك " (٤) .

والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا اقتصرنا على ما مضى خشية الاطالة وقد حصل المراد من تكرار أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي رحمه الله تعالى " قال العلماء معناه تحب طاعة ولاية الامور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية فان كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الاحاديث الباقية فتحمل هذه الاحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاية الامور على موافقة تلك الاحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية ثم قال والاشرة بفتح الهمزة والثاء . . . . . وهى الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم أى اسمعوا وأطيعوا وان اختص الامراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم ما عندهم وهذه الاحاديث في السمع والطاعة في جميع

- 
- (١) صحيح البخارى ج ٩ ص ٥٢ .
  - (٢) صحيح البخارى ج ٩ ص ٥٢ ومسلم مع شرح النووي ج ١٢ ص ٢٢٦ .
  - (٣) صحيح مسلم مع النووي ج ١٢ ص ٢٢٥ .
  - (٤) المرجع السابق نفسه ج ١٢ ص ٢٢٤ .

الاحوال سببها اجتماع كلمة المسلمين فان الخلاف بسبب لفصل احوالهم نفسى  
دينتهم ودينياهم \* (١) .

وأولوا الامر الذين تجب طاعتهم بحمد طاعة الله ورسوله هم أصحاب الامر  
وأهله وهم الذين يأمرون الناس ويشتركون في هذا أهل الهدى والقدرة وأهل العلم  
فكان أولو الامر صنفين : الملما\* والامراء\* الذين اذا صلحوا صلح سائر الناس  
واذا فسدوا فسد غالب الناس وقد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام الامة على عدم  
الخرج على الاثمة حتى يروا كفسرا بواحا يقول النووى فى شرحه للحديث \* الا ان  
تروكرا بواحا عندكم من الله فيه برهان \* (٢) .

معناه كفر ظاهر والهراد بالكفر هنا المعاصى ومعنى عندكم من الله فيه برهان  
أى تعلمونه من دين الله تعالى ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الامور فى ولايتهم  
ولا تمترضوا عليهم الا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا  
رأيتم ذلك فانكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم وأما الخرج عليهم وقتالهم  
فمحرام باجماع المسلمين وان كانوا فاسقة ظالمين وقد تظاهرت الاحاديث بمعنى  
ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينمزل السلطان بالفسق قال الملما\* وسبب عدم  
انتمزله وتحريم الخرج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن واراقة الدماء\* وفساد ذات  
البيين فتكون المفسدة فى عزله أكثر منها فى بقاءه \* (٣) .

وهذا كله من أجل اجتماع كلمة المسلمين ومددهم عن الشقاق والخلاف  
ودعوتهم الى الوفاق لان فى اجتماعهم قوة المسلمين وتعاونهم وتغابهم فى صد  
هجمات أعدائهم وشد بعضهم أزر بعض وحتى تبقى دولة الاسلام وخلافتهم  
متماسكة البنيان فانه اذا حدث خلاف أو شقاق فى صفوفهم صرفت طاقاتهم وقوتهم

(١) شرح النووى على مسلم ح ١٢ ص ٢٢٤ .  
(٢) صحيح مسلم مع شرح النووى ح ١٢ ص ٢٢٨ .  
(٣) شرح النووى ح ١٢ ص ٢٢٩ .

في غير ما أريد من المسلم وهو أن بعضهم يصير عدوا لبعضهم ويقتل كل فريق منهم  
 الآخر وهذا والله المجهول أن يجمع كلمة المسلمين بوحدة صفوهم ويزيل  
 من قلوبهم الصداوة والبغضاء أنه علي ذلك قديرا وحليما وسلميا  
 علي نبينا محمد وآله وصحبه

\*\*\*

## البحث السادس

### الاخلاص

ومن صفات المسلم المقاتل اخلاصه لله سبحانه وتعالى وعدم شوبه عمله بالرياء والسميعة حتى يحقق ما اراده الله تعالى منه والاخلاص<sup>٣</sup> نقيه ورد في اللغوة بمعنى محض العبادة لله سبحانه وتقويتها من شوائب الرياء والسمعة التي تحبط العمل قال ابن دريد في كتابه الجمهرة في معنى الاخلاص " وخلص الشيء يخلص خلوصا وخلوصا وخلصته أنا تخليصا اذا صفيته من كدر ودرن وخلصة السمسم ما ألقى فيه من تمر وصوق حتى يخلص وهي الخلاصة أيضا تخلصت من الشيء تخلصا اذا سلمت منه وتخلص الظبي من الحباله اذا سلم منها . . . واخلاص فلان لفلان الود اخلاصا فهو مخلص وشهادة الاخلاص شهادة أن لا اله الا الله لانها اخلصت الايمان " (١) .

وقال ابن منظور " أخلص لله دينه أمضه والمخلص بالكسر من أخلص العبادة لله والمخلص بالفتح من أخلصه الله وجعله مختارا خالصا من الدنس " (٢) .

فيكون معنى هذا صفاً النية وسلامة العمل من الاختلاط بخيره فتصفية العمل من كل شائبه في قول أو فعل أو عمل اخلاص وتصفية السم من كما يوضع فيسه خلاص وسلامة الانسان من ما وقع فيه اخلاص والماء اذا لم يخالطه غيره خالص والمعمل اذا لم يخالطه غيره خالص اذا ن فاخلاص المجاهد في جهاده وقصد اعلاء كلمة الله هو الاخلاص المطلوب من المجاهد حتى يستحق نصر الله سبحانه وتعالى الذي الزم به تعالى نفسه فمبني حصل الاخلاص حصل نصر الله لهذا يقول سبحانه وتعالى " وكان حقا علينا نصر المؤمنين " .

(١) انظر الجمهرة ج ٢ ص ٢٢٦ الطبعة الاولى بحيدرآباد الدكن سنة ١٢٤٥ هـ  
(٢) لسان العرب ج ٧ ص ٢٦ طبع بيروت سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٥٦ م .

فهو حق الزم الله تعالى به نفسه وجعله واجبا عليه لمبادر المؤمنين الصادقين  
في ايمانهم الذين يحفظهم الاخلاص وطلب مرضاة الله في بذل كل ما في وسعهم  
لاعلاء كلمة الحق تبارك وتعالى .

وقد قيد الرسول الكريم جميع الاعمال وجعلها متوقفة على صلاح النية فمن قصد  
بخطئه شيئا غير وجه الله لم ينل من الله ما أظهر أنه فعل ذلك الفعل من أجله وهو  
كاذب قال عليه الصلاة والسلام " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن  
كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا  
يصيبها أو الى امرأة ينجسها فهجرته الى ما هاجر اليه " (١) .

كما أنه عليه الصلاة والسلام يخرج من عداد المجاهدين في سبيل الله من قصد  
عرضا من الدنيا وشاركت نيته هذه طلب الدنيا أو اظهار المشجاعة حتى يشتهر بسبب  
الناس ويحمد على ذلك أو يقاتل رياء وصمة أو حمية من أجل الاهل والمشييرة فيقول  
عندما سئل عن ذلك كما في الصحيحين وغيرهما عن أبي موسى رض الله عنه قال  
" جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمفتم والرجل يقاتل  
للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة  
الله هي العليا فهو في سبيل الله " (٢) لفظ البخارى .

يقول النووي " فيه بيان ان الاعمال انما تحسب بالنيات الصالحة وان الفضل  
الذى ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي  
العليا " (٣) .

ويقول ابن حجر في الفتح قال الجمهور " اذا كان أصل الباعث للجهاد في  
سبيل الله وحصل الثانی ضمنا لا أصلا ولا مقصودا لم يضر ما عرض له بمد ذلك " (٤) .

(١) انظر صحيح البخارى ج ١ ص ٣ وغيره .

(٢) انظر صحيح البخارى مع الفتح ج ٦ ص ٢٧ وصحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٤٩

(٣) شرح النووي على مسلم ج ١٣ ص ٤٩ .

(٤) فتح البارى بتصرف ج ٦ ص ٢٨ .

وكذلك الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة والنسائي عن أبي امامة  
رضي الله عنهما قالاً جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلاً  
غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له فأعادها  
ثلاث مرات يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له ثم قال ان الله لا يقبل  
من العمل الا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه<sup>(١)</sup> لفظ النسائي .

وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فمسرفه  
نعمة فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك  
قاتلت لان يقال جرى<sup>(٢)</sup> فقد قيل ثم أمر به فصحب على وجهه حتى ألقى في النار<sup>(٣)</sup> .

فبجدة هذه الاحاديث تحت على الاخلاص في جميع الاعمال وان الله لا يقبل  
منها الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه والمجاهد قد طلب منه اخلاص نيته حتى ينال  
فضل الجهاد ويعلم الله تعالى منه الاخلاص فاذا علم منه الاخلاص وفقه لكل خير  
ومنفعة كما يشير الى ذلك سبحانه وتعالى بقوله الكريم<sup>(٤)</sup> " والذين جاهدوا فينا  
لنهديهم سبلنا وان الله لمع المحسنين " (٣) .

قال ابن جرير في تفسير هذه الاية " والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله  
كذبا من كفار قريش المكذبين بالحق لما جاءهم مبتغين بقتالهم علو كلمتنا ونصرة  
ديننا لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وذلك اصابة دين الله الحق الذي هو  
الاسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وان الله لمع من أحسن مسن  
خلقه فجاهد فيه أهل الشرك صدقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالصون لسه  
والنصرة على من جاهد من أعدائه " (٤) .

(١) انظر سنن النسائي ج ٦ ص ٢٥ .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٣ ص ٥٠ .

(٣) المنكيات ٦٩ .

(٤) جامع بالبيان ج ٢١ ص ١٥ .

وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى لمجاهدين المخلصين نفسى  
 جهادهم المبتغين بجهادهم نصر الله واعلاء كلمته فى أى عصر من العصور وفى أى  
 زمان من الأزمنة لا يخص وقت دون وقت ليوفقهم الطرق الصحيحة المستقيمة التى  
 توصلهم الى الله والى مرضاته تعالى فمن أخلص لله سبحانه وتعالى فى جميع أعماله  
 وبالاخص اذا كان فى ساحة المعركة فان الله لا يد أن ينصره لانه جندى من جنود  
 الحق سبحانه وتعالى صدق بهج ربه وأخلص فى عمله " من المؤمنين رجال صدقوا  
 ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا " (١)

" لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يهايمونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم  
 فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا " (٢)

فمتى علم الله تعالى منا الصدق والاخلاص له ولم نخير ولم نهدل أن نزل  
 السكينة على القلوب وفتح لنا الفتوح التى كان المسلمون الاولون يفتحون وخائفنا  
 من فى الشرق والغرب \*

■ ■ ■

(١) الاحزاب ٢٣ \*

(٢) الفتح ١٨ \*

## المبحث السابع

## التوكل على الله

من أسهل النصر التوكل على الله سبحانه وتعالى وتغويض الأمور إليه والاعتماد عليه لا على القوة أو الكثرة قال ابن فارس " والتوكل وهو اظهار المعجز في الامر والاعتماد على غيرك " (١)

فملى هذا فالمجاهد يظهر عجزه وضعفه ولا يتكل على ما أوتى من حول وقوة ولا على احكام الرأي وأخذ المدة لان هذا كله ليس بكاف في النجاح مالم تقتن به ممنة الله وشوقيه فيجب على المجاهد الاعتماد على الله سبحانه وتعالى بعد الاخذ بالاسباب التي أمر الله تعالى عباده المؤمنين بها من اعداد المدة وحشد القوى واتخاذ كافة الوسائل التي أمر الله تعالى بها ثم مع هذا يفوض أمره الى الله سبحانه وتعالى وقد أمر الله تعالى المجاهدين بالاعتماد عليه وتغويض الامر اليه يقول الله سبحانه وتعالى " فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ، ان ينصرم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصرم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (٢)

يقول تعالى انك يا محمد بسبب رحمة الله عاملت أصحابك بالمعاملة الحسنة التي خصك الله تعالى بها ولو كنت خشنا جافيا في معاملتهم لفسدوا عنك ولم يجتمعوا اليك ولكن الله تعالى ألف بين قلوبهم وجعلهم لك أعوانا على عدوك بسبب رحمتك بهم وعطفك عليهم فلا تراخضهم بالزلازل وتمنهم على كل دقيق وجليل بل يكون المنفس والصح من شأنك واجعل أمرك بينهم بالمشاركة حتى تظهر قدرتهم وقوتهم في الرأي

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٦ ص ١٢٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ ، ١٦٠ .



والمشورة وتأخذ من آرائهم ومدى قدرتهم على القيام بالواجب ولكن اذا عقدت القلب على شىء وامضائه بعد المشاورة وتبادل الآراء فامض وفوض أمرك الى الله سبحانه وتعالى فان من اعتمد على ربه نصره وأخذ بیده وحصل له من القوة ما لا يحصل لغيره " فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين " أى الواثقين بوعده ونصره وتأيدته فينصرهم على عدوهم ويرشدهم الى ما هو خير لهم كما تقتضيه محبته ثم عقب على هذه المشاورة والعزم والتوكل ومحبة المتوكلين عليه بأن النصر لا يكون الا من عند الله تعالى وانه ان نصرهم فلا يمكن أن تغلبهم قوة أبدا مهما كانت القوة ومهما كان نوعها وشكلها " ان ينصركم الله فلا غالب لكم " وهذا بعد ما ذكر التوكل وحب المتوكلين فمعنى هذا اعدوا ما فى وسعكم من القوة وحشد الطاقات والمقاتلين ثم لا تعتمدوا عليها لان الله مالك النصر ومالك القوة ومالك القلب فلا تتكلموا الا على الله الذى يملك النصر ويملك القوة " وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وان يزيد خولاً نكم يضمكم نصره ومعونته ويكلكم الى قوتكم وينزل الرعب نسي قلوبكم ولما كان الاعتماد على الله والابتماد عن الحول والقوة من صفات المؤمنين ختم الآية الكريمة بأمرهم بملازمة التوكل عليه وتفويض الامر اليه فقال " وعلى الله فليتوكل المؤمنون " أى فليزمن الاعتماد على الله من أمن به ويرسله ولا يتكل على قوة أو عدة أو كثرة ولا يخاف من عدوه ولو كثرت وعظمت قوته وجنوده لانه متوكل على مالك النصر ومصرف القلب الذى اذا أراد شيئاً انما يقول له كن فيكون .

وقد أشار القرآن الكريم بأن من توكل على الله كفاه فى جميع أموره دقيقتها وجليلها فقال تعالى " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " (١) أى كافيه فى أموره كلها .

كما أنه جعل التوكل شرطاً فى الايمان وعلامة على صدق ايمان المؤمنين فقال :  
 " وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين " (٢) .

(١) الطلاق ٢

(٢) المائدة ٢٣

أى ان كنتم صادقين فى قولكم بأنكم مؤمنون فعلى الله توكلوا لان الايمان يلزم منه التوكل على الله والاعتماد عليه وبذل النفس والمال فيما يقول لانه صدق بما أخبر الله تعالى به على لسان رسوله وقد كان التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى من صفات الرسل عليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم فقد قال الله عن نوح عليه السلام " واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقصوا الى ولا تتظرون " (١) .

فقد صرحهم بأنه لا يبالي بهم ولا يخاف من تهديدهم لاعتماده على ربه وثقته بوعده بل تحداهم أن استطاعوا النيل منه أو كفه عن دعوته التى دعاهم اليها وهذا المظم ثقته بالله وعدم مبالاته بما يخوفونه به وانه لا يصيبه الا ما كتب الله له وقد ره عليه .

وقد قال ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار " حسبنا الله ونعم الوكيل " وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : " ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان آخر قول ابراهيم حين ألقى فى النار حسبى الله ونعم الوكيل " (٢) .

فابراهيم عليه السلام لم يخف من النار لقوة يقينه وايمانه كما أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم لم يخافوا من قول من قال أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بل قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " أى فهو يكفيننا ما يهمنا من أمر الجموع التى تجمع لنا لانه لا يعجزه شىء أبداً وقد كفى الله ابراهيم النار وصارت برداً وسلاماً على ابراهيم كما كفى الله تعالى نبينا محمداً وأصحابه شر أبى سفيان ومن معه وقذف فى قلوبهم الرعب وانصرفوا خائفين وانما قالوا هذه المقالة من أجل خوفهم من المسلمين لما علموا بخبر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى أثرهم .

(١) سورة يونس ٧١ .

(٢) صحيح البخارى ج ٦ ص ٣٣ .

ولا يخفى أن التوكل على الله سبحانه وتعالى يذهب الضرور والاعتماد على النفس دون الله وتوفيقه فإذا تولى الجاهد في سبيل الله تعالى من حوله وقوته وأظهر عجزه أمام القوى الممزقة فإنه لا بد أن ينصره ويملكه ولا يتركه وقد احتسب بحمى ربه واتصل روحه بالله وتعلق قلبه بقوة من يلتمس النصر منه وتتقى الهزيمة والخزلان من مخالفة أمره فإذا تم الاتصال بالله وظهر الخضوع لمظمته بعد اتخاذ الأسباب التي أمر الله تعالى بها سلم من الضرور الذي هو الاتكال على القوة والاعجاب بالكثرة والعدة لان الاعجاب بالكثرة والعدة اذا وقع في النفوس وكلهم الله الى كثرتهم وعدتهم فاذا وكلهم اليها وقعت الهزيمة كما حدث لاصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقد أخبرنا ربنا عن هذه القضية فقال " يوم حنين اذ اعجبتمكم كثرتم فلم تفن عنكم شيئاً وشاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله مكنتهم على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم ترها وهذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (١)

قال ابن كثير في تفسيره " يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وأحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله وان ذلك من عنده تعالى وتأييده وتقديره لإبصارهم ولا يمددهم ونبيهم على أن النصر من عنده سواء قل الجسمع أو كثر فان يوم حنين أعجبتمهم كثرتم ومع هذا ما أجدي ذلك عنهم شيئاً فولوا مدبرين الا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه " (١) .

فيجب التوكل على الله سبحانه وتعالى وعدم الاغترار بالكثرة أوالعدة لان الله يقول " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين " (٢) .

(١) التوبة ٢٥ و ٢٦

(٢) تفسير ابن كثير ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) سورة البقرة ٢٤٩

## المبحث الثامن

## ذكر الله

ان ذكر الله تسكن اليه القلوب وتأمين به عند الفزع وتعتانس عند ذكر الله كما قال الله تعالى " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب " (١) .

وقال تعالى " وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون " (٢) .

وقد قصى الله تعالى علينا قصص المجاهدين في سبيل الله السابقين لهذه الامة المحمدية وما كانوا عليه من تضرع الى الله وطلب العون والقوة منه ليكون لنا فيهم أسوة فمن هذه القصص قصة طالوت وجنوده عندما برزوا لجالوت وجنوده قال الله تعالى " ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين " (٣) .

" لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ " وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (٤) .

في هذا درس عظيم ودعا بالثبات واطهار لمجزهم الا بقوة مالك القوة الحقيقية فطلبوا من الله الصبر الذي هو الاساس في المعركة وتحمل المشاق فاذا

(١) الرعد ٢٨

(٢) سورة المنكبوت ٤٥

(٣) سورة البقرة ٢٥٠

(٤) سورة يوسف ١١١

حصل الصبر والجلد لم يبالوا بكثرة ولا قلة ثم طلبوا تثبيت الاقدام الذي هو عبارة عن القوة وعدم التحول من المكان الذي في وجوه الاعداء والابتعاد عن العجز والجبن والفرار ودعوا ربهم وطلبوا منه النصر لعلهم أن النصر بيد الله ينصر من يشاء " ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده " (١) .

وكما قص القصص فقد عرض باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما حصل منهم ما حصل يوم أحد بمن كان قبلهم من اتباع الانبياء وحالهم مع انبيائهم فقال سبحانه وتعالى " وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فسى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين " (٢) .

فيلزمكم يا أتباع محمد أن تمشروا بحال اتباع الانبياء السابقين لنبيكم وتصبروا كما صبروا فان دين الله واحد وسنته في خلقه واحدة وكان من سبقكم من الامم مع رسلكم لا يصبروهم الضعف ولا الفشل بل صمدوا في وجوه الكفرة فينبغي لكم أن تعملوا مثلما عملوا وتصبروا مثلما صبروا وتقولوا مثل قولهم فانهم لم يكن لهم من القول عند حلول الكوارث واشتداد الخطوب ونزول الدواهي الا الدعاء وسؤال الله تعالى محو الذنوب وسترها وما تمدوا فيه حدود الشرع وتجاوزوا فيه من الزلات حتى لا يهلكوا في القتال بسبب مقارفة الذنوب وارتكاب بعض المعاصي سواء كبرت أم صغرت كما طلبوا من الله تثبيت الاقدام الذي هو القوة واجتناب العجز والفرار وان ينصرهم على القوم الجاحدين المكذبين لرسلة المنكرين لربوبيته فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة " وحسن ثواب الآخرة " جمع الله تعالى لهم بين ثواب الدنيا والآخرة وذلك بنيل رضوان الله ورحمته والقرب منه والله يحب المحسنين " ومع ما جمع الله تعالى لهم من الاجر الديني والآخرى

(١) سورة آل عمران ١٦٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٤٦ - ١٤٨ .

فان الله يحبهم لانهم أحسنوا في أعمالهم مع رسوله و مع نبيهم وعلى هذا فيجب على المسلم أن يأخذ الدروس من هذا الذي علمه ربه لان أدب اتباع الرسل السابقين لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أمر الله تعالى اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بذكره وطلب النصر من عند الله فقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " (١) .

في هذه الاية أوجب الله تعالى على المؤمنين الثبات وحرّم عليهم الفرار كما ألزمهم ذكر الله كثيرا حتى لا يفتر المسلم بقوة أو عدة يقول القرطبي رحمه الله تعالى " وللملما في هذا الذكر ثلاثة أقوال :

- الاول : اذكروا الله عند جزع قلوبكم فان ذكره يمين على الثبات في الشدائد .
- الثاني : اثبتوا بقلوبكم واذكروه بالسنتكم ، فان القلب لا يسكن عند اللقاء وضطرب اللسان ، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين ، وثبت اللسان على الذكر ويقول ما قاله أصحاب طالوت " ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين " وهذه الحالة لا تكون الا عن قوة المعرفة واتقاد البصيرة وهي الشجاعة المحمودة في الناس <sup>ابن عباس</sup> .
- الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في اتباعه أنفسكم ومثابنته لكم - ثم قال - قلت والظاهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان " (٢) .

ويقول ابن جرير في قوله " واذكروا الله كثيرا " ادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم واشمروا قلوبكم والسنتكم ذكره " (٣) . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويطلب منه النصر وهزيمة المشركين كما ورد في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " اللهم منزل الكتاب ومجري المحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم " (٤) لفظ البخاري .

(١) سورة الانفال ٤٥

(٢) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٣

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ج ١٠ ص ١٤

(٤) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤١ وانظر صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٢ ص ٤٧

وفي رواية في الصحيحين أيضا عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب على المشركين فقال : " اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اللهم اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وتلزمهم " (١) لفظ البخارى .

وروى البخارى في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر " اللهم انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد ، فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك ، فخرج وهو يقول " سيهنم الجمع ولون المدير " (٢)

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ربه ويدعوه ويتضرع اليه ويظهر الذل والخضوع له حتى لا يكله الى نفسه أو الى أحد من خلقه وكذلك علم أصحابه الكرام هذه الآداب والدعوات الفاضلة التى تصلهم بالله وتربطهم بالقوى العزيز الذى لا يخيب من لجأ اليه وطلب النجدة ، والمؤمن منه وتبرا من حوله وقوته وتوكل على الله وفوض أمره الى مولاه فإنه يجيب دعوة الداعى اذا دعاه ويكشف ما حل به فى العلمات كما قال تعالى " أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء " ويجعلكم خلفاء الارض آله مع اللسه قليلا ما تذكرون " (٣) .

وقال " واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون " (٤) .

وقد جعل الله تعالى الذى لا يدعوه مستكبرا عن عبادته ثم وعد دخول النار وهو صاغر فقال تعالى " وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين " (٥) .

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ٣٥ وانظر صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٢ ص ٤٧

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ص ٦٢

(٣) النمل ٦٢

(٤) البقرة ١٨٦

(٥) سورة غافر ٦٠

وقد استجاب الله تعالى لدعوات المؤمنين وخص المهاجرين والمجاهدين فقال تعالى " فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بمضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم واونذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا الاكافرين عنهم سيئاتهم ولاد خلنهم جناب تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب " (١) .

• هذا من فوائد الدعاء وأثره وهى كثيرة لا يكاد حصرها .

■ ■ ■



## المبحث التاسع

### الصبر

والصبر كما عرفه الراغب الاصفهاني حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بحسب اختلاف مواقفه فاذا كان حسب مصيبة سمي صبرا لاغير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائه مضجرة سمي رجا الصدر ويضاده الضجر وان كان في امساك الكرم سمي كتمانا ويضاده الهذر وقد سمي الله تعالى ذلك كله صبرا \* (١) .

من هذا التصريف ظهر أن الصبر تحمل المشقة ومغالبة النفس وحبسها على ما يخالجهما من الجزع والجبن والضجر حتى تسمو الى أقصى غاية الشجاعة والتحمل وضبط الاعصاب وعدم التهور والوقوع في محارم الله .

قال ابن كثير رحمه الله " والصبر صبران فصبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل الطاعات والقربات والثاني أكثر ثوابا لانه المقصود .

وأما الصبر الثالث وهو الصبر على المصائب والنوائب فذاك أيضا واجب كالاستفغار من المسايب كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الصبر في بايين الصبر لله بما أحب الله وان ثقل على النفس والابدان والصبر لله عما كرهه وان نازعت اليه الالهواء فمن كان هكذا فهو من الصابرين الذين يسلم عليهم ان شاء الله \* (٢) .

(١) مفردات الراغب الاصفهاني ص ٢٧٣ مطبعة الحلبي بمصر عام ١٣٨١ هـ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩٦ .

فصار الصبر ثلاثة أقسام صبر على طاعة الله وصبر عن ممصيته الله وصبر على  
أقدار الله المؤلمة وقد اجتمع في الجهاد في سبيل الله منها نوعان :

النوع الاول - الصبر على طاعة الله : حيث امثل أمر الله مع ما في هذا النوع من  
المشقة على النفس ومفارقة الاهل والمال والوطن وتحمل المشقة في سبيل ذلك  
مع بذل النفس والمال .

النوع الثاني - تحمل المصائب في الجهاد وما يصيبه من قتل الابن والصديق  
والقريب وما قد يصيب المجاهد في نفسه من قتل أو جراح أو ذهاب ماله  
في المعركة وغير ذلك من المصائب وهذه أقدار مؤلمة لا يتحملها الا أهل  
الايان الذين عرفوا فضل الصبر والتحمل في طاعة الله والصبر على أقداره  
المؤلمة ولهذا منح الله سبحانه وتعالى أهل الصبر من فضائله ما لا يقدر  
قدره فقد قال الله تعالى في جزاء هؤلاء الصابرين " انما يوفى الصابرون  
اجرهم بخير حساب " (١) .

فمعنى بخير حساب أن الله يمطيهم ثوابهم من غير مقدار ولا حكيال وأورد  
ابن كثير عن علي بن الحسين زين العابدين قال " اذا جمع الله الاولين والآخرين  
يفادى مناد أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب فيقوم عنق من النسياس  
فتلقاهم الملائكة فيقولون الى أين يا بني آدم ؟ فيقولون الى الجنة فيقولون قبل  
الحساب ؟ قالوا نعم ، قالوا ومن أنتم قالوا نحن الصابرون ، قالوا وما كان صبركم؟  
قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن ممصية الله حتى توفانا الله ، قالوا أنتم  
كما قلتم ادخلوا الجنة فنم أجر العابدين - ثم قال رحمه الله - (قلت) .

يشهد لهذا قوله تعالى " انما يوفى الصابرون أجرهم بخير حساب " (٢) ولا  
يخفى أن قوة المجاهد تكمن في قوة صبره واحتماله على مشاق القتال ومصارلة الابطال  
مجاهرة الشجعان والصبر المتواصل الذي لا يعرف الكلل ولا اللل لان من لا صبر

(١) سورة الزمر ١٠

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩٧ .

له على القتال والرياط لا يمكن أن ينتصر على خصمه ولقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على الصبر ومدافعة الظلم وتحمل الأذى غير مباليين بما نالهم من المذاب والشدة والبأس حتى مكن الله تعالى لهم في الأرض ومكثهم من رقاب أعدائهم ثم مع هذا فقد تحملوا هذه المصائب ولم يأخذوا بالثأر لأنفسهم فعندما فتح الله تعالى عليه مكة المكرمة لم ينتقم لنفسه ولا لأصحابه الذين عذبوا أو شردوا بل قال عندما تمكن منهم أذهبوا فأنتم الطلقاء\* ولما كان الجهاد في سبيل الله والدعوة المقصود منها إخراج الناس من الظلمات إلى النور راحم الله تعالى على الصبر والتحمل وعدم الجزع ورووضهم بالأعمال التي تعينهم على الصبر فقال تعالى \* يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين \* (١) .

يقول الله سبحانه وتعالى واستعينوا على طاعة الله سبحانه وتعالى واقاموا دينكم والسب عنه وظي جميع ما يشق عليكم من مصائب الدنيا بحبس النفس وتوطئتها على احتمال المكاره والصلاة لان فيها تلاوة القرآن الداعية آياته الى ترك الما صي والتعلق بالدنيا والانشغال بها يسلى النفوس ويمينها على فعل أوامر الله والابتعاد عن مآصيه .

( ان الله مع الصابرين ) على القيام بالطاعة ومادا الفرائض وترك الما صي ينصرهم الله تعالى ويحفظهم حتى يظفروا بالمطلوب والمأمول لان الله معهم ويرعاهم .

قال ابن جرير \* فان قال لنا قائل : قد علمنا معنى الامر بالاستمانة بالصبر على الوفاء بالمهد والمحافظة على الطاعة فما معنى الامر بالاستمانة بالصلاة على طاعة الله وترك مآصيه والتمدى عن الرياسة وترك الدنيا قيل : ان الصلاة فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياته الى رفض الدنيا وهجر نصيبتها \* المسلية النفوس عن زينتها وغرورها المذكورة الآخرة وما أعد الله فيها لاهلها ففي الاعتبار بها المعونة لاهل طاعة الله على الجد فيها كما روى عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه كان اذا حزه أمر فمزج الى الصلاة \* (٢) .

(١) سورة البقرة ١٥٢

(٢) تفسير ابن جرير ج ١ ص ٢٦٠

ولما كان الامر لا يد فيه من تضحية واخلاص وعدم مبالاة بما يصيب النفس والمال والولد مع تحمل الاذى الذى يلقونه من أهل الكتاب والمشركين قال الله تعالى لهم يوطن نفوسهم ويقوى عزائمهم ويذكرهم بأن التقوى والصبر أفضل ما يتحلى به المسلم " لتهلون فى أموالكم وأنفسكم ولتصعبن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذ لك كثير وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور " (١) قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة والمزم ما عقد عليه القلب من أمر أنت فاعله " (٢) فعلى هذا يكون معنى عزم الامور شدتها وصلابتها .

كما أن الله سبحانه وتعالى قال للمؤمنين أنه لا بد لكم من ابتلاء واختبار بأنواع الشوف ومغزى المصائب فى المصائب من جوع ونقص فى الثمار وفقدان الانفس بالقتل والموت وذهاب الاموال حتى يظهر الصادق فى ايمانه من المناق المطرب الذى يظهر خلاقها بيبطن يقول الله تعالى " ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وشعر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " (٣) .

فقد بشر الصابرين الذين آمنوا بالقضاء المكتوب ولم ييأس بما حل من المصائب ثم أخبر عن مقالهم اذا ألم بهم شىء من أنواع المصائب التى قد تغد الشهور ولكنهم عند حدوث أى هاجس على القلوب يريد أن يفتح للشيطان طريقا الى الوسوسة يتذكرون ما هم فيه من الايمان بالقضاء والقدر وانهم فى ملك الله وتحت تصرفه وماض فيهم حكمه فمئند ذلك يقولون ان المبدأ والمرجع الى الله فكان جزاؤهم أن غفر الله تعالى لهم ورحمهم وبارك عليهم وشرفهم فى الدنيا والاخرة وهداهم طريق الحق والصواب .

ثم تأتى آية أخرى تصف المؤمن بالصبر على كل حال سواء كان ذلك فى حالة

(١) سورة آل عمران ١٨٦

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٤ ص ٣٠٨

(٣) سورة البقرة ١٥٥ - ١٥٧

الرخاء والشدة يقول تعالى " والصابرين في البأساء والضراء " وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " (١) .

وكذلك قرر القرآن الكريم أن الجهاد من أجل الاختبار والامتحان حتى يظهر أهل الصبر والجلد والايان الصادق يقول الله تعالى " ولنبلونكم حتى نعلمم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم " (٢) .

وكرر نفس المعنى من الجهاد والصبر وأن الجهاد جعل لتمييز الخبيث من الطيب فقال الله تعالى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " (٣) .

فعلم مما تقدم أن الصبر أساس كل نجاح في جميع الاعمال وان من لا صبر له لا يقدر أن يربي أسرة فكيف يرجى منه تربية أجيال تصمد دون مبدئها وتربي الناس عليه ولا يخفى أن الصبر من سنن الانبياء والمرسلين وقد أمر الله تعالى نبيه بالاعتصام بالصبر فوجب على اتباعه أن يملكوا طريقه الذي أمره الله تعالى به كما أمر به جميع رسله يقول الله تعالى " فاصبر كما صبر أوليوا العزم من الرسل ولا تستمجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار " (٤) .

فلما كان الجهاد أشق الاعمال على الانفس فقد أمر الله تعالى المجاهدين بالصبر لما فيه من المواقب الحميدة " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " (٥) .

وقال تعالى أيضا " يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم

- 
- (١) سورة البقرة ١٧٧ .  
 (٢) سورة محمد ٣١  
 (٣) سورة آل عمران ١٤٢  
 (٤) سورة الاحقاف ٣٥  
 (٥) سورة آل عمران ٢٠٠

عشرون صابرون يخلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يخلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الان خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يخلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يخلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين \* (١) فقرر أن الصبر هو أساس الخلبة والقوة سواء ما كان قبل التخفيف أو بعده فعلم من هذا أن مدار المعركة متوقف على الصبر لان من لا صبر له على مقارعة الخصوم ومما ولتهم مجاولتهم وملازمة الثغور لا يمكن أن ينتصر على خصمه ولما كان الصبر هو أساس الانتصار في المعركة طلب طالوت من الله تعالى أن يفيض عليه هو وأصحابه المؤمنين صبرا فقال تعالى عنهم \* ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين \* (٢) .

فقد طلبوا من الله تعالى الصبر وثبتت الأقدام والنصر فهذه آداب عظيمة تربي عليها الجنود وتربي عليها الأم التي تريد أن تبني صرحا مجيدا مؤسسا على العدل والانصاف فاجدر الناس بهذا العدل والانصاف وعدم الميل والظلم هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم على منهج مستقيم وعلى صراط لا عوج فيه ولا أمنا ولما كان بلوغ هذه المملكة أو الدولة شاقا على الانفس لا يتحملة الا المظالم الذين لا يريدون الا اخلاص الامم من جور الاديان الى عدل الاسلام كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقدمتهم يقول أبو موسى الأشعري رضى الله عنه \* قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بحير نعتقه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظافري وكنا نلف على أرجلنا الخرق فسويت غزوة ذات الرقاع لما كنا نمصب من الخرق على أرجلنا \* (٣) .

في هذا الحديث بيان لما تحمله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشاق والصعوبات في غزواتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا يخرجون في أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجدون ما يركبون عليه مع طول

(١) سورة الانفال ٦٥ ، ٦٦

(٢) سورة البقرة ٢٥٠

(٣) صحيح البخارى ح ٥ ص ٩٤ وصحيح مسلم مع شرح النووي ح ١٢ ص ١١٧

السفر ومد المسافة وتحمل الرمضاء والحصى فكانوا كما ذكر عنهم أبو موسى رضى الله عنه اذا صار لواحد منهم بعير يتماقبونه يعنى أن كل واحد يركب مسافة ثم ينزل فيركب الاخر بمده حتى يستمينوا على بمد الشقة وطول السفر فكانوا اخوة متماونين على كل خير حتى حصل لهم من النصر ما لم يحصل لغيرهم بسبب تضحيتهم وصبرهم على تحمل المشاق ومددهم عن النفاق والرياء والسمة فقد تفرحت أقدامهم وسقطت أظفارهم من شدة وهج الحر وضرب الاحجار للاقدام أثناء المشى حتى صار الرجل يمصب على قدميه الخرق لتقيه حر الرمضاء وضرب الحجارة فجمع هذا فهم يتحملون الجوع والمطش صابرين لله طالبيين لثوابه وجزائه فقد كانوا يخرجون نسي الفزوات والمرايا غير مهالين بما يحصل لهم من هذا كله كما حصل لهم فى سرسة الخبط فقد روى البخارى وغيره عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال " بمث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثا قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة فخرجنا وكنا بيمض الطريق فنى الزاد ، فأمر أبو عبيدة بازواد الجيش فجمع فكان مزودى تمر فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فنى فلم يكن يصيبنا الا نمره نمره فقلت فما تشنى عنكم نمره ؟ فقال لقد وجدنا فقد ها حين فنيت ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الظرب فأكل منها القوم ثمان عشرة ليلة " وفى بيمض طرق الحديث حتى أكلنا الخبط نسي ذلك الجيش بجيش الخبط " (١) .

والظرب الجبل الصغير وقيل اذا كان منبسطا ويسمى بالفالى " (٢) .

أما الخبط فهو ورق الشجر عند ما يضرب ليسقط " (٣) .

وكذلك ما تحمله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة المصرة السنى فضح الله تعالى بها المنافقين وبين نواياهم الخبيثة التى لا تدل الا على خسة نسي الطبع وضمف فى المزم فقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بيميدا ومسازا وعدا كثيرا فجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أمر هذه الفزوة وأخبرهم بوجهه ليتأهبوا أهبة غزوههم - وكان اذا أراد غزوة ورى بغيرها -

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ١٣٦

(٢) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٩

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٢ ص ٢٤١

وكانت هذه الفزوة حين طابت الشار والظلال " (١) .

فمنذ هذا ظهرت أحوال المنافقين وانكشف أمرهم وانتهك ستورهم وظهر النفاق وتكلم أهله بما عرفوا به فمنهم من قال " لا تنفروا في الحر ومنهم من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لحيطنة بالكافرين " (٢) .

وقال الله تعالى عنهم لحبهم لمرض الدنيا من غير مشقة ه ولا كلفة " لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تيممك ولكن بمدت عليهم الشقة وسيلقون بالله لسو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون " (٣) .

فكانت هذه الفزوة فحفا واختبارا لاهل الصبر والجلد والايان الصادق الذي لا يخالطه ريب من المنافقين الكاذبين الذين يقولون مالا يفعلون فمن هذا يتبين أنه يجب على من أراد نصر دينه واعلاء كلمة ربه الصبر والثبات في ساعة المصرة حتى يمكنه الله من النصر والتأييد لان نصر الله قريب ولا يحول دونه الا الذنوب والمخالفات لاوامر الله سبحانه وتعالى فاذا وجدت طاعة الله ووجد من يوجه جنوده الوجهة الصحيحة فلن يفلح جند يريد الله والدار الاخرة وانما هي احدى الحسين اما النصر واما الشهادة وقد أكد الله سبحانه وتعالى محيته ونصره وتأييده للمؤمنين يقول تعالى " ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تمودوا فقد ولن تضني عنكم فتكم شيئا ولو كرت وان الله مع المؤمنين " (٤) .

ففيما كبرت قوى الشر أو عظمت قوتها فانها مظلومة باذن الله الذي يملك البشر وما عمل البشر وانما يطلب من المؤمنين الامتثال لاوامره والابتماد عن مناهيه ثم ان فوائد الصبر أكثر من أن تحصر فلا يوجد عمل يوصل الى عاقبة حميدة الا كان الصبر هو أساسه منها حصول الصابرين على نصر الله ومعينته وصحبته واعانته وتسليم الملائكة

(١) انظر صحيح البخارى ج ٦ ص ٤

(٢) سورة التوبة ٤٩

(٣) سورة التوبة ٤٢

(٤) سورة الانفال ١٩



عليهم في دار الخلود وثابته اجره باحسن ما كان يعمل كما أنه يورث النور  
 والنجاة يوم القيامة وغير ذلك من فضائل الصبر التي لا تكاد تحصر فواجب  
 للمعلم التحلي بهذه الفضيلة العظيمة التي توجب له جميع أنواع الخير  
 والعلامة من كل مكسره .

\*\*\*

## المبحث المباشر

### تحريم الفرار من الزحف

ان الفرار من المعركة جريمة من جرائم الذنوب وموقفة من الموقفات التي تحبط الاعمال وكبيرة عظيمة من الكبائر المهلكات ولهذا توعد الله تعالى أهل الفرار بأبشع العقوبات وأفظمها فقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار زه ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحسبا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير " (١) .

والزحف قال في القاموس والزحف الجيـش يزحفون الى المدو " (٢) وقال القرطبي " زحفا " الزحف الدنو قليلا قليلا وأصله الاندفاع على الالية ، ثم سى كل فاشقى فى الحرب الى آخر زاحفا والتزاحف التدانى والتقارب يقال : زحف الى المدو زحفا وازدحف القوم أى مشى بعضهم الى بعض " (٣) .

فهذا نداء من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله وتذكير منه بهذه الصفة اللازمة لهم وهى اتصافهم بالايمان فعلى هذا الوصف يلزم من أهله الثبات فى المعركة عند ملاقات الكفرة الظلمة لانهم قد باعوا أنفسهم وأموالهم من الله وموضهم الجنة وحرم عليهم الفرار والخوف من الموت لان الاجل مكتوب وله ساعة مقدرة متى جاءت لا يمكن أن يتأخر عنه ولا يتقدم عليه ولا يكون الفرار من الممارك مبعدا أو مؤخر عنه ولو لحظت فوجب على أهل الايمان بالله ورسله عدم الفرار وتولية الادبار وان لا يعطوهم ظهورهم واقفيتهم منهزمين ثم توعد من حصل منه الفرار بأبشع العقوبات وهى سخطه ومرجمه الذى يرجع اليه هو جهنم وبئس المرجع

(١) سورة الانفال ١٥ ، ١٦

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٥١

(٣) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٨٠

الذى يرجع اليه من هرب يطلب الامن والسلامة من الموت فكان عقابه اشد مما فر منه

قال القرطبي رحمه الله تعالى " اذا تدانيتم وتماينتم فلا تغفروا عنهم  
وتمطوهم اذ باركم حرم الله ذلك على المؤمنين حين يفرض عليهم الجهاد وقتال  
الكفار قال ابن عطية : والادبار جمع دبر والمباراة بالدبر فى هذه الاية متمكنة  
الفصاحة ، لانها بشمة على الفار وذامة له " (١) .

ويقول المرافى فى تفسير هذه الاية ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال  
او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير " وذلك أن  
المنهزم أراد أن يأوى الى مكان يأمن فيه الهلاك ، فمقوب بجمل عاقبته دار الهلاك  
والمذاب الدائم وجوزى بضد غرضه " (٢) .

ومن أجل هذا كان الفرار من المعركة جريمة عظيمة وكبيرة من كبائر الذنوب  
توجب لصاحبها الهلاك والمذاب الاليم الا من كان متحرفا لقتال او متحيزا الى  
فئة ، التحرف الزوال عن جهة الاستواء فالمتحرف من جانب الى جانب لمكايده  
المدو غير منهزم وكذلك المتحيز اذا نوى الانتقال الى طائفة من المسلمين ليستعين  
بهم فيعود الى القتال غير منهزم " (٣) .

أقوال العلماء فى حكم الفرار من الزحف ومضى

يجوز ومضى لا يجوز

اختلف العلماء فى حكم هذه الاية الكريمة فقال بعضهم انه خاص بيوم بدر ذكر  
ذلك ابن جرير واسنده الى أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال " انما كان ذلك  
يوم بدر لم يكن للمسلمين فئة الا رسول الله فأما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة

(١) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٢٨٠

(٢) تفسير المرافى ج ٣ ص ١٢٩

(٣) انظر تفسير القرطبي مع بعض التصرف ٢٨٣ .

لبعض " وذكر مثله عن الضحاك والحسن البصرى .

وساق بسنده الى الحسن البصرى قوله " كانت هذه يوم بدر خاصة ليس الفرار

من الزحف من الكباثر " .

وكذلك نافع وقتادة وزيد بن أبى جبيب (١) .

واستدوا على ذلك بقوله تعالى فى هذه الآية " ومن يولهم يومئذ دبره " الآية فقالوا هذا اشارة الى يوم بدر وأنه نسخ حكم الآية بآية الضعف وبقي حكم الفرار ليس بكبيرة وقد فر الناس يوم أحد فمفنا الله عنهم وقال " انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم " ثم كان يوم حنين بعد ذلك بضع سنين فقال ثم وليتم مدبرين " ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء " ولم يقع تصنيف على ذلك (٢) وقال آخرون وهم الجمهور كما ذكر ذلك القرطبى رحمه الله الآية محكمة وليست منسوخة بل حكمها باقى الى يوم القيامة وأما استدلال الفريق الاول بقوله تعالى " ومن يولهم يومئذ دبره الا متحسراً " الآية فانما ذلك اشارة الى يوم الزحف الذى يتضمنه قوله تعالى : " اذا لقيتم فئة " - وهذه الفئة عامة فى أى وقت وفى أى زمان كما يقيد السياق القرآنى لا يخص يوم بدر دون غيره من الممارك كما أن الآية نزلت بعد انتهاء معركة بدر وذهب ذلك اليوم بما فيه وأما آية الضعف فأنها لم تكن ناسخة لهذه الآية وانما هى مخصصة لها وهو أنه لا يجوز الفرار من الضعف ويجوز الفرار بأكثر من الضعف كما فى آية التخفيف .

وعلى هذا فانما فر من فر يوم أحد لانهم قابلهم أكثر من الضعف وأيضاً فقد عاتبهم الله تعالى على ذلك وأما يوم حنين فانما انكشفوا عن المباغته التى فوجئوا بها ثم عادوا وكروا عليهم حتى ألجأهم الى الفرار (٣) .

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أخبر فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال " اجتنبوا السبع الموقات قيل يا رسول

(١) انظر جامع البيان ج ٩ ص ٢٠١ ، ٢٠٢

(٢) انظر المرجع السابق والقرطبى بتصريف ج ٧ ص ٣٨١

(٣) انظر تفسير القرطبى بالمعنى ج ٧ ص ٣٨١

الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" (١) .

فدل الحديث مع القرآن الكريم على عظم الفرار من الزحف وانه كبيرة من كبائر الذنوب التي يجب على المسلم أن يبتعد عنها لانها مهلكة له ومع ذلك فان الفرار لا ينجي من الموت وخوض المعركة لا يقرب منه أيضا فاذا آمن المسلم بهذا كله هانت عليه نفسه في الله وعلم أن الفرار من عظام الذنوب صمد لله حتى يلقي ربه سبحانه وتعالى أو يفوز بالظفر لانه لا يريد الا احدي الحسنين أما النصر وأما الشهادة .

ثم أن الفرار من المعركة يتبع الفرصة أمام العدو ويجعله يقاتل ولا يقاتل ويضرب ولا يضرب وهذا يدل على أن الفرار يكون سببا في هلاك من فر وأنه ليس به مانع منه أبدا ولهذا ورد في القرآن الكريم النعم على الفرارين وأن الموت لا ينجي منه الخوف وتولية الادبار يقول الله سبحانه وتعالى : " قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تتممون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا" (٢)

كما أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن التحصن وأخذ كل ما من شأنه أن يحيى البدن ويقيه من الهلاك لا يمنع من الموت أبدا فقال سبحانه وتعالى " أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" (٣) .

وقال تعالى : " قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" (٤) .

وكذلك قوله تعالى " كل نفس ذائقة الموت" (٥) .

(١) انظر صحيح البخارى ج ٨ ص ١٤٦ وصحيح مسلم مع شرح النووي ج ٢ ص ٨٣

(٢) الاحزاب ١٦ ، ١٧

(٣) النساء ٧٨

(٤) الجمعة ٨

(٥) آل عمران ١٨٥

كما أن اللّه سبحانه وتعالى حذر المؤمنين من انصافهم الكافرين الذي يسن  
يعترضون على قدر الله سبحانه وتعالى اذا حدث موت في سفر أو جهاد في سبيل  
الله فقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا  
ضربوا في الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك  
حسرة في قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير" (١) .

وقال تعالى " قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كب عليهم القتل السي  
مضاجعهم" (٢) فتقرر من هذا أن الفرار لا ينجى من الموت وان الانسان لو حاول أن  
يحصن نفسه بكل حصن ما سلم من الموت فافضل الموت موت الشهادة لهذا يقول الله  
تعالى فيهم " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم  
يرزقون" (٣) .

كما أن اللّه سبحانه وتعالى يرفع ممنوية المقاتل في سبيل الله ويحط من قسوة  
ومعنوية من يقاتل في سبيل الطاغوت فقال سبحانه وتعالى " الذين آمنوا يقاتلون في  
سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد  
الشيطان كان ضعيفا" (٤) .

" الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله " ان هذه الكلمة تعنى جميع سبل الخير  
تعنى اقامة شريعة الله المضادة لشريعة الجاهلية تعنى رفع الظلم والاخذ على أيدي  
الظلمة تعنى اقامة العدل والانصاف في الارض وبين البشر تعنى تحقيق منهج الله  
واقرار شرعه تعنى أن تكون الدولة لله والحكم لشرح الله تعنى أن تكون كلمة الله همسى  
المليا وكلمة الذين كفروا السفلى كما أن الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت  
تعنى طرق الشر باجمعها فهى تريد أن تكون الدولة والحكومة للجاهلية الطاغوتية

(١) آل عمران ١٥٦

(٢) آل عمران ١٥٤

(٣) آل عمران ١٦٩

(٤) سورة النساء ٧٦

التي لا تبني الا على رغبات فئة من الناس وتريد أن يبقى الظلم والظلمة هم المتسلطون على العباد واقرار مناهج شتى وقوانين الظلمة والامتداد ثم أن الله تعالى أراد أن يعمل من قيمة المؤمن حتى يستبسل في تحقيق هدفه وابلاغ غايته ويملم أن الله تعالى هو الذي كلفه بهذا القتال لاعلاء كلمته وابلاغ رسالته فلا يبالي بمن وقف في طريقه ويتجاوز العقبات فلا تخور عزائمه ولا يبالي بالاعداء كثيرا لهم قلوبا لانه مستند الى قوة الله وعظامته وسلطانه فلا يصرغ الفرار ولا يولى الابد بار لانه يصرغ حرمة وعظمته عند الله وجزاء من فر من وجوه خصومه ويصرغ ضعف مستند قوة أولياء الشيطان وان كيد الشيطان كان ضعيفا فلا يبالي بمن كان عون له وعضده الشيطان وحزب الشيطان وكل من خرج على منهج الله فهو من حزب الشيطان الذي أورد اقباعه يوم بدر الموت ثم " نكص على عقبيه وقال انى برى منكم انى أرى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب " (١) .

وهذه نتيجة اتباع الشيطان وولايته لمن تولاه وترسم خطاه بخلاف ولاية الله الذى أخرج عباده من الظلمات الى النور

■ ■ ■

## الخاتمة

عرفنا مما تقدم من بحث الرسالة أن الله فرض الجهاد على سائر الأمم واتباع الرسل حتى يرفعوا الظلم من البلاد والمباد ومعبد الله وحده كما أن الجهاد نفسى سبيل الله له آثار عظيمة حسية ومعنوية فقد وضع من خلال تتبع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية أمور منها :

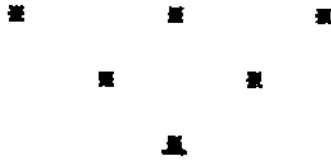
- ١ - عناية القرآن الكريم بهذا المبدأ العظيم فقد جند كل القوى والطاقات ودعى اليه بالنفس والمال وحذر من تركه وحالج كل المشاكل التي تحول دون القتال أو تخوف من فرضه وكراهيته وثقله على الانفس وهذا لان عز الدين الاسلامي وغيره من الاديان السماوية لاتقوم الا على اكاف حمايتها ودعاتها وأهل النجدة والقوة من أتباع الرسل فتمت فقدت المتأية بالقوة وأهلها ضحف سلطان الاسلام وذهب عزه وتقلصت أطرافه وقل انتشاره ولهذا عنى به وشغل معظم الآيات القرآنية والاحص السور المدنية وذلك بعد فرضه على المسلمين .
- ٢ - وقوع المسلمين اليوم فى الاثم العظيم الذى حذرهم الله تعالى منه وأخبرهم أنهم اذا تركوا هذا المنهج وهو الجهاد فى سبيل الله وقموا فى أعظم ما خافوا منه وهو تسلط عدوهم عليهم وتحكمهم فى رقابهم وأموالهم وأوطانهم حتى يراجسوا دينهم ويقوموا بتماليه ومملوا بتوجيهاته .
- ٣ - وجوب مجاهدة النفس وتمويدها على فعل الخيرات وملازمة الطاعات وكفها عن متابعتها الهوى واللذات .
- ٤ - وجوب مجاهدة الشيطان بدفع وساوسه وما يلقى من الشبهات وزين مسن الشهوات وطريقة معالجته ومجاهدته حتى نعلم من كيدته ومكره .



- ٥ - سب تأخر المسلمين جهلهم دينهم وتعاليمه السامية وظن بعضهم بأنه لا يساير ركب الحضارة الحاضرة وأن عصره الذي مضى لا يصلح لمصر التطور الحضارى والصناعى وهذه جناية على الاسلام من أهله ولم يكن هو الجانى عليهم بل ضيموا تعاليمه وابتعدوا عن مناهجه فضاعوا وتأخروا عن التقدم الحضارى الحديث .
- ٦ - تدج الجهاد فى سبيل الله من الدعوة والبلاغ الى الاذن فى القتال ثم الى فرضه قتال المقاتل ومسالمة المسالم ثم فرضه قتال جميع الكفار كما أنه تدج فى غيره من شرائع الاسلام .
- ٧ - تحمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زما أصحابهم من العذاب والاذى فى سبيل دعوتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبرهم وقوة ايمانهم بالله ورسوله .
- ٨ - غاية الجهاد فى سبيل الله أولا الدفاع عن المسلمين ثم محو الشرك من الارض وازالة الاحكام الجائرة المضادة لحكم الله فى الارض .
- ٩ - مقصود حملات المستشرقين والمبشرين تغيير المالم من الجهاد فى سبيل الله ثم تركه والاستسلام لهم والخضوع لقوتهم وهذا من أجل خوفهم من اسم الجهاد فى سبيل الله لعلهم أنه يجمع شتات المسلمين ويوحد صفوفهم ويكونون قوة تصمد فى وجوه أعداء الله تزول الجبال وهم لا يزولون عمن عقيدتهم لانهم يقاتلون من أجل احدى الحسنين اما النصر واما الشهادة وطمئنتهم هذا من غزوهم الفكرى لانهم لما عجزوا عن مقاومة المسلمين عسكريا غزوهم بالطمع فى مبادئ دينهم وتشويهها حتى ينفروا المسلمين عن تعاليم دينهم وما فيه من القوة والمظمة وقد نجحوا فى هذه الحيلة الماكرة وصار الجهاد فى سبيل الله لا يذكر بين المسلمين وانما قتالهم وحروبهم من أجل غير الاسلام والمسلمين وقد عدلوا عن الجهاد الى الحروب القومية والوطنية فهانوا على الله فوكلهم الله الى قومياتهم ووطنياتهم .

- ١٠ - ارضاء المستشرقين والمبشرين لا يحصل لنا مهما قدمنا لهم من المبررات حتى نتبع ملتهم فإذا ترك المسلمون دينهم عيادا بالله ودخلوا في نصرانيتهم أو يهوديتهم رضوا عنهم فالواجب على المسلمين التمسك بنصوص كتاب الله وسنة رسوله والاعراض عن من لا ينفع معه الجدل والمحاورات .
- ١١ - رحمة المسلمين إذا غلبوا وقسوة المستعمرين إذا تسلطوا .
- ١٢ - فضل الجهاد في سبيل الله لا يمد له شيء من الاعمال بحسب القياس وكثرة النصوص الواردة في ذلك إلا الفرائض .
- ١٣ - الجهاد في سبيل الله مصدر عز المسلمين وقوتهم وهنأون مجدهم .
- ١٤ - خطورة ترك الجهاد في سبيل الله توجب المقومة المأجلة والاجلة لانه فرضة من فرائض الاسلام يلزم المسلمون القيام بها وتركها يوجب المقومة والاثم .
- ١٥ - الخلافة في الارض مشروطة بالقيام بأوامر الله تعالى والابتعاد عن نواهيه وتحمل الامانة التي حملها الله تعالى أهل الايمان والمسئولية التي هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بالواجبات من صلاة وزكاة وغيرها .
- ١٦ - العناية بالمسلمين وتربيتهم على الاخلاق الفاضلة وتقوية الروح الايمانية والاخوية في نفوسهم واعداد القوة بجميع أنواعها وتدريبتهم عليها .
- ١٧ - أن طاعة الله ورسوله وطاعة ولي أمر المسلمين والابتعاد عما يوجب الفرقة بين صفوف المسلمين والتوكل على الله وصلاحه ذكره . سبب من أسباب نصر الله تعالى للمؤمنين .

هذا وأرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في معالجة هذا الموضوع  
الذي أهمله المسلمون وأن أكون قد كشفت لهم عن موطن الداء الذي حصل  
لهم بسببه ضعف شوكتهم وتفرق كلمتهم وضياع حقوقهم واغتصاب أوطانهم كما أنسى  
قد بينت لهم ما به تكون عزتهم وعلو كلمتهم كما أرجو من الله تعالى أن يجمع  
شمل المسلمين ويميد لهم عزهم ومجدهم وأن ينفع بهذا البحث وجعله خالصاً  
لوجهه الكريم انه ولي ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل صلى الله وسلم على نبينا  
محمد وآله وصحبه وسلم.



قائمة مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - اتقان الوفا في سيرة الخلفاء للشيخ محمد الخضري بك الطبعة التاسعة سنة ١٣٨٣ هـ طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- ٣ - احكام القرآن لابي بكر محمد بن عبد الله بن الصريى الطبعة الاولى عام ١٣٧٨ هـ .
- ٤ - احياء علوم الدين لابي حامد الفزالي طبع دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت-لبنان .
- ٥ - ارشاد العارفين شرح صحيح البخارى للامام القسطلانى الطبعة الاميرية بولاق سنة ١٣٢٤ هـ .
- ٦ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم للقاضي ابي السمود بن محمد العمادى تحقيق عبد القادر احمد عطا الناشر مكتبة الرياض الحديثة .
- ٧ - الاصابة في تمييز الصحابة للامام الحافظ أحمد بن على بن حجر المصقلانى المولود سنة ٧٧٣ هـ المتوفى سنة ٨٥٢ هـ المطبعة الشرقية عام ١٣٢٥ هـ .
- ٨ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي طبع مطابع البدنى بمصر .
- ٩ - آيات الجهاد فى القرآن الكريم للدكتور كامل سلامه الدقس مطبعة دار البيان الكويت .
- ١٠ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد للشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ الطبعة الثالثة مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٩ هـ .
- ١١ - البداية والنهاية للامام الجليل الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ الطبعة الاولى سنة ١٣٥١ هـ مطبعة السمادة بمصر .

- ١٢ - تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى .
- ١٣ - تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى للامام الحافظ ابي الملى محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركسورى الطبعة الثانية الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٤ هـ .
- ١٤ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير طبع دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه .
- ١٥ - تفسير القرآن للشيخ محمود شلتوت .
- ١٦ - التفسير الكبير للفخر الرازى محمد بن حسين القرشى الطبرستانى الطبعة الاولى المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٧٥ هـ .
- ١٧ - تفسير المراغى للشيخ أحمد مصطفى المراغى الطبعة الثالثة عام ١٣٩٤ هـ .
- ١٨ - تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر الناشر محمد سلطان التمنكانى صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- ١٩ - تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر المسقلانى طبع بيروت دار صادر .
- ٢٠ - تهذيب الصحاح لمحمود بن أحمد الزنجاتى تحقيق عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور عطا طبع دار المعارف بمصر .
- ٢١ - الجامع لاحكام القرآن لابي عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى تصوير دار الكتاب المربى للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٨٧ هـ .
- ٢٢ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى الطبعة الثالثة عام ١٣٨٨ هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .
- ٢٣ - جامع بيان العلم وفضله للامام المحدث حافظ المغرب ابي عمرو يوسف بن عبد البر النمري القرطبى الاندلسى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ طبع دار الفكر بيروت .
- ٢٤ - جند الله ثقافة واخلاقا لسعيد حوى الطبعة الثانية .
- ٢٥ - الجهاد الاسلامى للدكتور أحمد غنيم طبع دار المحامى سنة ١٣٩٤ هـ .
- ٢٦ - الجهاد فى الاسلام لمحمد شديد طبع مؤسسة الرسالة بيروت .
- ٢٧ - الجهاد فى سبيل الله لابي الاعلى المودودى نشر الاتحاد الاسلامى المالى للمنظمات الطلابية .

- ٢٨ - الجهاد في سبيل الله لسيد قطب نفس المطبعة السابقة .
- ٢٩ - الجهاد في سبيل الله للدكتور ريف شلبي الناشر دار التراث المصري للطباعة والنشر .
- ٣٠ - الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث لمحمد عزة دروزة نشر دار اليقظة المصرية ومحمد موصلي - دمشق سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٣١ - الجهاد لمحمد اسماعيل ابراهيم الطبعة الثانية دار الفكر المصري .
- ٣٢ - حاشية الباجور على شرح ابن القاسم الفزى على مختصر أبي شجاع ابراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ مطبعة بولاق سنة ١٣٠٧ هـ .
- ٣٣ - حقائق الاسلام وأباطيل خصومه لعباس محمود العقاد طبع دار الهلال .
- ٣٤ - حياة محمد لمحمد حسين هيكل مكتبة النهضة المصرية .
- ٣٥ - خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ صفي الدين أحمد ابن عبد الله ابن أبي الخير المعروف بالخزرجي كتبها محمود عبد الوهاب قائد وصححه محمود غانم غيث طبع بمطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٣٩٢ هـ .
- ٣٦ - رد المحتار على الدر المختار المعروف بحاشية ابن عابد بن محمد أمين بن عابدين الطبعة الاولى .
- ٣٧ - رسالة الجهاد للامام الشهيد حسن البنا ضمن مجموعة رسائله طبع مطابع الاندلس بيروت سنة ١٩٦٥ م .
- ٣٨ - رسالة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي الطبعة الثالثة عام ١٣٩٠ هـ مطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض .
- ٣٩ - روح الممانى في تفسير القرآن والسبع المثاني لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادي المتوفى سنة ١٢٢٠ هـ طبع دار احياء التراث المصري ببيروت .
- ٤٠ - زاد المصيرفسي علم التفسير لابي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن الجوزي طبع المكتب الاسلامي للطباعة والنشر .
- ٤١ - زاد المماد في هدى خير العباد للامام الجليل الحافظ أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥٢ تحقيق محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية .

- ٤٢ - سبل ا سلام للايمير محمد بن اسماعيل الصنعمانى نشر المكتبة التجارية الكبرى  
بمصر الطبعة الرابعة .
- ٤٣ - سلعة الاحاديث الصحيحة - للشيخ محمد ناصر الدين الالبانى - من  
منشورات المكتب الاسلامى .
- ٤٤ - سنن ابن ماجه الامام الحافظ طأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى بن ماجه  
المتوفى سنة ٢٧٥ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقى طبع عيسى البابسى  
الحلبى وشركاه .
- ٤٥ - سنن أبى داود الامام الحافظ سليمان بن الاشعث السجستانى الطبعة  
الثانية مع شرحه عون المعبود الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة  
السلفية بالمدينة المنورة .
- ٤٦ - السنن الكبرى للامام الحافظ أحمد بن الحسن البيهقى وسهامه الجوهر  
النقى فى الرد على البيهقى لابن التركمانى طبع دائرة المعارف العثمانية  
بميدان اباد الدكن سنة ١٣٥٢ هـ .
- ٤٧ - سنن النسائى للامام الحافظ طأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى  
طبعة دار احياء التراث العربى بيروت لبنان .
- ٤٨ - السيرة النبوية لابي محمد عبد الملك بن هشام تحقيق مصطفى السقا وابراهيم  
الاييارى وعبد الحفيظ شلبى الطبعة الثانية سنة ١٣٧٥ هـ مطبعة الحلبي  
وأولاده بمصر .
- ٤٩ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للمؤرخ الاديب أبى الفلاح عبد الحى بن  
العقاد الجنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ - نشر المكتبة التجارية للطباعة  
والنشر بيروت لبنان .
- ٥٠ - شرح سنن أبى داود لابن القيم على هامش عون المعبود الناشر محمد عبد المحسن  
صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية .
- ٥١ - الشرح الكبير للامام شمس الدين أبى الفرج عبد الرحمن ابن أبى عمر محمد بن أحمد  
بن قدامة المتوفى سنة ٦٨٢ هـ الطبعة الاولى على هامش المفتى مطبوعة  
المنار بمصر عام ١٣٤٨ هـ .

- ٥٢ - شرح النووي على مسلم المطبعة المصرية ومكتبها .
- ٥٣ - صحيح الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى تقديم وتحقيق وتعليق  
محمود النوارى ومحمد أبى الفضل ابراهيم ومحمد خفاجى مطبعة الفجالة  
الجديدة سنة ١٣٧٦ هـ .
- ٥٤ - صحيح الامام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري وعلى الهامش شرح الامام  
النووى المطبعة المصرية ومكتبها .
- ٥٥ - عون المعبود شرح سنن أبى داود للعلامة أبى الطيب محمد شمس الحسنى  
المظيم آبادى الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة  
المنورة .
- ٥٦ - غاية الارشاد الى أحكام الجهاد للشيخ محمد فرج غيث الناشر شركة مكتبة  
ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .
- ٥٧ - فتح البارى شرح صحيح البخارى للحافظ الامام ابن حجر الطبعة السلفية .
- ٥٨ - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للشيخ محمد بن على  
الشوكانى الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي  
وأولاده بمصر .
- ٥٩ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحلیم  
ابن عبد السلام بن تيمية .
- ٦٠ - الفروسية للامام ابن القيم الطبعة الثانية .
- ٦١ - فلسفة الجهاد فى الاسلام للسيد عبد الحافظ عبد ربه طبع دار الكتاب اللبنانى  
بيروت .
- ٦٢ - فى ظلال القرآن لسيد قطب طبع دار الشروق عام ١٣٩٤ هـ .
- ٦٣ - فيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمد عبد الروح المناوى الطبعة الاولى سنة  
١٣٥٦ هـ .
- ٦٤ - القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الطبعة الثانية  
سنة ١٣٧١ هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .
- ٦٥ - القتال فى الاسلام لاحمد نارالدارالسمودية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية  
سنة ١٣٨٩ هـ .



- ٦٦ - قصة الحضارة : ول ديورانت ترجمة محمد بدران طبع الادارة الثقافية فسي  
جامعة الدول العربية .
- ٦٧ - الكامل لابن الاثير أبا الحسن علي بن عبد الكرم الشيباني طبع بيروت سنة  
١٣٨٥ هـ .
- ٦٨ - كتاب الجماهرة في اللغة للشيخ الجليل وامام اللغة والادب أبي بكر محمد  
ابن الحسن بن دريد الازدي البصري المتوفى سنة ٣٢١ هـ ببغداد  
الطبعة الاولى بحيدرآباد الدكن سنة ١٣٤٥ هـ .
- ٦٩ - كتاب الجهاد للامام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ تحقيق نزيه  
حماد الناشر دار النور بيروت .
- ٧٠ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الاقاويل في وجوه التأويل لابي القاسم  
جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي الطبعة الاخيرة سنة ١٣٨٥ هـ  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٧١ - كشف الخفا ومزيل الالباس للشيخ محمد بن اسماعيل المعجلوني طبعة  
حسام الدين القدسي .
- ٧٢ - لباب التأويل في معاني التنزيل لملاء الدين علي بن محمد الخازن طبع  
مطبعة التقدم العلمية بمصر .
- ٧٣ - لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري طبع ببيروت  
عام ١٣٧٤ هـ .
- ٧٤ - مجموع فتاوى ابن تيمية جمع وترتيب ابن قاسم الطبعة الاولى .
- ٧٥ - محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي تصحيح وترقيم محمد فؤاد  
عبد الباقي طبع دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة  
الاولى سنة ١٣٧٦ هـ .
- ٧٦ - المحلى لابي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المتوفى سنة  
٤٥٦ هـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية سنة ١٣٨٨ هـ .
- ٧٧ - مختصر السيرة النبوية للشيخ محمد بن عبد الوهاب طبع دار الطباعة والنشر  
والتوزيع بيروت لبنان .
- ٧٨ - مسند الامام أحمد طبعة الحلبي الاولى .

- ٧٩ - مسند أحمد شرح وترتيب أحمد محمد شاعر الطبعة الاولى .
- ٨٠ - معجم مقاييس اللغة لابي الحسين أحمد بن فارس تحقيق عبد السلام هارون  
الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩ هـ .
- ٨١ - مفازى الواقدى محمد بن عمر الواقدى مطبعة اكسفورد عام ١٩٦٦ م تحقيق  
الدكتور مارسدن جونسن .
- ٨٢ - المفتى لابي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الطبعة  
الاولى مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٨ هـ .
- ٨٣ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين الطبعة الثانية عام ١٣٨٩ هـ مكتبة  
النهضة المصرية تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
- ٨٤ - مفردات الرافى الاصبهانى الحسين بن محمد المعروف بالرافى طبعة الحلبي  
بمصر عام ١٣٨١ هـ .
- ٨٥ - المنار لمحمد رشيد رضا الطبعة الثانية .
- ٨٦ - مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن  
الطرابلسى المعروف بالحطاب الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ هـ .
- ٨٧ - موطأ مالك تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٨٨ - النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ
- ٨٩ - نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار للشوكانى الطبعة الاخيرة .
- ٩٠ - الوايل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم .

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٦	خطة البحث
٩	تصهيد البحث
١٠	حكمة الجهاد وأقوال العلماء فيه
١٥	الباب الاول أنواع الجهاد
١٥	النوع الاول جهاد النفس
٢١	مراتب جهاد النفس
٢١	المرتبة الاولى
٢٤	المرتبة الثانية من مراتب جهاد النفس
٢٧	المرتبة الثالثة من مراتب جهاد النفس
٣١	المرتبة الرابعة من مراتب جهاد النفس
	النوع الثاني من أنواع الجهاد
٣٦	جهاد الشيطان
٤٣	مداخل الشيطان على المبدأ
٤٧	النوع الثالث من أنواع الجهاد
	جهاد الكفار
٥٤	مسألة من يجوز قتله من المشركين
٥٨	جهاد المناقسين
٦١	من أنواع ما يجاهد به النفس
٧٧	المرتبة من يجاهد به الكفار المال
	الباب الثاني
٨٣	مراحل الجهاد
٨٣	المرحلة المكية

الصفحة	الموضوع
٩٩	اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بأهل المدينة
١٠٣	بيعة العقبة الثانية
١٠٥	هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
١٠٨	مرحلة الاذن بالقتال
١١٠	المرحلة الثانية فرض الجهاد على المسلمين لمن يقاتلهم
١١١	أول لواء عقدته الرسول صلى الله عليه وسلم
١١٨	المرحلة الثالثة فرض الجهاد لجميع الكفار
١٢٣	الباب الثالث في حكمة مشروعية الجهاد
١٣٧	الباب الرابع شبه المستشرقين والمبشرين
١٤٤	من مفتريات المستشرقين والمبشرين
١٤٨	الباب الخامس فضل الجهاد في سبيل الله
١٥٨	فضل الخرج في سبيل الله
١٦٢	فضل الشهادة والشهيد
١٦٧	من هو الشهيد ولماذا صي شهيدا
١٧٢	فضل الرباط والامر بسببه
	الباب السادس
١٧٧	عواقب ترك الجهاد
١٨٥	نتائج ترك الجهاد
١٩٠	فوائد الجهاد وآثاره
١٩٩	الباب السابع في عوامل النصر في الاسلام
٢٠٣	المبحث الاول اعداد المقاتلين
٢٠٨	المبحث الثاني الاخوة
٢١٤	المبحث الثالث اعداد المدد
٢١٨	فضل اعداد المدد في سبيل الله

الصفحة	الموضوع
	المبحث الرابع
	ومن أسباب النصر
٢٢١	( أ ) اختيار القواد الاكفاء
٢٢٨	( ب ) معاملة القائد لجنوده
٢٣٢	( ج ) مشاوره القادة جنودهم
٢٣٥	المبحث الخامس وجوب الطاعة
٢٤٢	المبحث السادس من الاخلاص
٢٤٦	المبحث السابع التوكل على الله
٢٥٠	المبحث الثامن ذكر الله
٢٥٥	المبحث التاسع الصبر
٢٦٤	المبحث العاشر تحريم الفرار من الزحف
٢٧٠	الخاتمة
٢٧٤	قائمة المراجع
٢٨١	فهرس الموضوعات